جامعه حلوان
كليه الآداب
قسم التاريخ

الدولة البيزنطية

من قسطنطين إلى أنستاسيوس

أ.د. زبيدة محمد عطا
أستاذ ورئيس قسم التاريخ
عميد كليه الآداب - جامعه حلوان

جامعة حلوان
كلية الآداب
قسم التاريخ

الدولة البيزنطية

من قسطنطين إلى أنستاسيوس

أ.د. زبيدة محمد عطا
أستاذ ورئيس قسم التاريخ
عميد كلية الآداب – جامعة حلوان

مقدمة

الدولة البيزنطية واحدة من اقوى دول العصور الوسطى واطولها عهدا ، اذ قدر لها أن تستمر ما يقرب من أحد عشر قرنا ، بالرغم من أن هنك اختلافا على ميلاد تلك الدولة بين المؤرخين : هل يعتبر اعتراف قسطنطين ، وانشاء القسطنطينية بداية لها ، ام عهد هرقل الذى انفصلت فيه ولايات الشرق واتضح الطابع الشرقى للامبراطورية . وان كان عدد آخر من المؤرخين لايعترف بالميلاد الجديد للدولة بل يعتبر تاريخها امتدادا لامبراطورية اغسطس .

ولكن أجمع المعارضون والمؤيدون على أن الاعتراف بالمسيحية وانشاء القسطنطينية أوجد فترة تاريخية ذات طابع خاص ، فالامبراطورية الرومانية كانت وثنية العقيدة لاتينية اللغة والحضارة ، ولقد دفع هذا بيورى للقول بأن هناك حضارة بيزنطية ، ولكن لا وجود لدولة بيزنطية ، ولكنى أعتقد خطأ هذا الراى فلننا لا نستطيع الفصل بين التاريخ السياسى والحضارى . فالحضارة مرآة للأوضاع السياسية وكل منهما يأثر ويتأثر بالآخر فالاقتصاد المضطرب له تأثيره على استقرار نظام الحكم ، والكنيسة كمؤسسة دينية مستقلة كان لها وضعها الخاص وعلاقاتها بالدولة وبالاوتقراط الحاكم الذى يجمع فى يده جميع السلطات ، واختلفت نوعية تلك العلاقة بين الشرق والغرب ، واتخذ كل منهما خطا مختلفا منذ البداية .

هذا ما حاولت توضيحه فى تلك الدراسة وهو الترابط والوحدة بين التاريخ السياسى والحضارى ، وتأثير ذلك فى تاريخ بيزنطة .

ولقد تضمنت تلك الدراسة قسمين : الاول يشتمل على مقومات الدولة البيزنطية والمميزات أو العناصر الاساسية التى أعطتها ذلك الطابع الخاص الذي ميزها عن امبراطورية اغسطس ، ثم تحدثت عما احاط بها من اعداء سواء كانوا فرسا أو برابرة جرمان او قبائل آسيوية وتأثيرهم فى سياستها وحضارتها وتأثرهم ببيزنطة فلقد جعل هؤلاء الاعداء الامبراطورية فى حالة صراع دائم كلفها تضحيات مالية وبشرية عديدة تحمل أعباءها رعايا الامبراطورية وخاصة فى الولايات وأجبرها على فتح باب الدخول فى الجيش امام العناصر المتبربرة لتستطيع سد عجز قواتها والقتال على جبهات عديدة .

ولقد وصل بعضهم عن طريق التغلغل السلمى الى اعلى المناصب وسيطروا على الدولة ، كما حدث فى عهد اركاديوس وليو الاول ، ولكن شعب القسطنطينية لم يكن مستعدا لتقبل حكام برابرة ، واستطاعت الامبراطورية التخلص منهم عن طريق مذابح قضى فيها أهالى القسطنطينية على العناصر القوطية بل ان الامبراطور زينون رغم انه من اقليم ايزوريا التابع لبيزنطة فان اهالى القسطنطينية طالبوا أرديان زوجته بعد وفاته بامبراطور روماني لان ايزوريا كانت فى نظرهم اقل تحضرا .

والجزء الاول مقسم لثلاث فصول : الاول عن بداية الفترة البيزنطية مع ذكر الاراء المعارضة والمؤيدة لاتخاذ عهد قسطنطين كبداية الفترة او حقبة تاريخية جديدة .

والفصل الثانى : تناولت مميزات الفترة البيزنطية او العناصر الاساسية التى منحتها طابعها المميز واول تلك العناصر الطابع الشرقى للحضارة البيزنطية وتأثير الفكر اليونانى والفارسى فى التاريخ والادب والفلسفة والعمارة والعقيدة وثانيها سلطة الاوتقراط الحاكم الذى جمع بين السلطة الدنيوية والدينية ، واعتبر الرسول الثالث عشر ولتدخلت سلطات الاوتقراط فى جميع أوجه الحياة سواء كانت ادارية او اقتصادية او حربية ، فهى المشرع الاول والقائد الاعلى ، ولقد ترتب على هذا القضاء على سلطات المجالس التشريعية التى حدت من سلطان الامبراطور الحاكم واهمها السناتو ، ولقد ادى هذا الى تركز المعارضة فى فرق السرك الخضر والزرق ، ولقد مارسا نوعا من الضغط على سلطات الاوتقراط

الحاكم كما حدث فى عهد انستاسيوس ، والعنصر الثالث كانت مشكلة الكنيسة والدولة . ولقد كان هناك توافق بين كلا السلطتين فى بيزنطة الا فى حالات نادرة كما فى حالة حنا فم الذهب ، والامبراطورة أودوكيا وغالبا كانت أوجه الخلاف تتعلق بأمور شخصية لاسياسية ؛ فلقد اوجد قسطنطين منذ البداية القاعدة التى سارت عليها العلاقة بين الكنيسة والدولة فلقد عقد المجامع الدينية وترأسها وفرض رايه ومذهبه على تلك المجامع ، واتخذ خلفاؤه هذا قاعدة فتولوا عقد المجامع وقرروا العقيدة. وقد عقدت بذلك المجامع المسكونية السبع .

ولقد مثل الديريين جانب المعارضة لسلطة الامبراطور ، وكان أحد أسباب قيام الحركة الديرية الاحتجاج على موقف بعض رجال الدين فى استغلال سلطاتهم والخضوع لسيطرة الامبراطور الحاكم ، وان كان بعضهم قد انحرف فيما بعد واستعمل القوة لفرض آرائه كما حدث فى مجمع افسوس الشهير بمجمع اللصوص حيث ضربوا بطريرك القسطنطينية فلافيان ، ضربا مبرحا ادى لوفاته ،

لقد حظى الديريون بشعبية كبرى بين أهالى القسطنطينية لعزلتهم وعدم زواجهم ولقد برز دورهم خلال الصراع اللا ايقونى الذى انتهى بانتصارهم وانهيار الحركة اللاايقونيه .

أما الفصل الثالث فهو عن اعداء الامبراطورية الذين أثروا فى تاريخ الامبراطورية واولهم الفرس وكان للفرس حضارة وامبراطورية عظيمة لاتقل عن حضارة بيزنطة ، ولقد تأثرت بيزنطة بفارس فى نظام حكمها المتمثل فى سلطة الاوتوقراط المطلقة ، وفن العمارة ونظام الجيش بل ان المجتمعين تشابها فى عدة مظاهر فى أواخر القرن الثالث ، ولقد ظلت الحرب سجالا بينهما الى عهد هرقل حيث انهارت الامبراطورية الفارسية فى معركة نينوى ثم قضى عليها العرب فى القادسية .

أما ثانى اعداء الامبراطورية فكانوا الجرمان والغزو الجرمانى ينقسم قسمين غزو حربى وتغلغل سلمى عن طريق دخولهم الجيش الامبراطورى كجنود او معاهدين .

اما على الحدود الشمالية الشرقية فكانت هناك شعوب غربية روسيا واخرى اسيوية الاصل كالهون والترك . فاقتحم الهون الامبراطورية فى القرن الخامس ، اما بقية الشعوب فلم يبدو خطرها ملموسا الا مع بداية القرن السادس حيث صبغ السلاف منطقة البلقان بطابعهم .

اما القسم الثانى من الكتاب فيتناول التاريخ السياسى ويشمل الفصل الرابع بداية التاريخ البيزنطى مع ازمة القرن الثالث وتولية دقلديانوس اذ ان فكرة الاتجاه الى الشرق والاصلاحات الادارية والاقتصادية تعود لعهده . ولقد حاولت ابراز صورة متكاملة للعصر سياسيا وحضاريا ورغم ان الذى تولى العرش من افراد اسرة قسطنطين الكبير هم قسطنطين وقسطنطيوس وقسطانزا وجوليان ، فانى اضفت جوفيان فالنتيان وفالنز ولم اجعلهم مؤسسى عصور جديدة لأن ايا منهم لم يكون اسرة استمر حكمها لفترة تذكر . ولم تمثل عهودهم سمات بارزة فى التاريخ .

والفصل الخامس والاخير تناولت الفترة من ثيودسيوس الى انستاسيوس وشاهدت هذه الحقبة انقسام الامبراطورية قسمين شرقى وغربى وان كانا فى داخل الامبراطورية الموحدة ومع ذلك فان الفرق بين كلا القسمين بدا واضحا اذ انهار الغرب تحت ضغط الغزوات الجرمانية فى عهد رومليوس اغسطالوس . ولم تعد هناك قدوة ذات فعالية الاالبابوية اما الشرق فقد استطاع الصمود واستيعاب تلك الغزوات . اما عن طريق توجيههم الى الغرب . او جعلهم معاهدين . وفتح باب الدخول لهم الى قواته وتمثل تلك الفترة المرحلة التكوينية فى التاريخ البيزنطى فمع نهايتها بدا الطابع اليونانى واضحا .

وارجو ان اكون قد استطعت ان اوفى الموضوع حقه من الدراسة .

دكتورة

زبيدة عطا

الفصل الأول

بداية التاريخ البيزنطي

المصادر المعاصرة للفترة البيزنطية الأولى :

نعني بالفترة البيزنطية الأولى تلك التي تبدأ من القرن الرابع بتولية قسطنطين ، وتنتهي في القرن السادس بتولي هرقل وهي الفترة التي استكملت الدولة البيزنطية فيها مقوماتها وطابعها الفريد وتفاعلت فيها العقيدة الجديدة مع الحضارة اليونانية والتراث الروماني لتظهر فيها دولة ذات مزايا وحضارة جديدة هي الحضارة البيزنطية . تلك الدولة التي استمرت احد عشر قرنا وامتازت بفنونها وآدابها وقانونها الى جانب ادارة مدنية ونظام عسكري واقتصاد ممتاز ويعود اليها الفضل في حفظ التراث الكلاسيكي لنهضة أوربا في القرن الخامس عشر .

ولقد شاهدت الفترة الأولى تطورات سياسية هامة من قيام دولة مسيحية وازدياد الخطر الفارسي وظهور القبائل الجرمانية وانثيالها في قلب الامبراطورية ثم سيطرتها على الجزء الغربي من الامبراطورية وانقسام الامبراطورية الى شطرين غربي وشرقي وان ظلت تحتفظ بوحدة اسمية ، ورغم ثراء تلك الفترة باحداثها وكونها حقبة من أهم الفترات في تاريخ العالم وايذانا بنهاية العالم القديم وتمهيدا للعالم الوسيط بخصائصه ومميزاته فان المؤلفات التي تناولت تلك الفترة قليلة ، وعليها كثير من المآخذ وينقص بعضها الترابط والوحدة التاريخية وبعضها ينقصه المعايشة الصادقة(١) أو الدقة في سرد الأحداث وعدم الاهتمام بالتفاصيل أو الأحداث الصغرى ،

---

(1) Bury : History of the later Roman Empire P. VII.

وغالبيتها تركز اهتمامها على الأحداث السياسية متجاهلة ما يختص بالادارة والتشريع والحياة اليومية المعاصرة فالمؤرخ لتلك الفترة يتناسى الترابط والوحدة بين النظام السياسي والحضارى وتأثير كل منها على الآخر وان الحضارة هى الواجهة الصادقة لأى نظام سياسى ، الا جانب عدم توافر القدر الكافى من الآثار والعملات والمسكوكات التى نجدها فى التاريخ القديم والتى كنا نستطيع عن طريقها استكمال ما ينقصنا من كتابات المؤرخين فنحن نشعر بضعف المصدر الى جانب عظمة الحدث فمثلا فى كتابات يوزبيوس وهو واحد من أهم مؤرخى تلك الفترة نجده فى تاريخه للأحداث الكبرى كاعتراف قسطنطين بالمسيحية وقصة الصليب وشهداء المسيحية(٣) يعمد الى التفصيل والاطناب ولكن اذا انتقلنا الى ما يختص بالحياة اليومية أو الاجتماعية أو التطور الاقتصادى نجده يلجأ الى الاختصار الشديد أو التغاضى عن الحدث . الى جانب ان غالبية مؤلفات تلك الفترة تمثل وجهة النظر الامبراطورية حتى أن البعض شكك فى قصة الصليب ومدى نصيبها من الصحة . والمؤرخون بصفتهم اما يونان أو لاتين تجاهلوا فى الغالب كل ما يتعلق بالقادة الجرمان وشخصياتهم بصفتهم اعداء للامبراطورية وكما يذكر Bury اننا نعرف عن معسكر تحتمس الثالث فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد أكثر مما نعرفه عن ستليكو أو ثيودريك فأغلب القادة البرابرة الذين واجهوا الامبراطورية وقواتها واقتطعوا أجزاء رئيسية من أراضيها لا نعرف الا أسماءهم والقليل عن شخصياتهم(٢) .

---

(٣) Eusebius The Ecclesiastical History and the Martyrs of Palestine Vol I P 315 317.

Bury : op cit VI!

Ostrogorsky Hist. of the Byzantine state 7-22.

وباستعراض أهم المؤلفات التى تناولت تلك الفترة نجد أن مؤلفات ايوزبيوس أسقف قيصرية تعد من أهم مصادرنا ولايوزبيوس كتابان احدهما يتحدث عن قسطنطين وحياته واعتناقه المسيحية الى ٣٢٥ م وان كان له تاريخ آخر فى عشر أجزاء انتهى به ٣٢٤ م ولقد أتبع منهج يوزبيوس فى التاريخ مؤرخ الكنيسة Socrates الذى أكمل تاريخه الى ٤٢٩ م .

ومن مؤرخى تلك الفترة Ammianus Marcellienus وكان وثنيا وكتب تاريخا باللغة اللاتينية ويعتبر تكملة لتاريخ تاكتيوس ويحمل اسم Resgestae ورغم أنْ كتابات تاكتيوس تعود الى القرن الثانى(٤) حيث تتناول الشعوب الجرمانية وقبائلهم قبل دخولها الى أراضى الامبراطورية فى القرن الأول ٥٥ ــ ١٢٠ فلقد أعطى صورة لتلك الشعوب التى اقتحمت الامبراطورية فى القرن الرابع ولابد من الرجوع اليه لنستطيع توضيح دور هؤلاء الغزاة الذين اقتحموا الامبراطورية واقتطعوا أهم أراضيها الغربية .

ولقد شاهدت تلك الفترة آخر مجموعة من الكتابات الوثنية مثل Eunapius الوثنى الذى كتب تاريخا للفلاسفة الأفلاطونيين فى القرن الرابع Olympiodorus Thebes (٤٠٧ ــ ٤٢٥) و Zosimus آخر المؤرخين الوثنيين الذى كتب تاريخا منذ عهد اغسطس الى ٤١٠ ويؤرخ بتفصيل منذ عهد دقلديانوس .

ثم كتابات Priscus وتمدنا بحوادث السنوات ٤٣٣ ــ ٤٨٦ م وعمد الى التفاصيل فى الحوادث الخاصة بالهون . وسار

---

(٤) Ostrogorsky : op. cit. P. 5.
Baynes : Byzantium an introduction to the East Roman Civilisation introduction
Brehier : Vie et Mort de Byzance VII

سقراط على منهج أيوزيبيوس وكتب تاريخ الفتره ٣٠٦ — ٣٤٩ م ، sozomen أرخ من ٣٢٤ — ٤١٥م وثيودور cyrrhus ٣٢٥ — ٤٢٩م، ولقد شارك الرهبان في الكتابات الأدبية والتاريخية فكتب Evagrius تاريخا وتناول الفترة ٤٣١ — ٥٩٣ وتعود أهمية كتاباته الى تصويره التاريخ الديني ، ثم مؤلفات عدد من المؤرخين الكنسيين أمثال حنا افسوس الذي كتب تاريخا لسوريا واستمر يدرس الى عهد موريس ومؤلفات Gregory Nazianus ، Gregory Nysse وأعمال Proclus ولكن أشهر مؤرخي تلك الفترة كان بروكبيوس الذي كان سكرتيرا خاصا لبلزاريوس قائد جستنيان وشهد في رحلاته وأهم مؤلفاته تلك التي تتناول حروب جستنيان ضد الفرس والوندال والقوط واتبع منهج هيردوت Thucydides ولقد أورد معلومات وافية عن جغرافية وشعوب المنطقة ولقد كتب تاريخا في سبعة أجزاء انتهى الى ٥٥١ م وظهرت ثمانى أجزاء اضافية ٥٥٢ م ثم ملحق آخر Anecdaty ولكن أشهر أعماله كان Secert History والذي كان هجوما سافرا على ثيودورا وجستنيان ولم يظهر الا بعد وفاته وله مؤلف ثالث في مباني جستنيان ومنشآته ولقد أكمل Agathios تاريخه وغطى السنوات من ٥٥٢ — ٥٨٠ م وسار على نهجه Theophylact Simocatta الذي كتب تاريخا لموريس .

وهذا العصر يمتاز بوفرة المؤلفات الدينية ويرجع هذا الى انه العصر الذي تم فيه الاعتراف بالمسيحية ووضعت أسس النظرية الدينية واللاهوت المسيحي ، وبدأت الحركة الديرية فظهر عدد من المؤرخين الديريين الذين كتبوا حوليات تاريخية أمثال John Malalas ،

سقراط على منهج أيوزيبيوس وكتب تاريخ الفترة ٣٠٦ — ٣٤٩ م ، sozomen أرخ من ٣٢٤ — ٤١٥م وثيودور cyrrhus ٣٢٥ — ٤٣٩م،
ولقد شارك الرهبان في الكتابات الأدبية والتاريخية فكتب Evagrius تاريخا وتناول الفترة ٤٢١ — ٥٩٣ وتعود أهمية كتاباته الى تصويره التاريخ الديني ، ثم مؤلفات عدد من المؤرخين الكنسيين أمثال حنا افسوس الذي كتب تاريخا لسوريا واستمر يدرس الى عهد موريس ومؤلفات Gregory Nazianus ، Gregory Nysse وأعمال Poclus ولكن أشهر مؤرخي تلك الفترة كان بركبيوس الذي كان سكرتيرا خاصا أبلزاريوس قائد جستنيان وصاحبه في رحلاته وأهم مؤلفاته تلك التي تتناول حروب جستنيان ضد الفرس والوندال والقوط واتبع منهج هيردوت Thucydides. ولقد أورد معلومات وافية عن جغرافية وشعوب المنطقة ولقد كتب تاريخا في سبعة أجزاء انتهى الى ٥٥١ م وظهرت ثماني أجزاء اضافية ٥٥٣ م ثم ملحق آخر Anecdaty ولكن أشهر أعماله كان Secert History والذي كان هجوما سافرا على ثيودورا وجستنيان ولم يظهر الا بعد وفاته وله مؤلف ثالث في مباني جستنيان ومنشآته ولقد أكمل Agathios تاريخه وغطى السنوات من ٥٥٢ — ٥٨٠ م سار على نهجه Theophylact Simocettes الذي كتب تاريخا لموريس .

وهذا العصر يمتاز بوفرة المؤلفات الدينية ويرجع هذا الى أنه العصر الذي تم فيه الاعتراف بالمسيحية ووضعت أسس النظرية الدينية واللاهوت المسيحي . وبدأت الحركة الدينية فظهر عدد من المؤرخين الديريين الذين كتبوا حوليات تاريخية أمثال John Malalas

السورى الذى ولد فى انطاكيه وكتب تاريخا للعالم بدأه من تاريخ وأساطير مصر الى عهد جستنيان(٥) . ولم يأل مؤرخو الكنيسة جهدا فى الكتابة عن حياة جيروم وانثاسيوس السكندرى والقديس انطوان وأبناء الكنيسة الأوائل وكفاحهم ثم مضابط المجالس الكنسية والمجامع الكنيسة الخمس والمراسيم الامبراطورية والقرارات التى تنظم العلاقة بين الكنيسة والدولة وان كان ما يأخذ عليها أنها تصور وجهة نظر واحدة وهى وجهة النظر المؤيدة للدولة فلا توضح الاتجاهات المعارضة وما كان يحيط بتلك المجامع الدينية من صراعات . وهناك نوع آخر من الوثائق وصلتنا وهى ما يتعلق بتلك المجاميع القانونية التى أصدرها اباطرة بيزنطة الى جانب هذا القدر الكبير من المراسيم والتشريعات التى أصدرها الامبراطور والسناتو التى تنظم الحياة الادارية والاجتماعية والاقتصادية للشعب وتلك المجموعات القانونية حفظت الكثير من القانون الرومانى الذى لم يكن للغرب أثناء نهضته فيما بعد الاطلاع عليها لولا هذه المؤلفات وأول تلك المجموعات مجموعة ثيودسيوس Theodosionus Coder ثم مجموعة جستنيان فيما بعد ومجموعة المراسيم والقرارات التى أصدرها الأباطرة الأولثم التدرج الوظيفى فى الادارة البيزنطية . Notita Dignitatum التى أرخت للفترة مذ القرن الخامس ثم مؤلفات حنا Lydian فى منتصف القرن الخامس عن كتابه De magistratibus

---

(٥) يذكر رنسمان اهمية حنا ملالاس رغم تعصبه الدينى ورغم ان مدونته التاريخيه غير دقيقة المعلومات فان اهميتها تتركز فى انها تلقى بأضواء هامة على حياة عصره اليومية .

رنسمان : الحضارة البيزنطية ترجمة توفيق حاوية ص ٢٩٥

(٦) Ostrogorsky op cit P. Y 4.

Hussey The Byzantine World P. Y

Jones The Greek city from Alexander to Justinian P. 58.

ثم كاتبات الشريف بطرس عن احتفالات البلاط والتتويج التى وصلتنا فى مؤلفات قسطنطين السابع بورفجنتوس ثم المعاهدات الحربية التى وردت فى Strategicon Maurice وتكتيك المعاهدات الحربية فى نهاية القرن السادس والسابع .

بداية التاريخ البيزنطى :

هناك سؤال يواجه دارس تلك الفترة التاريخية التى اصطلحنا على تسميتها بالدولة البيزنطية ما هو الحدث التاريخى أو السمة التاريخية التى نستطيع عندها القول بأن الدولة الرومانية انتهت وبدأت دولة جديدة ذات معالم وخصائص معينة .

هناك اختلاف بين المؤرخين والمتخصصين فى الدراسات البيزنطية فعدد من المؤرخين يعتبر أن الامبراطورية الرومانية انتهت حين أعلن قسطنطين المسيحية كديانة مصرح بها وانتقل بعاصمته الى الشرق حيث أنشأ مدينة القسطنطينية التى استمرت الى ١٤٥٣ م . وان كان البعض يرى أن فصل تلك الحقبة التاريخية التى تبدأ بقسطنطين يعتبر أمرا لا يتفق والوحدة التاريخية للامبراطورية ويتعارض مع نظرية الاستمرار فى التاريخ . فالتاريخ فى نظرهم حلقات متصلة فالماضى يرتبط بالحاضر .

وكما قال بيرى التاريخ ليس له بداية أو نهاية انما البداية والنهاية فى كتب التاريخ وليس فى الاحداث التى تصفها(٧) . ويؤكد تلك النظرية أن الامبراطورية ظلت تحمل اسم الامبراطورية الرومانية فى نظر معاصريها ومؤرخيها آنذاك واستمر مواطنيها يدعون بالرومان وظلت التقاليد الرومانية قائمة لفترة رغم اتخاذها لعاصمة يونانية

---

(٧) Collingwood : The Idea of History 46-50 , Baynes introduction.
Vasiliev : The Byzantine Empire p. 21-22

ثم كاتبات الشريف بطرس عن احتفالات البلاط والتتويج التى وصلتنا فى مؤلفات قسطنطين السابع بورفجنتيوس ثم المعاهدات الحربية التى وردت فى Strategicon Maurice وتناولت المعاهدات الحربية فى نهاية القرن السادس والسابع •

بداية التاريخ البيزنطى :

هناك سؤال يواجه دارس تلك الفترة التاريخية التى اصطلحنا على تسميتها بالدولة البيزنطية ما هو الحدث التاريخى أو السمة التاريخية التى نستطيع عندها القول بأن الدولة الرومانية انتهت وبدأت دولة جديدة ذات معالم وخصائص معينة •

هناك اختلاف بين المؤرخين والمتخصصين فى الدراسات البيزنطية فعدد من المؤرخين يعتبر أن الأمبراطورية الرومانية انتهت حين أعلن قسطنطين المسيحية كديانة مصرح بها وانتقل بعاصمته الى الشرق حيث أنشأ مدينة القسطنطينية التى استمرت الى ١٤٥٣ م • وان كان البعض يرى أن فصل تلك الحقبة التاريخية التى تبدأ بقسطنطين يعتبر أمرا لا يتفق والوحدة التاريخية للامبراطورية ويتعارض مع نظرية الاستمرار فى التاريخ • فالتاريخ فى نظرهم حلقات متصلة فالماضى يرتبط بالحاضر •

وكما قال بينز التاريخ ليس له بداية أو نهاية انما البداية والنهاية فى كتب التاريخ وليس فى الأحداث التى تصفها(٧) • ويؤكد تلك النظرية أن الامبراطورية ظلت تحمل اسم الامبراطورية الرومانية فى نظر معاصريها ومؤرخيها انذاك واستمر مواطنيها ينعتون بالرومان وظلت التقاليد الرومانية قائمة لفترة رغم اتخاذها لعاصمة يونانية

---

(٧) Collingwood : The Idea of History 46-50 , Baynes introduction.
Vasiliev : The Byzantine Empire p. 21-22.

شرقيــة ومن مؤيدى ذلك الرأى جيبون بيورى ، Collingwood فبيورى رغم اعترافه بأن أحداث هامة وجوهرية طرأت على الامبراطورية سواء فى تاريخها السياسى والحضارى فانه فضل أن يستعمل لفظ امبراطوريه رومانية متأخرة ، وفى كتابه الأول . فى مجلدين . الذى تناول الفترة من ثيودسيوس الى جستنيان وفى كتابه الثانى الذى بدأ بتولية ايرين أطلق على تلك الفترة الامبراطورية الرومانية الشرقية . وهناك عدد من المؤرخين رؤوا أن الامبراطورية الرومانيه انتهت فعلا وقامت امبراطورية جديدة ولكن اختلفوا فى التاريخ الذى انتهت فيه تلك الامبراطورية الرومانيــة فالبعض يرى انهــا انتهت فى القرن الرابع وآخرون يروون أنها انتهت فى عهد ثيودسيوس حيث انقسمت الى قسمين شرقى وغربى(٨) . ولكنهم تناسوا أمرا هاما هو انه فى هذه الفترة لم تكن هناك امبراطوريتان منفصلتان بل امبراطورية واحدة ذات شطرين شرقى وغربى .

والبعض يبدأ الفترة البيزنطية بالقرن السادس اعتمادا على أن الفترة التكوينية أو الانتقالية فى التاريخ البيزنطى قد انتهت واتضح الطابع اليونانى الشرقى للامبراطورية استنادا الى أن القرن السادس هو الفترة التى بدأت فيها الفتوح العربية وفقدت فيها الامبراطوريــة مصر وسوريا وهو القرن الذى وضعت فيه دعائم نظام حربى جديد أوجده هرقل وهو نظام Themes حيث ارتبطت الخدمة العســكريه بالأرض ، وظهر نظام الاقطاع الحربى(٩) ولكن هذا يعنى تجاهل الفترة الأولى التى وضعت فيها دعائم الامبراطوريــة فالقرن السادس هو

---

(٨) Charanis , The Social Structure of the later Roman Empire p. 14.

(٩) Bury : op. cit. 34.

نورمان بنز الامبراطورية البيزنطية ترجمة مؤنس ص ١٧١ .
Baynes : op. cit. Introduction, Vasiliev . op. cit. P. 22.

القرن الذى ظهرت فيه نتائج الاســاس الذى وضــع فى القرنين الثالث والرابع والتطورات الحربية فى القرن السادس ما هى الا تطوير لنظم دقلديانوس وقسطنطين •

والبعض جعل من عهد ليوالايسورى حدا فاصلا بين التاريخ الرومانى والبيزنطى • ولكن أعتقد بعد دراسة للمؤلفات التى تناولت تلك الفترة ســواء لمؤرخين معاصرين للاحــداث أو محــدثين امثــال جيبون بيورى فازلييف ، هوس ، هيرس ، أوستوجروسكى رنسمان ، بينز ، ديــل دوكانـــج Wolff charanis - Kitzinger أننــا نســتطيع القول بأن هنــاك امبراطورية جــديدة وجدت ، حقيقــة ان التاريخ حلقات متصلة والتطورات الحضارية والتاريخية تمر بفترات ومراحل عدة الا أن تكتمل صورتها وتتضح معالمها ولكن هناك سمات أو احداث بارزة فى فترة تاريخية توضح ان مرحلة جديدة أو أن حقبة ذات معالم متميزة قد بدأت(١٠) • وان مجرى الأحداث يتجه الى وجهة جديدة فاعتراف قسطنطين بالمسيحية وانشا القسطنطينية أوضحا انها نقلة تاريخية حضارية من أجواء العالم القديم الى عالم العصــور الوســطى فالعالم القديم الذى كانت تتمثل عاصمتــه السياســية والحضارية فى روما ذات العقيدة الوثنية والمدينة التى تتجــه اليها كل الطرق بدأت شمســه تأفل لتحل محلها روما الجديدة فى الشرق ذات حضارة يونانية الأصل مسيحية العقيــدة ولا يعتبر الاتجــاه الى الشرق أو انشاء القسطنطينية هما مظهر التحول الوحيد فانهما كانا بداية لتغيرات أشمل وأعمق تناولت الجوانب السياسية والحضارية بمظاهرها المختلفة من نظم ادارية واقتصادية وحضــارية واجتماعية لقد تغير جوهر المجتمع والحياة • وأعتقد أننا لا نوافق الأستاذ بيورى

---

(١٠) Charanis : op. cit P. 14.

بما أورده عن انكاره ان هناك أى ميلاد لبيزنطة وان الامبراطورية الرومانية لم تنته الا فى ١٤٥٣ م وان الفن والحضارة البيزنطية من الممكن ان نتكلم عنهم كأحداث منفردة فليس من المنطقى ان نتكلم عن حضارة بيزنطية فى حين اننا ننكر وجود تاريخ بيزنطى فالحضارة ما هى الا تعبير عن وجود أو كيان سياسى قائم وهى وليدة نضج الحكم المستقرة وحضارة أى شعب هى مرآة لأحداثه(١١) وكما ذكر جيبون فىكتابه اضمحلالوسقوط الامبراطورية الرومانية «كانت الحكومة الرومانية تبدو كل يوم أقل بأسا فى نظر أعدائها فالضرائب كانت تتضاعف مع تفاقم الضيق العام وكلما الحت الحاجة الى الاقتصاد زاد الاسراف ، وطرح الأغنياء الظالمون كل العبء عن كاهلهم ، والقوه على كواهل الناس بل وتحايلوا على حرمانهم من المتع البريئة والتى قد تخفف بؤسهم فى بعض الاحيان وعمدت الحكومة الى التحقيق والتفتيش ثم الى مصادرة املاكهم وتعذيب أشخاصهم كل أولئك أرغم رعايا فالنتيان على ايثار البرابرة مع طغيانهم الايسر احتمالا ، أو على الفرار الى الغابات والجبال ، أو على الهبوط الى مراتب الخدم والمرتزقة رغم خستها وحقارتها حتى وصل بهم الأمر الى التبرم بلقب المواطن الرومانى والى التبرؤ منه . بعد أن كان فيه مضى محط خداع العالم اجمع » . (١٢) وكما قالت الاستاذة Hussey ان الامبراطورية كانت تختلف فى أيام St. Paul عن وقت St Ambros, ليس فى التكوين أو الاطار الخارجى للامبراطورية أو فى طبيعة الحضارة

---

(١١) جيبون : اضمحلال الامبراطورية الرومانية ج ١ ، ٣٩

Bury : op. cit. Vol. I. P: V:

Camb : Med. Hist. Vol. 4 P. VII.

(١٢) جيبون : اضمحلال الامبراطورية الرومانية ج١ ص٣٩

اليونانية أو الرومانية. ولكن فى تغير أساسى يبدو واضحا منها دولة ذات طابع شرقى واضح وحضارة شرقية(١٣) .

وإذا استعرضنا كتابات المؤرخين عن بداية التاريخ البيزنطى فسنجد أنه رغم اختلاف وجهات النظر بالنسبة لتحديد التاريخ الرومانى أو البيزنطى فسنجد أنها تؤكد ان هناك فترة تاريخية هامة بدأت منذ القرن الرابع وكان لها أكبر أثر على التاريخ السياسى والحضارى للعالم آنذاك وكانت بداية لحقبة جديدة . ولنبدأ بالآراء المخالفة التى تؤكد ان التاريخ البيزنطى ما هو الا استمرار أو واجهة جديدة لتاريخ روما وان امبراطورية أغسطس لم تنته الا على يد محمد الفاتح ١٤٥٣م(١٤) .

فادوارد جيبون ١٧٣٧—١٧٩٤م — فى كتابه سقوط الامبراطورية الرومانية يعرض لتاريخ الامبراطورية الرومانية منذ أغسطس الى سقوط القسطنطينية مع ذكر لتاريخ جميع الشعوب المتمدنية والمتبربرة التى كانت تعيش على حدود الامبراطورية ثم يتعرض للاسلام وعلاقة الدولة الاسلامية ببيزنطة وقيام الامبراطورية الرومانية المقدسة ويذكر جيبون أنه فى حوالى ثلاثة عشر قرنا قوضت سلسلة من الثورات دعائم العظمة الانسانية وقضت فى النهاية عليها . وهو يعتقد أن الامبراطورية بدأت تدخل فترة الاضمحلال والانهيار بعد عصر الأنطونيين ويعتبر أن أفضل فترات التاريخ البيزنطى هى الفترة بين دومتيان ٩٦ م وكومدوس ١٩٢ م بعدها بدأت الامبراطورية فى الاضمحلال والانهيار وأن دعائم العظمة الانسانية قوضتها سلسلة من الثورات تتمثل فى ثلاث فترات الأولى منذ القرن الثالث بتعرضها

---

(١٣) Hussey : op. cit. P. 8.

(١٤) جيبون : اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها حا ص ٣٠ — ٥٠.

Murray : The Antobiography, of Edward Gibbon P. 148.

لغزاوت البرابرة التى انتهت فى القرن السادس بفقـدان الغرب والفترة الثانية تات عهد جستنيان وانتهت بتولية شارلمـان على الغرب ٨٠٠م والفترة الثالثة تشمل ستة قرون تبدأ بالامبراطورية الغربية ويذكر جيبون أن مع نهاية القرن الثانى وبداية القرن الثالث بدأت عوامل جديدة تظهر تعطى لتاريخ الامبراطوريه طابع جديد متمثل فى الأزمات الاقتصادية والغزوات الجرمانية التى دفعت بالاباطرة الى الاتجاه الى الشرق واتخاذ عاصمة جديدة وما أرتبط به من انشاء نظام جديد للادارة المدنية والعسكرية . ولكن اختلافنا معه فى نقطة أساسـية فانه لا يمكن أن يبدأ الاضمحلال فى القرن الثالث وتستمر مدينـة قسطنطين ألف عام(١٥) .

أما الأستاذ بيورى فيرى أن الامبراطورية الرومانية استمرت من عهد أغسطس الى عهد قسطنطين الحادى عشر ويرفض استعمال لفظ بيزنطى الا عند تناوله الحضارة ولكن يتجاهل بيورى بذلك التطور التاريخى بل انه فى كتـابه The later Roman Empire نجده يدحض هـذا الرأى بشـواهد فذكر أن حكم قسطنطين أوجد عهدا جديدا فى جميع المظاهر اكثر من عهـد أغسطس مؤسس الامبراطورية ، والفوضى التى حدثت فى القرن الثالث أظهرت أن أيام الامبراطورية معدودة ، وظهر القصور وعدم النظام أو الاستقرار فى النظام الذى أقامه أغسطس لادارة أملاك الامبراطورية وأخذ خلفاؤه صححت هنا وهناك ولكن الأحداث أثبتت الحاجة الى نظم أكثر مركزية وأكثر وحدة وتدين الدولة لدقلديانوس بانقاذها بايجاده لنظام جديد وأداة جديدة ، وطور قسطنطين ما بدأه دقلديانوس بوسـائل اكثر حسما

---

(١٥) جيبون : اضمحلال الامبراطورية الرومانية جـ ١ ص ٥٠٦

وأبعد نظرا وتأسيس القسطنطينية كروما وقبوله المسيحية كدين للدولة (١٦) وأكد الانقسام بين الشرق والغرب بين الاغريق واللاتين الذي أكدته الأحداث فيما بعد في تاريخ أوربا المقبل ويحاول بيورى أن يثبت بعد ذلك أن نتائج سياسة قسطنطين ظهرت في عهد ثيودسيوس ففى عهده اتخذت الامبراطورية مظهرا جديدا فيذكر أن نتائج الأعمال الهامة التى اتخذها قسطنطين ظهرت فى هذا العهد فنظام الحكم الجديد أصبح محكما واتضحت تفصيله . الكنيسة أصبحت مؤسسة ذات كيان متميز لا يستطيع أحد معارضتها . القسطنطينية التى انشأت على غرار روما أصبحت قوية وأعدت للدور الخطير الذى ستلعبه سواء فى أوربا أو آسيا الصغرى لمدة ألف عام ويذكر أنه رغم انقسام الامبراطورية الى قسمين شرقى وغربى تحت حكم اثنين من الأباطرة والذى استمر ٨٥ سنة فانه لا يعتبر انفصالا ولكنه كان فى اطار امبراطورية موحدة(١٧) أن من سمات تلك الفترة الغزو الجرمانى وتحول ولايات الغرب الى ممالك توتنية ، فشاهد القرن الرابع استقرار الشعوب الجرمانية كمعاهدين مرتبطين بالخدمة العسكرية فى الأراضى الرومانية فى شبه جزيرة البلقان والغال . مما كتبه بيورى يثبت أن دولة جديدة ظهرت لها مميزات وخصائص وعلاقات خارجية وعقيدة تختلف كل الاختلاف عن امبراطورية أغسطس الرومانية اللاتينية .

أما ارنولد توينبى فيرى أن الامبراطورية الرومانية انتهت خلال القرن السادس وان ما وجد في ما بعد ذلك هو شبح تلك الامبراطورية ويرى أنه فى القرن السابع بدأت امبراطورية جديدة حين اتجه ليو الثالث الى آسيا ليكون أسرة جديدة وهى التى ستتصدى للدولة

---

(١٦) Bury : The Later Roman Empire Vol. I. P. VII.

(١٧) Baynes : op. cit. introduction , Hussey op. cit. P: 9:

الاسلامية وتكون الحاجز امام المسلمين(١٨) • يؤيد البعض هذه النظرية على أساس أن فقد الامبراطورية لولاياتها الشرقية وايجاد نظام حربى جديد جعل للدولة طابعا خاصا(١٩) والأستاذ أرنولد توينبى يعتمد على أن القرون الثلاث الاولى فى التاريخ البيزنطى كان التأثير اللاتينى واضحا حتى أسماها البعض امبراطورية رومانية متأخرة أو فترة بيزنطية مبكرة والدولة بدأت تكتسب طابعا يونانيا خالصا فى نظامها وادارتها وحياتها ومجتمعاتها ابتداء من القرن السادس • ولكن لو أخذنا بهذا نتجاهلنا القرون الثلاث الأولى التى وضعت اسس هذه التغيرات فهذا نتاج لما تم على يد قسطنطين وخلفائه فى القرون السابقة التى كانت مرحلة تكوينية(٢٠) ونورمان بينز فى كتابه Byzantium an introduction to East Roman Empire. يرى أن اصلاحات دقلديانوس وقسطنطين كانت نقطة تحول جذرية فى تاريخ منطقة البحر الأبيض المتوسط ولكن فى نفس الوقت يرى أن الامبراطورية الرومانية لم تنتهى ولكن تطورت فى عهد قسطنطين باتخاذه عاصمة جديدة وعقيدة جديدة وايجاد تقاليد لاتينية فى وسط عالم يونانى •

والأستاذة Hussey تفضل استعمال تعبير بيزنطة وفى كتابها The Byzantine World ليس من المهم لديها ان تسمى الفترة الأولى فى التاريخ البيزنطى رومانية متأخرة أو بيزنطية مبكرة فتلك الفترة التكوينيه التى بدأها قسطنطين أهم ما يميزها طابعها الشرقى

---

(١٨) Baynes : op. cit introduction.
Brehier : Vie et. M rt. de Byzance P. XII

(١٩) Charles Diehl : Pyzance, Grandeur et Decadence P. 10
يرى منلاى ان التاريخ البيزنطى يمتد من ليو الايسورى الى سقوط القسطنطينيه على يد اللاتين ١٢٠٤ مهى الفترة اليونانية الخالصة .

(٢٠) نورمان بينز : الامبراطورية البيزنطية ص ك .

وحضارتها الاغريقية . وهي ترى أن التغيير ليس في الاطار الخارجي للامبراطورية أو طبيعة الحضارة بقدر ما يكون في جوهرها الحقيقي فباتخاذ القسطنطينية على شاطىء البسفور عاصمة أصبحت دولة شرقية وجاء الاهتمام بالشرق على حساب الغرب الذى سقط فى أيدي الغزاة الجرمان ونذكر أن بيورى رغم استعماله لفظ رومانية فانه لا يستطيع أن ينكر صلة الدولة القوية بالماضى الاغريقى اليونانى .

أما DuCang جعلنا ننظر للحضارة البيزنطية نظرة أكثر فعالية ويؤكد شخصيتها المميزة فى انجازاتها الرئيسية وما أثرته على المناطق المجاورة ونلاحظ أن عددا كبيرا من المؤرخين المحدثين حرر نفسه من تنسيق جيبون عن سقوط الامبراطورية واضمحلالها الذى رأى فى تاريخ بيزنطة مجرد مظهر أو صورة أخرى من التاريخ الرومانى . فكل من Vasiliev Ostrogorsky . Brehier رأى أن هناك دولة ذات خصائص مميزة ظهرت فى القرن الرابع ولقد ذكر Ostrogorsky أن الامبراطورية البيزنطية هى نتاج الحضارة الهلينية والتراث الرومانى والعقيدة المسيحية التى اتحدت فى القرن الرابع وفى كتابه دراسة شاملة لتطور الدراسات البيزنطية ورأى أن الغرب لم يكن له أن يتصل بالتراث الحضارى اليونانى الا عن طريق حضارة بيزنطة فالغرب لكى يصل لمنابع الحضارة البيزنطية وجب عليه الرجوع الى الدارسين البيزنطيين أمثال Bassanon ,John Argyropulus Manuel , Chryolonas . . . .

---

(٢١) Baynes : op. cit introduction.
Hussey : op. cit. P. 9.

(٢٢) Ostrogorsky : op. cit. P. 22.

ورنسمان يرى أن خير تسمية للحضارة الاغريقية الرومانية [illegible] بالطابع الشرقى هى بيزنطة خلال الأحد عشر قرنا التى [illegible] القسطنطينية حدثت تطورات وتعديلات جذرية (٢٢) .

ومن استعراض آراء المؤرخين [illegible] أن هناك اجماع بين المؤرخين سواء من استخدم [illegible] امبراطورية رومانية أو من استعمل دولة بيزنطية [illegible] القرن الرابع الميلادى بدأت حقبة جديدة فى تاريخ العالم . وكانت ايذانا بأن السمات والمعالم المميزة للعالم القديم بعقيدته وحضارته بل وحدوده السياسية بدأت تختفى لتحل محلها معالم جديدة ؛ وميلاد الدولة البيزنطية فى القرن الرابع يعتبر أهم مظاهر هذا التغير ، وهذا يدفعنا لمعرفة مميزات تلك الفترة البيزنطية وأوجه الاختلاف السياسى والحضارى التى وضعت أسس عالم العصور الوسطى فيما بعد .

---

(٢٢) رانسمان الحضارة البيزنطية المقدمة .

الفصل الثالث

مميزات الفترة البيزنطيه

كان للدولة البيزنطيـــة طابعها الخاص الذى ميز روما الجديدة القسطنطينيه عن روما القديمه فى جميع المظاهر ، فقسطنطين أوجد أساس امبراطوريه جديدة باعترافه بالمسيحية ونقله العاصمـــة الى الشرق ولقد استتبع هـــذا تغيرات جذريه اثرت على مفاهيم العالم القديم السياسية والحضاريه أيضا فلا نستطيع ان نفصـــل بين كلا الجانبين كما يفعل بيورى فمن التقائهما تكون ما يطلق عليـــه الدوله البيزنطية ، وجعلنا ندخل حقبة تاريخية جديده فالامبراطوريه الرومانيه كانت حضارتها لاتينية الطابع وثنيـــة العقيدة ولكن باتجاهها للشرق اصبحت امبراطوريه شرقية الطابع هلينيه الحضارة يحكمها امبراطور يستمد تفويضه من الله وتتركز فى يديه السلطات العسكرية والمدنية حين تنازل له الشعب عن حقوقه وأصبح هو مصـــدر التشريع كذلك شهدت هذه الفترة تغيرات فى النظـــام الادارى والحربى والنظـــام الاقتصادى والبناء الاجتماعى(١) •

وترتب على الاعتراف بالمسيحية قيام المؤسسة الكنسية ككيان أساسى فى تاريخ بيزنطة والعالم وأدى هـــذا الى نوعية جديدة من العلاقة بين الكنيسـة والدولة وان كانت قد اختلفت فى الجزء الشرقى عنه فى الغرب ولقد تجاوز تأثير الكنيســة مجال الدين والسياسة الى مجال الفن والأدب والتعليم وأكسب تاريخ بيزنطه السياسى والحضـــارى طابعا خاصا ولذلك نستطيع ان نقول ان أهم سمات الفترة البيزنطية

---

(١) Ostrogorky · op. cit. p. 28
Foord · The Byzantine Empire P. 10.
Lehier · Vie. et. Mort de Byzance p. VII.

تتمثل فى الطابع الشرقى للامبراطورية ثم نظام الحكم وما يشمله من سلطة الأباطرة والسناتو والنظام الادارى والقانون ، ثم دور الكنيسة وموقعها من الدولة والدور الذى أطلعت به سياسيا وحضاريا .

الطابع الشرقى للامبراطورية :

يكاد يجمع المؤرخون على شرقيــة الحضارة البيزنطية فتذكر Hussey أن بيزنطة امبراطورية مستشرقة . فقد كان لاتصالاتها المباشرة المتعددة مع جيرانها الشرقيين تأثيرا على الحضــارة التى تشربت عناصر شرقية واضحة فى الفن والأدب والتعليم واللاهوت ونظم الحكم ومراسيم البلاط .

ورغم أن الحضارة البيزنطية كانت نتاج امتزاج التراث الرومانى بالحضارة الهلينية بالنظرية المسيحية(٢) وأن تلك العناصر امتزجت معا خلال القرون الثلاث الأولى التى تعتبر فترة تكوينية لتظهر الحضارة البيزنطية. وهى حضــارة يونانية الأصل مسيحية المظهر فلقــد تغلب الجانب الشرقى ووسم تلك الحضارة بسمات بارزة فرغم أن التأثير الرومانى ترك بصماته فى بعض المعالم الحضارية كالقــانون والنظم العسكرية والمــالية ولكن انتهى التأثير الرومانى مع نهــاية الفترة البيزنطية الأولى فى القرن الســادس ليترك المجال للشرق اليونانى . والامبراطورية الرومانية فى أوج قوتها فى عهد أغسطس وخلفائه لم تستطع أن تجبر الولايات الشرقيــة على تغيير لغتهــا وحضـــارتها الهلينستية(٢) وحين انتقل قسطنطين الى الشرق لم تمس تلك الحضارة

---

(٢)

Hussey : op. cit. P. 9.
Ostrogorsky op. cit. P. 27.
Vasiliev : op. cit. P. 29.

(٢) نورمان بينز : الامبراطورية البيزنطية ص ٢٠٦

Marshall : Byzantium P. 221. 223.
Vasiliev op. cit., 269 Hussey : op. cit. P. 198.

بعد موته وانما كانت استمرارا للحضارة اليونانية فليس هناك فاصل حضارى ورغم محاولات دقلديانوس تشجيع لغة العرب فان اللسان الاغريقى ظل يحتفظ بمكانته . ومن مدن الاسكندرية وآسيا الصغرى وانطاكية استمدت بيزنطة روائعها . فالحضارة البيزنطية لها جذور عميقة فى الماضى وهى الواجهة لحضارة الاسكندرية • فالاسكندرية مدينة الهلنية الرئيسية فى القرن الثالث قبل الميلاد سلمت مكانتها الى بيزنطة فى القرن الرابع الميلادى بل يبالغ البعض أن ما حدث مجرد تغير فى مركز الحضارة الهلنية ولكن هذا يجافى الواقع فانه يتناسى دور المسيحية والكنيسة .

ولقد تأثرت الكنيسة وأثرت فى تلك الحضارة فقد استفادت النظرية المسيحية وصورت نفسها عن طريق اتصال العقل الاغريقى بالميتافيزقية التى أوجدها بول مؤسس اللاهوت ومؤلفات آباء الكنيسة كاثناسيوس باسيل واللاهوتين جريجورس Nyssa وجريجورس Nazianzus تأثرت بالنظريات اليونانية لأرسطو وأفلاطون والأفلاطونية الجديدة(٤) ووضعوا ما تعلموه فى البلاغة من السوفسطائيين والوثنيين فى خدمة المسيحية فالعالمان الفكريان اليونانى والمسيحى عاشا جنبا الى جنب فى اطار الحضارة البيزنطية فامتزجت الثقافة اليونانية بالعقيدة وان كان رجال الدين المسيحى فى القرن التاسع بدأوا يرفضون الفكر اليونانى وخاصة الفلسفة اليونانية وهنا انتهت فترة الابداع فى اللاهوت . ومع ذلك ظل البيزنطيون يدرسون أرسطاطاليس وأفلاطون ويضعون النماذج اليونانية كأسس لتعليمهم وفنونهم وآدابهم واذا

---

(٤) بينز : الامبراطورية الرومانية البيزنطية ٢٠٨

Marshall : op. cit. P. 220.

Hussey : op. cit. 158.

Dodds : Theurgy and its relationship to neoplatonism journel. Rom. stud. P. 55:

كانت المسيحية قد تأثرت بالفكر اليونانى فانها أثرت أيضا فمنذ القرن السادس بدأ الطابع المسيحى يسيطر على نوعية الفنون والآداب وبدأت تتخذ مظهرا مسيحيا وتنبذ الأخيلة اليونانية والنماذج اليونانية فى النحت والرسم والشعر والأدب بل ان الكنيسة جعلت الفنان يتجه الى موضوعات معينة يتناولها فتدخل التأليف فى الشعر العاطفى وتركز فى الجانب الدينى والمؤلفات التى تتناول فضائل الكنيسة وحياة القديسين وترتب على فترة الصراع الايقونى اشتغال عدد كبير من الرهبان بكتابة الحوليات التاريخية وان لم تكن ذات فائدة كبرى أما المؤلفات البيزنطية ذات القيمة التاريخية John Malals, Procopius. Leo Diaconus. Nicetas Acominatus ومؤلفات اناكومنين قد استخدمت كنموذجا لها الكتابات اليونانية والمنهج اليونانى(٥) .

وهذا يدفعنا لنقطة هامه وهى أن البعض يرى ان الحضارة البيزنطية حضارة غير خلاقة فمؤلفاتها مجموعة معتادة ولا تكون انتاج أدبى أو فنى ذا وزن . وان الأعمال الفعلية قليلة ونادرة ، ورغم أنهم ورثة الحضارتين الرومانية واليونانية . وان البيزنطيين لم يبدوا اهتماما بتعلم البيان وكان كل اهتمامهم بدراسة القانون الرومانى الذى ظل أساس نظامهم التشريعى . فى حين ظل أسس نظامها التعليمى يعتمد على الدراسات الاغريقية وظلت الفلسفة الاغريقية المثال الذى يحتذى لعدد كبير من أدبائها وشعرائها . وان اهتمام أوربا بالدراسات البيزنطية فيما بعد لمجرد انها تحوى الدراسات والآداب اليونانية القديمة ، وان ما تدمه العقل البيزنطى كان مجرد شروح فكأن الحضارة

---

(٥) Baynes : Byzantium Essay by F. H. Marshall 224.
Bury : op. cit. P. 323.
Vasiliev : op. cit P. 61.
Ostrogorsky : op. cit. 29.

البيزنطية هي مجرد ناقل للتراث اليوناني وانب نلمس هذا عملا في بعض المجالات الأدبية كالشعر واللغة • وان كانت أحرزت تقدما في بعض المجالات كالفنون ورغم أنه يستمد الروح المسيحية والابتكار كان في مجال الفنون الصغرى وامتازت بعض فنونه بالأصالة كالنقش العاج وعلم الزخرفات والفسيفساء والبناء(٦) •
ربما يرجع هذا الى القيود التي فرضتها الكنيسة في الفترة المسيحية الأولى فالكنيسة رغم استعانتها في الفترة الأولى بالنظريات اليونانية في وضع لاهوتها فقد احكمت في الفترة الثانية سيطرتها على الموضوعات التي يتناولها الأدب والفن فاستبعد الشعر الغنائي الذى يتناول عواطف الحب المتبادل بين الرجل والمرأة إلى الملاحم الدينية ؛ وقد نبع الأدب البيزنطي من مصدرين أصحاب المثل العليا من الرهبان والراهبات وأفكارهم عن العالم الآخر ثانيا رجال البلاط والدولة والأباطرة ورجال الأدب . وأصبح الأدب الذى يتناول العواطف الانسانية غير لائق . أما الأدب الشعبي البيزنطي فقد أصبح تطويرا للقصص اليونانية كحصار طروادة وأعمال الاسكندر واصبحت نموذجا للبطل المسيحي ، وعلم اللاهوت كرس للصراع مع روما على تقرير العقيدة . فالأديب البيزنطي انفق وقته في شروح وتعليقات وأصبح الشكل أهم من المضمون ولم تعد لديهم رغبة في التعمق في أسرار الطبيعة وخاصة بعد تحريم الكنيسة الرجوع للدراسات الفلسفية القديمة حتى أصبح ينظر لمن يدرس أرسطو بعين الارتياب ولكن اذا لم تكن بيزنطة قدمت الكثير في مجال الخلق والابداع . ولم تستطع

Marshall : Byzantium P. 225 (٦)
Hussey : op. cit. 160
Otto Demus : Byzantine Mosaic Decoration P. 4.

مجاراة أسلافها اليونان فان الفضل يعود لها فى حفظ التراث اليونانى واللاتينى(٧) .

نلاحظ مع تقدم الوقت ان الامبراطوريـــه بدأت تكتسب طابعا شرقيا وابتعدت عن الغرب ولقد اكتسبت بيزنطة ذلك الطابع نتيجـــة مؤثرات عديدة أولها وجود عاصمتها فى وسط يونانى حيث ما زالت حضارة اليونان حية ثم مجاورتها للولايات الشرقية للامبراطوريـــة الهلينستية فى مصر وانطاكية وآســيا الصغرى ثم التأثير الفارسى وتضيف الاستاذة Hussey ان هناك تأثيرات آشورية وبابلية وعبرية ومصرية امتصتها الحضارة الهلينستيه ونقلتها الى بيزنطة(٨) .

التأثير الفارسى :

رغم أن الدولة الفارسية تمثل أخطر أعداء بيزنطة وقيل أن من أسباب اتجاه قسطنطين الى الشرق مواجهة الخطر الفارسى ، فان هذا لم يمنع من وجود اتصــالات سلمية بل وتسرب تأثيرات فارســـية الى الحضـــارة البيزنطية . ولقد أخذت بيزنطـــة الكثير عن فارس فيما يتعلق بنظم الحكم وخاصة سلطة الامبراطورية وتقاليد العرش ومراسيم البلاط والاحتفالات التى أخذت نموذجا لها تقاليد الاحتفال فى قسطمونى ومنها أخذت أوربا فيما بعد أنظمة الاحتفال فى الدول الأوربية ، وأصبح شخص الامبراطور مقدسا تشبها بملك الملوك الذى

---

(٧) بينز : الامبراطورية البيزنطية ص ٢١٣

Hussey : op. cit. 153.
Bury : op. cit. P. 4.

(٨)

Hussey : op. cit. P. 9.
Bury : op. cit. 11.

يستمد سلطانه من الله ومن يتقدمون فى حضرته عليهم ان يركعوا ويقبلوا رداءه الارجوانى ، وأصبحت النقود تحمل من القرن الرابع لقب Domins Noster ، أصبحت علاقة الامبراطور بشعبه علاقة بين سيد وعبيده واتخذ لقب Drepot للدلالة على الامبراطور منذ عهد قسطنطين الى نهاية الامبراطورية ولقد تناسى الحاكم البيزنطى انه يحكم أحرارا . وكذه تشبه بالفرس ، فالشعب الخاضع للساسانيين كان ينظر الى ملكه كقوت كله .

ولقد تسربت الى الجيش كثير من التقاليد الحربية الفارسية فيذكر فازليف أن نظام الثغور الذى أوجده هرقل مأخوذ عن الأنظمة الفارسية زمن كسرى أنوشروان(٩) ثم التأثير الفارسى فى العمارة وهو احدى تأثيرات تحسين دور من فن العمارة البيزنطى فالموضوعات التى تناولها والزخارف ثم نظام القباب واستعمال المرمر والالوان واستعمال المينا والفسيفساء كلها ذات أصل فارسى وفى ميدان العلوم والرياضيات انتقلت العديد من المعلومات عن طريق طرابزون التى كانت على صلة بفارس(١٠) .

التأثير اليونانى الهلينى :

كانت الحضارة الهلينية أساسا للحضارة البيزنطية فقيام القسطنطينية فى وسط يونانى-جعلها تتجه بحضارتها وجهة شرقية وخاصة أن فنون وحضارة وآداب العالم اليونانى مازالت قائمة فى مدن مصر وسوريا وآسيا الصغرى وبلاد اليونان واللغة السائدة هى اليونانية وحضارتها يونانية هلينية ولم تفلح جهود الرومان فى

---

(٩) Bury : op. cit. P. 14.
Ostrogorsky : op. cit. 30.

(١٠) Vasiliv : op. cit. P. 228.
Hussey : op. cit. P. 149.

تحويلهم الى اللغة والحضارة اللاتينية . ولقد اخذت القسطنطينية عن الشرق اليونانى اللغة والأدب واللاهوت بل والعقيدة المسيحية نفسها وجدت فى الشرق(١٠) وكان لمفكرى الاسكندرية كلمنت Origen تأثيرهم على النظرية المسيحية ويعود الفضل لمصر فى ايجاد نظام التنسك والديرية حيث بدأت الديرية فى مصر فى القرن الثالث وبداية الرابع على يد القديس انطون والقديس باخوم ثم انتقلت لبيزنطة والغرب منذ القرن السادس . وبعد انتهاء فترة الانتقال أصبحت اليونانية لغة الدولة الرسمية والحضارة بيزنطية شرقية حتى لقب الامبراطور تخلى عنه وحمل الامبراطور لقب باسيليوس اليونانى وهذا يدفعنا لدراسة التأثير الشرقى فى الحضارة البيزنطية فى جميع مظاهرها حتى نستطيع التعرف لجذور تلك الحضارة(١١) فنجد التأثير اليونانى يبدو واضحا بل هو جوهر الدراسات الأدبية التاريخية واللغوية والفنون البيزنطية .

أولا ـ التعليم :

رغم أن البيزنطيين كان ينعتون انفسهم بالرومان فان اعتمادهم الأساسى كان على اللغة والدراسات الاغريقية فكان الاعتماد فى التعليم على الكتابات اليونانية لهوميروس وديموستنين هيرودتس سقراط ولقد رفض Libanius فى القرن الرابع تعلم اللاتينية ووصفها بالبربرية وكانت جامعة أثينا فى القرن الرابع من المراكز العلمية الهامة ولقد ذهب اليها القديس باسل Greogery. Nazianus, مع معاصرهم الوثنى جوليان ورغم ان التعليم يتعارض مع النظريات

(١١) Hussey : op. cit. P. 146.
Marshall : Byzantium 323.

المسيحية لارتكانه للآداب اليونانية الوثنية فان القديس باسل نصح بتعلم الحضارة الاغريقية دون الاعتقاد بما تتضمنه • وكان بجانب مدرسة أثينا العديد من المدارس في انطاكية والاسكندرية وبيروت • ولقد شجع الامبراطور قسطنطين دراسة اليونانية وقام ثيودسيوس الثاني ٤٢٥ م باقامة عشر كراسي لليونانيـــة واضطر جستنيان لأن يجعل مراسيمه Constitution ترجمات يونانية حتى يفهمها الشعب ورغم اغلاق جامعة أثينا في عهد جستنيان وسقوط الاسكندرية وبيروت وانطاكية في أيدى العرب(١٢)لكن التقاليد الهلينية حملتها القسطنطينية وأصبحت أهم مركز اغريقي الى ١٢٠٤ م ولقد استمرت كتب فيثاغورث وزينون تدرس ولم يقدم المعلمون البيزنطيون غالبا الا شروحا • حتى قال يوحنا الدمشقي « انه لن يقول شيئا من بنات افكاره فليس هناك أصالة(١٣) » • ولقد قارن بعض الدارسين التعليم البيزنطى بالاغريقى « فقال ان الرغبـــة في الدراســـة من طابع الاغريق منذ العصـــور القديمة وهـــذا جعل الاغريق يحتفظون بطابعهم وجنسيتهم على مر العصـــور » ولقد انتشرت المدارس في بيزنطة نيقوميديا وكبادوكيا وساردس وبرجامة • وقد استمرت تلك المدارس تدرس اليونانيـــة حتى القرن الحادى عشر وكانت الافلاطونية والافلاطونية الحديثة من المناهـــج المقررة على الطلبـــة وفى عهد آل باليولوجس استعادت مدرسة الفلسفة تحت حكم ميخائيل باليوجس وضعها وكان يدرس بها أرسطاطاليس(١٤) • ولا يفوتنا أن نذكر اللغة المستعملة كانت اليونانية ولقد فضل البيزنطيون التخاطب بها ولكن كانت هناك فجوة بين اللغة

---

(١٢) Marshell, Byzantium

(١٣) نورمان بينز : الامبراطورية البيزنطية ص ١١٠

(١٤) Vasiliev : op. cit. op. 6 , Ostrogorsky : op. 69.
Hussey : op. cit. P. 346.

المكتوبة الاتيكيــة Koine المستعملة فى الكلام ولقد حاول الاساتذة الأول امثال غريغوريوس وسينوسيوس معالجة هذا الأمر .

الفلســفة :

أعتمد اللاهوت المسيحى فى وضع نظريته على الفلسفة اليونانية واستخدام آباء الكنيسة فى كبدوكيا الفلسفة الافلاطونيــة المحدثة أمثال Gregory Nazianus Gregory Nysse وحوالى عام ٥٠٠ م أصــدر مؤلف مجهول مجموعة Corpus Dionysiey ولقد أخذ هــذا المؤلف اســم Dionysius Areopagite واســتعار كثــيرا مــن أعمــال Proclus فى كتبه على الفلسفة الأفلاطونية ، ولقد أصبحت الأفلاطونية الحديثة جزءا من منهج الكنيسة الشرقية، ويوحنا الدمشقى فى كتابه Fountain of Knowledge أعتمد على منهج أرسطاطاليس . وفى القرن السادس أدخل ليونتيوس تحديدات أرسطو فى التفكير المسيحى ونلاحظ أن العداء للفلسفة اليونانية بدأ منذ القرن الخامس وأصبح ينظر اليها بعين الريبة لأنها كانت موضوعات ترفض الكنيســة أن يتجــه النظر اليها رغم استعمالها الفلسفة فى شرح عقيدتهــا ومع ذلك استعملها تاكتيميوس اثناء الصراع حول اسالة الوتوشتية ولقد أغلق جستنيان مدرســة الفلسفة فى أثينا٥٢٩ م وحين أعــاد ميخائيل باليولوجس مدرســة الفلسفة فى القرن الثالث عشر منع تدريس أفلاطون(١٥) . ومع ذلك فلقد ظل الناس يدرسونه ، وان كان انتاج بيزنطة فى ميدان الفلسفة مجموعة شروح على فلسفات افلاطون

---

(١٥) Georgina Buckler : Byzantine Education P. 211.
Marshall : op. cit. P. 227.
Hussey : op. cit. 148.
Karl Bleterich : Helenism in Asia Minor P. 44.

وأرسطو وبروكلس فالعقل البيزنطى اهتم بالانسانيات والأدب أكثر من اهتمامه بالفلسفة ولكن اللاهوت كان عظيم الاستفادة من العقل اليونانى ولقد قامت مدرسة فلسفية مسيحية فى الاسكندرية كان من زعمائها كامنت Origen وان كان نظر الى آرائه فيما بعد على أنها متهرطقة(١٦) .

الأدب :

كان الأدب البيزنطى نسخة مقلدة من الأدب الهلينى وان لم يصل الى مستواه فى الخلق والابداع فلم ينتج الأدب البيزنطى ـ سوفكليس أو ارستوفانيز آخر . وكذلك فى ميدان الشعر لا يوجد الا عمل أو عملان هامان فى القرن السابع مثل مؤلفات جورج Pisidia عن هرقل . والباقى مجموعات دينية . وكان الأديب البيزنطى يهتم بالشكل الكلاسيكى . فحرصه الأول الحفاظ على التقاليد اليونانية دون مضمونها فكان ينقصه الأصالة . ولقد مر الأدب البيزنطى بمراحل كان لكل منها طابعه المميز أولاها تمتد من القرن الرابع الى السابع من قسطنطين الى هرقل وفى انتقل الى الحضارة المسيحية حيث خلقت النماذج التى اتبعتها الأدباء المتأخرون وهذه الفترة شهدت نهاية المجد الاغريقى وبدأ سيطرة نفوذ الكنيسة فى الأدب فالفترة الأولى كانت امتداد للآداب اليونانية(١٧). فاذا نظرت للفروع الأدبية المختلفة لا نجد عملا أدبيا ذا قيمة عالية . ففى ميدان القصة كان هناك عمل

---

(١٦) Marshall , op. cit. 226
Hussey op. cit. 149.

(١٧) اشتهرت قصة بستان الفيلسوف ترجمت من السريانية فى القرن الثانى عشر . وقصة ستيفانيتس والكلاش ترجمت عن العربية والأصل فى كلتيهما قصة هندية .
رانسمان : الحضارة البيزنطية ص ٢٠١

فردى واحد له شهرة وهى قصة Barlam a.. joasoph وان كانت من أصل هندى وهى حياة بوذا اتخذت قالبا مسيحيا ولقد كتبها الراهب حنا فى دير St Sabos فى منتصف القرن السابع .

ولقد ظهر فى هذا العصر الأدب الذى يتناول السير الشخصية وخاصة آباء الكنيسة كسيرة القديس انطوان التى كتبها اثناسيوس(١٨)، وازدهر هذا الفن فى القرن السادس والسابع فى أعمال كيرس Scythopolis ، Leontius Neapolis وخلال السيرة الذاتية للشخص صوروا البيئة والحياة السائدة ، واتخذ كتابها كنموذج لها سير الأبطال القدماء كالاسكندر وآخيل وهناك عدد من القصص الأدبية اتخذت من القصص الاغريقية القديمة نموذجا بعد أن أعطتها الطابع والأسماء المسيحية . ولقد انتشرت هذه على نطاق واسع فى أرمينيا وبين السلاف .

وبالنسبة للشعر فان النماذج البيزنطية الأولى اتبعت الأوزان والأخيلة اليونانية ولقد كانت آخر المؤلفات الشعرية الوثنية التى اتخذت الخيال الاغريقى مؤلفات Nonnus نونتى فى القرن الخامس وأصبحت المؤلفات الشعرية تعتمد على النماذج الكلاسيكية اليونانية وان صيغت فى قالب مسيحى ومن أبرز المؤلفات أشعار وترانيم Synasius فى القرن الرابع والخامس الميلادى وكان وثنيا ثم أصبح أسقف مسيحيا وعلى نموذج الشعر الاغريقى أعطى الكنيسة الاغريقية بعضا من ترانيمها المسيحية الأولى وعلى نفس

---

(١٨) Neale : Hymns of the Eastern chruch introduction. Palladius hieronymus the book of paradise trans E. A. W. Budge vol Ip 8-12.

النسق كانت مؤلفات جورج نازانيوس وكان أشهر الشعراء اللاهوتين رومانوس Prodes • ولقد شاهدت الفترة من ٦٥٠ م توقفا فى النشاط الأدبى لانشغال الامبراطورية بالصراع مع العرب والسلاف والبلغار فانحرف الناس من العلم للسيف وفى عصر الصراع على الأيقونات تركزت المؤلفات فى الموضوعات الدينية ومع ذلك ظل الأدب البيزنطى يعود الى التراث الكلاسيكى •

التاريخ :

كان التاريخ هو المجال الوحيد من بين جميع المجالات الأدبية التى بدت فيها مقدرة المؤرخ البيزنطى ورغم تأثر المدونات التاريخية وفكرة كتابة التاريخ بموضوع خلاص المسيح ، ورغم استعمالهم نماذج Xenophen Thucydides وهيرودت فان المؤلفات التاريخية البيزنطية بدت ذات منهج متميز(١٩) • وكان الاهتمام بكتابة التاريخ يرجع لما أحاط ببيزنطة من ظروف دفع فئات الشعب المختلفة لاهتمام بما يدور حولهم وخاصة أن العاصمة كانت فى حالة تهديد مستمر من شعوب مختلفة كالفرس والعرب والسلاف ولقد انقسم مؤرخو التاريخ قسمين قسم كتب تواريخ ذات قيمة تاريخية وهؤلاء من طبقات اجتماعية مميزة ،اتخذوا نماذجا لهم المؤلفات الاغريقية القديمة فى التاريخ(٢٠) • وتواريخ عامة من السهل على الشعب تفهمها قام بها رهبان أنصاف متعلمين ومن الأمثلة الأولى بروكوبيوس بركوبيوس انا كومنين قسطنطين بورفورجينتوس(٢١) ويعد بركبيوس من أشهر مؤرخى بيزنطة عاصر فترة حكم جستنيان وألف كتابين عن جستنيان ثم كتاب ثالث

---

(١٩) بينز : الامبراطورية البيزنطية ص ٢٢٥

(٢٠) Marshall : Byzantine Literature P. 228.
Hussey : op. Cit. P. 44.

(٢١) رنسمان : الحضارة البيزنطية ص ٢٨٢
Constantin vll de administrando trans jenkins

ظهر بعد وفاته وهو Secret History الذى كان هجاء فى جستنيان وزوجته ثيودورا ؛ واتبع نموذجا هيرودت Thucydides فى منهجه ؛ واما آنا كومنين ابنه الكسيوس كومنين فقد ذكرت ما افادته من الآداب الاغريقية القديمة فى مقدمة كتابها Alexaid « لقد حصلت من خلال دراستى للآداب الاغريقية التى وصلت الى درجة عظيمة على المعرفة ... فى قرئتها من خلال آداب وأعمال أرسطو وحوار افلاطون » (٢٢) .

أما مؤرخى تاريخ العالم من رجال الأديرة فلقد أفادوا فى البداية من الاغريق فنجد فى كتابات John malalas يبدو تأثره ببعض الفلسفات الاغريقية حيث كانت الاغريقية مازالت تدرس فلسفة وتاريخيا وأدبا وكذلك فى تواريخ كل من جورج الراهب الذى عرف باسم Hamartolus وعاش زمن ميخائيل الثالث ٨٤٢ ـ ٧٦٠ م وألف عدة تواريخ تبدأ من آدم الى عهد الامبراطور ثيوفيل . وحنا Zonaras الذى عاش فى منتصف القرن الحادى عشر وأكمل تاريخ الراهب . وكان رجل ذو ثقافة واسعة ولقد خدم الامبراطورية ثم نفى الى دير فى احدى جزر الأمراء وألف Epitome of Histories وتاريخه هذا بدأه ببداية الخليقة وانتهى به لتولية حنا كومنين ١١١٨ م ولقد استمده من المصادر الاغريقية القديمة فدرس هيردوت اكزنفون Josephus, Dio Cassius, ثم المصادر الأحدث كبروكبيوس وجورج الراهب فأسلوبه متطور ولكن الشكل والمضمون خضعا لتأثير المصادر الكلاسيكية وبذلك نرى أن المصادر اليونانية وكتابات المؤرخين اليونان تأثر بها جميع مؤرخى ذلك العصر واتخذوها نموذجا (٢٣) .

---

(٢٢) Anna Comnena : Alexiad. Trans E.A.S. Daves.
Georgina Buckler : Byzantine Education P. 200-220
Georgina Buckler : op. cit., p 219.

الفن البيزنطى :

يبدو الأثر الشرقى أكثر وضوحا فى الفن البيزنطى منه فى أى مجال حضارى آخر ، رغم ان المشاهد للاثار الحضارية والمعمارية يلاحظ فرقا واضحا بين البارثانيون فى الاكربول وكنيسة أياصوفيا فى القسطنطنية والفرق بين وجه أبولو المنحوت وبين المزايكو المسيحية وهذا الاختلاف يوضح الفرق بين بيزنطة والعالم القديم(٢) • ومع ذلك فان الفن البيزنطى كان ذا أصل شرقى ولقـد مرت به قرون ليكتسب طابعـه المميز ذاك وليتخـذ الفن البيزنطى شـكلا وهيئة جديـدة(٢٤) •

ولقد استمد الفن البيزنطى من مصدرين أساسين أولهما المدن الهيلنستية فى اسكندرية وأنطاكية وأفسوس(٢٥) • والثانى الحضارة اليونانية وبالنسبة للمصدر الأول استمرت الموضـوعات الوثنيـة المستمدة من الأساطير وتأثر الفن البيزنطى بوجوده فى وسط عالم يونانى بروائع الفن الهلينستى فى الزخرفة والتلوين وأصبحت بيزنطة مدرسة الفن الكلاسيكى ، فقلدت فن الاسكندرية فى زخارف أشجار الكروم واوراق الاكانتوس ومشاهد الألعاب الوثنية والحيوانات(٢٦) وسخر النحت الهلينى لخدمة المسيحية ؛ وفى ميدان العمارة بدأ الأثر الهلينى واضحا فى مزايكو وفريسكو القرن الرابع والخامس ، وشاع

---

(٢٤) Karl Dietresich : Hellenism in Asia Minor p. 30.
Hussey : op. cit p. 145.

(٢٥) Hussey : op. cit p. 156.
Brehier : Civilisation By zantine p. 30.
Grabar : Byrantine Painting.

(٢٦) Enc. of the Arts. Dagobert.
Diehl : Byzantium p. 171.
Hussey : op. cit p. 157

الطراز السكندرى فى بناء المنازل وكنيسة أيا صوفيا قام بتشييدها مهندسان من آسيا الصغرى هما ابتميوس وابيسدور، وشهرة اليونان فى العمارة تعود الى العصور القديمة فقد أمر أحد القادة الفرس قواده قبل أن يخوض أحد المعارك مع اليونان والأرمن المحالفين أن يأسروا أكبر عدد ممكن منهم كي يستخدموهم فى عمارة القصور • وفى عصر آل كومنين بدأ تأثير العصور القديمة واضحا بتصويرهم أساطير اليونان القديمة حول آخيل والاسكندر . والاهتمام بتصوير الأشخاص، ولكن اتخذوا مواضيع مسيحية ولقد احتفظ البيزنطين بما فى التراث الهلينى من زخرفة مع الفخامة الرومانية •

والمصدر الثانى كان ميراث التقاليد الشرقية من الايرانيين الساسانيين ، والذى وصل الى اليونان ، وبعث للحياة خلال مصر وسوريا والعراق وأرمينيا وطرد التأثير الاغريقى ، والمسيحية لكرهها للوثنية حاولت أن تقطع صلتها بالميراث الكلاسيكى وقررت أن تتعلم من الشرق(٢٧) •

فالفن البيزنطى كان نتاج لاتحاد العنصرين الشرقى الساسانى واليونانى وان كان رنسمان ذكر أن للفن الآرامى تأثير كبير فى القرن الرابع على بيزنطة فهو تجسيد للألم الانسانى ونتاج المذهب الانطباعى impcressionism (٢٨)الذىبدأ تأثيره فىالفن البيزنطى .وأضاف البعض أن الفن البيزنطى تأثر بروما فى ضخامة المبانى وفخامتها حيث سخر الفن لخدمة الحاكم وهذا يبدو فى قوس نصر قسطنطين وفى كنيسة sant viale ولكن التأثير الأكبر كان للهلينية والساسانيين •

---

(٢٧) بينز : الامبراطورية البيزنطية ص ٢٣١

(٢٨) رنسمان : الحضارة البيزنطية ص ٢١١

Diehl By Zantium. p. 172

وبعد الاعترف بالمسيحية ظهر هذا العـدد الكبير من الكنائس وظهرت البازليكا الهلينيـة الى جانب السليكا الشرقية الموجودة فى العراق وأخـذ من ايران استعمال القباق التى نجدهـا فى الآثار الفارسية فى سلوكيا تحملها دعائم شرقية والوية اغريقيـة الطابع وتزينها رسـوم شرقيـة لطيور وطواويس ، ومن فارس استعملوا الرخام الملون والمينا الارابسك وألوان الاروقة كلها كانت ذات طابع شرقى ساسانى .

ولقـد تأثر الفن الساسـانى بالمذاهب التى ظهرت فى ايران كالمدنية فظهر فن رمزى لنماذج لعلها جاءت من تركستان وهـذه أثرت بدورها فى الفن البيزنطى . فالفن البيزنطى أخذ من المسيحية أفكارها ومواضيعها ومن الفن السكندرى زينته وزخارفه ومن التقاليد الكلاسيكية جمال التصميم ووضوح المعالجة .

وحين أنشأ قسطنطين عاصمته على ضفاف البسفور ظلت المراكز الفنية الأولى فى القرن الثالث والرابع فى الاسـكندرية وأنطاكيـة وافسيوس ولعبت القسطنطينية دورا ثانويا . ففنون العمارة والزخرفة وروائع الفن الهلينى كانت ومازالت قائمة فى كنائس أرمينيا وآسيا الصغرى والاسكندرية ولكن قسطنطين نقل روائع تلك الأماكن الى عاصمته فهناك تمثال أبولو المصنوع من البرونز الذى نقله من أثينا أو من أحد مدن غريجيا الى الجانب العديد من الآثار اليونانية ولقد بدأ الطراز الشرقى واضحا فى عمارة وزخارف تلك الفترة كنموذج كنيسـة العذراء فى سالونيكا وكنيسـة Sant Sergus

وعدد كبير من الأبنية جرى تخطيطها على أساس اغريقى بل أن تخطيط الكنيسة على شكل صليب يرجع الى أصـل اغريقى أو ربما أرمنى(٢٩) .

---

(٢٩) رنسمان . الحضارة البيزنطية ص ٢٦١

ويبدو تأثير مدرسة الاسكندرية واضحا فى التصوير فالتصوير المسيحى للقصص التاريخية نجد فيه نفس الثنائية التى نجدها فى مقابر أخميم وأنصوبن ولقد جمع فن التصوير البيزنطى بين المدرستين اليونانية والفارسية(٣٠) . فبدأ الفن السكندرى واضحا فى أشكال الوجوه والمناظره الطبيعية ، كالازهـار ونبات الاكانتوس والألعاب الوثنيـة ثم الفن الفارسى الذى يبـدو واضـحا فى طرق تكويناته ورسومه كالطواويس ومناظر الفرسان والصيادين وسائقى عربات وكانت جميعها شرقية الألوان . ولقد شـاهد النحت نفس التأثيرات الشرقيه وأفضل مثال لذلك عرش الأسقف مكسميان فى رافنا الذى يعود الى القرن السادس ومثلت فيه حياة المسيح ويوحنا المعمدان وغلبت الهلينية فى الصور الصغيرة وفى المخطوطات المحلاة بالصور وفى الفسيفساء(٣١) .

ولقد استمرت بيزنطيه تعيش على التراث الشرقى الى القرن السادس فى عهـد جستنيان حيث ولد فن معمارى بيزنطى وتركوا المواضيع التى تناولتها مدرسـة الاسكندرية وتناولوا موضـوعات مسيحية بحته فيها تجديد وأصالة وبدأ تمثيل صور الانجيل وهـذا الفن البيزنطى بدأ واضـحا فى كنيسـة اياصـوفيا ورغم أن الفن البيزنطى أعتمد أساسا على التأثيرات الشرقية فان فن القرن السادس بدأ طابعه متميزا .

ولكن فى القرن الثامن والتاسع مع ظهور المشكله الايقونيه كان من الطبيعى أن يرفض الأباطرة من مدمرى الصور الايقونيه الفن

---

(٣٠) Diehl : Byzantium p. 112.
Hussey : op. cit. p. 159.

(٣١) بينز : الامبراطورية البيزنطية ص ٢٣٢

البيزنطى الدينى المتمثل فى تجسيد الشخصيات الدينية ويعودوا الى مدرسة الاسكندرية حيث ملئوا المساحات التى دمروها بالأشجار والمناظر وانتصارات الامبراطور والزخارف . وان كان الفن الدينى البيزنطى لم يختفى بل ظهر بالمقابل فى الاديرة فن ديرى وأن كان هو الآخر قد أخذ تأثيرا شرقيا من انطاكية مثال كنيسة القديس لوقافى فوكيس(٣٢) ومن القرن التاسع الى القرن الثانى عشر كانت النهضة الثانية للفن البيزنطى ولم تعد أشكال الناس جامدة بل أخذت أوضاع رشيقة ومع ذلك فان الروح الهلينية وان دمرت فانها لم تمت فصورها الفكرية كانت تتأصل في دم الاغريقى فنجد مؤثرات هلينية ابان القرن الثانى عشر وان كان ينقصها القوة والوحدة ومع الفتح اللاتينى توقفت أعمال المدارس الفنية وعاد الفن الهلينى مع آل باليولوجس(٣٣) وكان هذه المرة ممتزجا بالفن الدينى أيضا ويبدوا هذا فى كنيسة Chora فى القسطنطينية وعند القرن الثالث عشر ظهرت مدارس محلية هى المقدونية والكريتية الذى يبدو فيها أثر الشرق واضحا وظلت الى سقوط الامبراطورية فى القرن الخامس(٣٤) . وبذلك يتضح أن الشرق سواء كان يونانيا هلينيا أو فارسيا كان له أكبر الأثر على فنون بيزنطة وادابها تشربته حضارة بيزنطة وظل حيا تاركا بصماته الى سقوط الامبراطورية فى القرن الخامس عشر .

---

(٣٢) Diehl : Byzantium p 166 — 220.
Hussey : op. cit 163.
Otto Demus : Byzantine Mosaic p4.

(٣٣) Hussey op cit p 163.
Otto De mus : Byzantine Mosaic p4.

(٣٤) Diehl : Byzantium p 198.
Hussey : op cit 165.

نظـام الحـكم :

كان استمرار الدولة البيزنطية لأحد عشر قرنا يعود لمـا تميز به دستورها ونظامهـا الادارى ولقدرتها فى الحفاظ عليها . ولقد امتاز الحـكم البيزنطى بالاوتوقراطيـة الامبراطوريـة والمركزيـة السياسية والحكومة البيروقراطية ، ولكن أهم سماته كان الاوتوقراطية المتمثلة فى سلطات الامبراطور المطلقـة والتى جعلت روما القديمـة بسننها الجمهورية ومجلس السناتو ، ومجالسها التشريعية لا تتفق وفكرة الامبراطورية الشرقية عن السيادة الملكية(٣٥) .

سلطة الامبراطور وظهور الاوتوقراطية :

يرجع الى عدة أسباب منها حالة عدم الاستقرار ونشوب الحروب الأهلية المستمر نتيجة للاضطرابات الداخلية التى حدثت فى القرن الثالث والصراع على العرش وما تبعه من مشـاكل وما تعرضت له الامبراطورية من ضغوط خارجية من أعداء على حدودها لم يتيحوا لها الا فرصا نادرة للسلام وهـذا دفع بالشعب لوضـع أمله فى الامبراطور الذى تركزت فى يديه جميع السلطات فى كل فرع من فروع الحياة وأحكمت البيروقراطيـه سيطرتها على ادارات الدولة وسخرت جميعا كأدوات لخدمـة الامبراطور الذى أمتد سلطانة الى التشريع والقانون والادارة والجيش واصبح كل أمر فى الدولة مرده اليه(٣٦) . وفقدت الهيئات التشريعية والادارية القديمة سلطانها فلم يعد للسناتو بجانب الامبراطور المؤله الذى لم تكن لتستطيع قوة أن تعزله الى قوة الثورة والتمرد وأصبح الاباطرة المستبدين عقابا الهيا

---

(٣٥) Wilehelm Ensslin : Byzantium p 268.
Vasiliev : op cit p 5.

(٣٦) رنسمان : الحضارة البيزنطية ص ٥
Camb : Medieval History Voll. p 26.
بينز : الامبراطورية البيزنطية ص ٧٤ .

للشعب لايمكن دفعه الا بثورة ناجحة والفئة الوحيدة التى مارست
نوعا من الضغط على الامبراطور وادواته السياسية كانت الاحزاب
البيزنطية التى أعطت لنفسها حق الانتقاد والثورة وان كان أمرها
قد بدأ يضمحل مع بداية القرن السادس ولم تصبح هناك قوة تستطيع
مجابهة سلطان الامبراطور المطلق الا الجيش وقواده .

ولقد كان هذا النظــام فى جوهره ميراثا من الماضى الرومانى
فبيزنطية مرتبطة مع المــاضى Imperium Romanum وأعتبر الاباطــرة
أنفسهم خلفــاء القياصرة الرومان ، فتحول الامبراطور من المواطن
الأول الى ملك مفرد مؤله وان اختلف الوضــع فى الامبراطوريــة
الرومانية المسيحية عنها فى الامبراطورية الوثنية .

ولقد كان هذا النظام فى جوهره ميراثا من المــاضى الرومانى
قد انتهت وبدأ عدم التجانس فى النظام الذى اقامه أغسطس لادارة
دولته ، رغم محاولات ادخال تحسينات عليه. وقد أثبتت الأيام أن هناك
نظاما أكثر مركزية وأكثر اصلاحا أصبحت الحاجة اليه ماسة وبذلك
انتهت الجمهورية قبل نهاية الثالث. أوربيان القرن بدا كملك لاكمواطن
ودقلديانوس وقسطنطين انتقلا بالدولة من مرحــلة الجمهورية الى
الاتوقراطية ، وصاحب ذلك اصلاحات متطرفه وأغسطس حافظ على
الاستمرار مع الماضى بالمحافظة على الاصلاحات الجمهورية فى حين
أن قسطنطين وخلفائه أقاموا دولة على أساس جديد تركزت السلطة
العليا فى يد الامبراطور ولم تأت الاوتوقراطية بتغيرات أســاسيــة
حتى فى المظهر العام للامبراطورية . فقد ظل انتخاب الامبراطور
الى القرن الخامس عشر يخضــع للانتخــاب الذى يتم عن طريق
الجيش والسناتو والشعب ، ومنذ البداية كان Princeps قد أخــذ

---

(٣٧) Wilehelm Ensslin Byzantium p 268.
Camb. Med. hist Vol. Ip 24.

(٣٨) بينز : الامبراطورية البيزنطيه ص ٧٤

على عاتقه قيادة الجيش والاشراف على الولايات التى كانت فى حاجه لحمايه عسكريه . وما عدا ذلك احتفظ حكام الجمهورية بحقوقهم القديمه ورغم أن أغسطس قد سعى الى جعل السناتو شريكا له فى الحكم فان هذا لم يستطيع القيام بدور ايجابى وبدأ هذا واضحا خلال عهود تيبريوس وكلوديوس ولقد أبعد جاليانوس اعضاء مجلس الشيوخ عن الجيش وأقصاهم دقلديانوس عن ادارة الولايات(٣٩)ومنذ عهد دقلديانوس ومع زيادة الطابع الشرقى للامبراطورية أصبح لقب الامبراطور Autoctrator (٤٠) ويرجع البعض هذا التأثير لأصول شرقية ذكر جيبون « اعتز الرومان اعتزازا كريما بالسلطة الفعلية وتركوا لغرور الشرق مجال التباهى والظهور بمظهر العظمة . ولكنهم فقدوا حتى مجرد صور الفضائل التى نبعت من حريتهم القديمة . وتلوثت بطرق غير ملحوظة بساطة سلوكهم بالابهة المصطنعة فى بلاد آسيا ، فان امتيازات الكفاية الشخصية تلك التى تبرز فى آية جمهورية على حين انها قد تكون حقيقه غامضة فى آية ملكية . قد قضى عليها استبداد الأباطرة الذين استبدلوا زلالا عاتيا لكل ذى مكانة أو منصب : من العبيد الذين أضفت عليهم الالقاب ووضعوا على عتبة العرش »(٤١) ولقد قلدوا الساسانيين باحاطة أنفسهم بهالة من الجلال ونقل دقلديانوس عن الفرس كثيرا من مراسمهم وثيابهم الرسمية وأخذ يعيش منعزلا فى بلاطه بعيدا عن شعبه . وكان يقوم الخصيان على خدمته ومن يلقاه ينطرح على الأرض ويقبل ردائه

---

(٣٩) Diehl : Byzance, Grandeur et Decadence p 22.
Wilehelm Ensslin Byzantium p 268.
Bury : op cit p 12.

(٤٠) Camb. Med. Hist Vol. p 26.
Vasiliev : op cit p 64.

(٤١) جيبون : اضمحلال الامبراطورية ص ٧٥

الارجوانى وأصبحت نقوذة تحمل من القرن الرابع Dominus Noster فاهم التقاليد الشرقية التى تأثر بها العرش الامبراطورى هى فكرة الامبراطور المؤلة . وبدأ كان التقاليد الهلينيــة بعثت من جــديد . فمنذ عهد الامبراطورية الرومانية الأول أخذ الامير أو princeps الذى حمل لقب أغسطس يشعر برفعته على البشر وكان اختيار اكتافيوس لقب أغسطس مرتبط ارتباطا شديدا بلقب الألوهية ، فاذا مات الامبراطور زالت عنه كل عناصر البشرية ولقد وصف أغسطس نفسه Divifius وهذا انتهى مع نهاية عهد julio-claudius ولكن مع حكم أورليان عادت النظرية الالهية(٤٢) .

والاعتراف بالمسيحيــة لم يكن من الممكن أن يظل الامبراطور مؤلها فزالت صفة الالوهية لتحــل محلهــا صفة التقديس كما قــال القديس Ambrose فأصبح ممثل الله على الأرض فكما هناك آله واحد فهناك امبراطور واحد سلطته لا يحدها شىء(٤٣) قال يوزبيوس أن المسيحية رفعت وميزت الامبراطورية الأرضية وان الله منحه سلطات الامبراطور كما جعل بطرس رئيس الرسل لنفع شعبه الوفى(٤٤)، ولقد أحيط باحتفالات دينية وهى مرتبطة بالطقوس الكنائسية القديمة . وكتــاب قســطنطين الســابع بروفجنتيوس فى القــرن العــاشر Book of ceremionies يوضــح الصــلة بين الامبراطور البيزنطى والمسيحى ، وأن الاحتفالات تستمد قيمتها من الامبراطور لأن الطبيعة

---

(٤٢) جيبون اضمحلال الامبراطورية الرومانية ص ٧٥

Camb med. Hist. Vol. I p 26.

Bury : op. cit. p 16.

(٤٣) جيبون : سقوط الامبراطورية ج ١ ص ٥٧

Hussey : op cit p 86.

Wilhelm Ensslin op cit p 207.

Vasile op p 68.

(٤٤) Eusebius : Vita Constantini trans heikel

الامبراطورية تعكس التوافق الالهى ان الخالق منح العالم الامبراطور البيزنطى حيث اعتبره خليفة الثلاث عشر قديسا(٤٥) .

ولقب الامبراطور القديم Emperator Augustus أصبح Autokrator وفى ٦٢٩م بعد هزيمة الفرس على يد هرقل سمى الامبراطور Augustus Basileus وهى كلمة اغريقية تعنى الملك وهى تقابل اللقب الرومانى Rex ولكن فى القرن الرابع بدأ القب الاغريقى يستعمل للامبراطور والملك الفارسى أما Rex فأصبح يستعمل للحكام البرابرة أما الأباطرة فاستعملوا فى القرن السابع فى مراسمهم وقراراتهم لقب Auto crator وان كان الأباطرة البيزنطيين بعد تتويج شارلمان امبراطور على الغرب حملوا لقب Basilieus Romanium وظلت النقود الى القرن الثامن تحمل تعبيرات وأساطير لاتينية وأول عملة حملت نقش يونانى كانت تحمل Despot Basilieus واستعمال كلمة Despot كانت تعنى تغيرا هاما فى العلاقة بين الحاكم والشعب اذ أنها تعنى صلة بين سيد وعبيده(٤٦) . وأصبح على اتباع الامبراطور أن يخاطبونه بعبيدك ويذكر جستنيان فى قانونه الخاص بسلطان الحاكم lex de Emperio أن الشعب نقل سيادته للامبراطور . والمقصود بالاوتوقراطية الحكم المطلق للسيد الفرد الذى يقبض على زمام جميع السلطات سواء كانت تشريعية أو قضائية ادارية حربية أو ما يتعلق بالعقيدة على حد سواء وتنازل الشعب له عن حقوقه بكامل رغبته وهو رئيس الكنيسة وحامى الدين ومع ذلك فان ارتقاء الامبراطور العرش ظل يخضع للانتخاب طوال تاريخ الامبراطورية وهو ميراث من روما القديمة فيقوم الجيش والسناتو بعرض مرشح

---

(٤٥) Constantine parphyrogenitus : op. cit p45.
Hussey : op. cit p 86.
Bréhier : Les Origines des Titres p 16.

(٤٦) بينز : الامبراطورية البيزنطية ص ٧٨

وغالبا يتولى هذا السناتو الذى كان فى هذا الوقت مكون من مجموعة من كبار الموظفين ، وكان من حق الجيش ترشيح من يرى فيه الاهلية وعادة الذى يشترك فى هذا الاحتفال الفرق المقيمة فى العاصمة بعد موافقة السناتو والجيش ولا يصبح التنصيب شرعيا الا عن طريق تأكيد الشعب فى احتفال عام فى Hippodrome ومنذ عام ٤٥٧ م اشترك البطريرك فى تتويج الامبراطور عن طريق تتويجه بالتاج وان كان هذا ليس شرطا أساسيا(٤٧) ، وفى القرن السابع أصبح التتويج فى كنيسة القديسة صوفيا وان كان البطريرك لا يعتبر ممثلا للكنيسة وانما ممثلا للناخبين فدور البطريرك كان شكليا باعتبار الامبراطور مستمدا سلطانه من الله(٤٨) . فالاوتوقراطيه كهانة مذ نه وشخص الملك مقدس وفى القرن السابع أصبح البطريرك يمسح الامبراطور بالزيت دليل على القداسة .

لكن تلك الاجراءات كانت تعتبر اجراءات شكلية اذ أن الاوتوقراط بما له من سلطات مطلقة قد طبق مبدأ الوراثة فى العرش وأصبحت تلك الهيئات ما عليها الا اعلان موافقتها الرسمية ، ومنذ البداية أعتبر أمر وراثة العرش أصبح حقا معترفا به للامبراطور وأصبح من المعتاد أن يشرك الحاكم القائم معه خليفته ليسهل توليه فيما بعد وكان لابد للناخبين أن يعلنوا موافقتهم الرسمية بالهتاف له وبهذه الوسيلة أكد أغسطس ستيفن تتبريوس وفسبميان تيتوس فمن الطبيعى أن يحاول الامبراطور الاحتفاظ بالعرش لابنائه فان لم يكن له أبناء فلاقاربه ، ومع نهاية القرن الرابع أصبح من المعروف أن يمنح الامبراطور اللقب لأكبر أبنائه(٤٩) ، ولم يكن السناتو يمارس سلطته

---

(٤٧) Brighaman : Byzantine Coronation Gere[illegible]moie Journal of Theological Studies Vol. 2 p. 663.

(٤٨) Ecloga trans Freshfield p. 66.

(٤٩) رنسمان : الحضارة البيزنطية ص ٦٧

Brehier : Civilisation Byzantine p30.

الا فى فترة الفراغ فالفترة التى تعقب نهاية فترة وبداية أخرى كان يمارس السناتو سلطانه . وكان الشريك الامبراطورى يتمتع بميزات الشرف ويظهر اسمه فى الوثائق ولكن لا يشارك فى الحكم الفعلى الا اذا منحه الامبراطور بعض السلطات . فصاحب السلطة المطلقة كان الملك Basileus أما الآخرون فهم شركاء خاملون ، فاذا ما توفى الامبراطور خلفه شريكه فى السلطة بصورة آلية . وتقسيم الامبراطورية قسمان كان جزء حيوى فى نظام دقلديانوس ، ويتعلق بالتقسيم الجغرافى للامبراطورية ، ولقد استمر الى ٤٨٠ م يحكم الامبراطورية اثنين أو أكثر لهما نفس الحقوق وان اختلفوا فى مدى سلطات كل منهم وأحيانا الامبراطور الأكبر يختار الأصغر وأحيانا ينتخب مستقلا ويعترف به الأكبر(٥٠) . ولمدة طويلة كان الحاكمان مشتركان وان كان الأصغر لا يمارس أى سلطة فعلية فالطفل اركاديوس ظل لمدة تسع سنين مشاركا للامبراطور فالنتيان ، وكان يقال له الإمبراطور الثانى ، وفى القرن الخامس عند تقسيم الامبراطورية انتهى أمر الامبراطور المشارك(٥١) ، وعاد الامبراطور يختار ابنه ليكون أغسطس ، فاذا توفى الامبراطور قبل ذلك فان الجيش والسناتو يقومان بانتخابه والامبراطور الذى ليس له أولاد ذكور ممكن أن يأمن العرش لزوج ابنته ، ولكن فى حالة وفاته المفاجأة يمنح القيصر الذى ولاه الامبراطور العرش ، واذا كان للامبراطور أكثر من ابن يمنح لقب قيصر لأصغر الأبناء وفى حالة وفاة الامبراطور المشارك يرقع القيصر الى أغسطس كما فعل ثيودسيوس مع ابنه

---

(٥٠) Wilelhlem Ensslın : Byzanfium p 286.
Bury : op. cit p 61.

(٥١) Contantine VII parphyrogenitus :
De Ceremoniis T. 38.
Camb. Med. Hist vol I p 51 - 54.

هنريوس واركاديوس ، ولكن هذا المقياس انتهى بوفــاة امبراطور الغرب فالنتيان الثانى(٥٢) • وكان كلا القسمين فى الامبراطورية يختلف عن الآخر ويناصبه العداء مما دفع بعدد كبير من الكتاب الى الحديث عنهم كقسمان مختلفان ولكن فى الحقيقة كانت امبراطورية واحدة ويبدو هذا فى أن الامبراطورين كان يصدران قرارتهما تحت اسم مشــترك واذا اصــدر أحدهم قانون كان يطبق فى شــطرى الامبراطورية واذا توفى أحدهم كان من حق الثانى يتولى حكم كل الامبراطورية الا أن يتولى خلف له وعليه أن يختار الامبراطور آخر ، وبعد سقوط بيت ثيودسيوس لم تعترف بيزنطة بحــاكم الغرب وان كان من الشطرين بعد ذلك بدأ يتخذ اتجاه مخالفا حتى أصبح كل قسم يعين قنصل خاص به ولا يعرض اختياره على الشطر الآخر(٥٢)•

واذا نظرنا لمبدأ وراثة العرش فليس للابناء الذكور فقط حق الارث بل لزوج الابنة أو الأخت أن يلى العرش وانتخاب الزوج يعد تكملة للاسرة ، وتاريخ الامبراطورية الرومانية يمثله عدد من الأسرات ففى الفترة من ٢٩٥ — ٨٠٥ م حكمت خمس أسر كل خلفت الأخرى بلا انقطاع ولا مشاكل فما عدا اثنين وليس هناك قانون يمنع المرأة من تولى العرش باسمها وفى القرن الثامن اعترف بالمرأة كامبراطور وكان البعض يرى أن العبأ أقوى من احتمال النساء وان المرأة من الناحية النظرية لايمكن أن تكون قسيسا ومن الناحيه العملية لايمكن تتولى قيــادة الجيش ، ولكن فى ســوريا لم يكن هناك مانع قانونى تتولى قيادة الجيش(٣) ، ولكن فى سوريا لم يكن هناك مانع قانونى يمنع النســاء من تولى العرش ، وكانت الامبراطورة تلقب أغسطا

---

(٥٢) Bury : op. cit p 17.
Brehier : Le civlisation Byzantine p 181.
Camb : Med. Hist Vol I p 27.

(٥٣) رنسمان : الحضارة البيزنطية ص ٦٧

وكان اللقب أحيانا لأخت الامبراطور كما فى حالة بوليكريا شقيقـه ثيودسيوس الثانى التى جمعت فى يدها سلطة Imperium وأختارت مرقيانوس ؛ وكان لقب أغسطا يمنحها سلطات سياسـية ولقد منح فى القرن السابع لبنات الامبراطور ورغم أن بعض السيدات تولين كحـكام مشـاركين وزاد سـلطانهم عن الرجـال ولكن سـلطتهم كانت de ficto وليست dejure مثل بوليكريا وبلاسيديا ومارتينـا ولا يعتبرن حكاما منفردين ، وبعضهم حكم كأوصياء على أبناء واخوة وحكمت الامبراطورة صوفيا نيابة عن جستين حين أصيب بالجنون ؛ ولكن كانت ايرين أول امرأة تتولى الحكم كامبراطور مستقل . فلقب أوغسطا السابق لا يحمل فى مضمونه وظيفة البروقنصل والسلطات القانونيـــة التى يحملها لا يمـكن اضفائهـــا على امرأة وكذلك عارض الجيش تولى امـرأة العرش ؛ ولكن الدسـتور كما ذكرت لم يمنع توليتها فايرين حملت لقب باسيلوس . وفى ١٠٤٢ م تولت زوى وثيودرا بناء على رغبة الشعب(٥٤) .

تتويج الامبراطور :

ارتدى قسطنطين التاج اشـارة لسلطة الاوتوقراطية ومنحها طابع الملكيـــة . وكان التاج والثوب الارجوانية قد انتقلت لهم عن طريق الفرس ؛ وكان هذ تطبيقا للنظرية الفارسـية فكان الرئيس الدينى Magian . هو الذى يتوج الملوك . وفى البداية كان أحد الموظفين يقوم بتتويــج الامبراطــور فتوجــه أولا والى المدينــة . ولكن شـعر الامبراطـور بالحـرج لتسلمـه التـاج من أحـد موظفيــه المدنيين الاجـانب أن هـذا الاجراء كان يثير الحقد بين القادة فتولى البطريرك منذ ٤٥٠ م تتويج الامبراطور ولكنه لم يكن

(٥٤)
Hussey : op. cit 86.
Camb : Med. Hist Vol. I p 27.
Vasiliev : op. cit p 64.
Brehier : Les Origines des Titres p 161.

اساسيا بالنسبة للاوتقراطية فالامبراطور ميخائيل باليولوجس توجه رجـل مدنى • فالتتويج عن طريق البطريرك لم يكن بصـفته ممثل للكنيسة بل وصفه ممثل للدولة . وتأييد الكنيســة لم يكن ضروريا لتأييد السلطة الملكية وكان الامبراطور اذا اختار شريكا للعرش فانه يقوم بتتويجـه بصفته الامبراطـور صـاحب الحق ، ولا تعتمـد سلطته على رضاء البطريرك وان كان غالبية الاباطرة توجهم البطريرك. وفى حالة تتويج أغسطا أو أبناء للامبراطور كان الامبراطور يتولى التتويج بنفسه(٥٥) •

عـزل الامبراطـور :

وبما ان الامبراطور يستمد سلطته من الله فليس لأى سـلطة شعبيـة أو تشريعيـة معارضـته • وان ظل ظاهريا تولى العرش بالانتخاب ، والناخبين لهم حق معارضـة الامبراطور ، فالامبراطور اعتبر نفسه مفوض من قبل الله عهدت له العناية الالهية كما عهدت لبطرس برعايـة أتباع المسيح(٥٦) • وذكرت اسـماء الاباطرة على شـواهد القبور مقترنه بتعبير Sacerdotium وفى مجمـع خلقدونيـة قيل عن مارقيان قسيس الله . وفى القرن التاسـع قال باسـيل لابنه انك تسلمت الامبراطورية من الله • وان كان ليو الأول شعر بأهمية الشـعب حين ذكر فى أحد متجدادتـه « ان الله ورغبتكم جعلتنى امبراطورا »(٥٧) •

---

(٥٥) Anna Comnena Alexiad p 4.
Wilehelm Ensslin :Byzantium p 277.
Brightman ; Byzantine Coronation Vol. 2 p 385.
Bury : op. lit. p 189.

(٥٦) رنسمان : الحضارة البيزنطية ص ٨١ ، بينز : الامبراطورية البيزنطية ص ٨١ •

Ecolga : trans Freshfi ld p 66.

ولقد شعر الاباطرة بتفوقهم فلم يمنحوا لقب باسيلوس لأى من ملوك الغرب ولقد ذكر اسحاق انجليوس فردريك بربروسا باسم Rex Alamannie فسلطة Imperum لا يمثلها الا الاباطرة البيزنطيين . فلم يكن هناك مجال للتعبير عن عدم رضاء الشعب أو استيائه من الاوتقراط وسلطاته الا الثورة ورغم ان حق العزل متعلق بالانتخاب وفق الدستور ولكنه لم يدخل حيز التنفيذ أو التطبيق منذ عهد قسطنطين . وكما ذكر مموسن « كانت الحكومة الرومانية أوتوقراطية يخفف من حدتها حق الثورة المشروع ونفس المشرع يذكر أن الشعب الذى يرفع الأمير هو نفسه الذى يلقى به(٥٨) . وكان الأباطرة المستبدون يعتبرون عقابا الهيا أنزل بالشعب، فحق الثورة أصبح مشروعا لعزل الامبراطور لكل من الشعب والجيش وكان على الثائر ان يحصل على تأييد الشعب والسناتو والجيش فاذا فشل نظر اليه كمغتصب خارج ، ولكن اذا نجح يذكر ان الله أضفى عليه العرش وحرمه من الامبراطور المارق ولقد لقى عدد من الاباطرة مصرعهم على يد ثورات . وتولى العرش اباطرة بناء على ارادة الشعب كثيودورا فى ١٠٤٢ م فالثورة الشعبية هى التى تستطيع ان تحد من سلطه الامبراطور وبذلك أصبح حق الثورة مشروع(٥٩) .

واذا استعرضنا ما يتمتع به الاوتقراط من سلطات نجدها تتمثل فى أحكام سيطرته على جميع اوجه الحياة فى الامبراطورية ولتأكيد سلطانه ذلك كان يعمد الى فصل بين السلطات المختلفة وجعل كل منها رقيبا على الآخر وعدم تركيز السلطة الاداريه أو العسكرية فى يد

---

(٥٨) Wilehelm : Ensslin op. cit., P 277.
Bury : op. cit, P 12.
Hussey : op. cit. P. 46.

(٥٩) Camb. Med. Hist Vol I P 27.

واحدة وجعل نفوذ الامبراطورية يصل الى جميع ادارات وأجهزة الدوله بحيث لا يتاح لحاكم فرصه الاستقلال الى جانب تحيز الاقتصاد والتشريع لصالحه ثم سيطرته على الكنيسه ومنع تكوين اى مؤسسة مستقله يصبح الامبراطور مسئولا أمامها

فبالنسبة للنظام الادارى اصبح الامبراطور على رأس كل شيء فى الدوله وقد ادخلت تعديلات على النظام الادارى لصالح الاوتوقراطية وأوجدت بيروقراطية جديدة فى جميع تفاصيلها . وهدفها جعل [illegible] الاداره فى صورة فعاله . ولقد بدات أساسيات هذا النظام فى عهد دقلديانوس وقسطنطين وكل ما أدخل عليها فيما بعد من تعديلات واصلاحات فى القرن السابع من نتاج الظروف وليس تحقيقا لنظريه معينة . فالضغط الخارجيه المتمثله فى الحروب المستمرة جعلت الدوله محتاجه [illegible] الاعتماد على كل موارد الامبراطورية وللتطوير وضبط هذه المصادر كان لابد من اقامه جهاز ادارى بيروقراطى للدفاع عن الامبراطورية الى جانب تكاليف العرش [illegible](٦٠) . وتخوف الامبراطور من قيام الثورات نتيجه لاتحاد [illegible] المدنية والعسكرية قام دقلديانوس بفصلهما عن بعضهما واقترن هذا بانقاص حجم الولايات عامة حتى لا ينفرد القائد بالسلطه والحكم . وكان على قمه الجهاز الحكومى الامبراطور يليه موظفين مرتبين ترتيبا دقيقا وكان كبار الموظفين يتلقون الأوامر مباشرة من الامبراطوريه سواء ما يتعلق منها بالامور الداخلية للمدينه أو ما يتعلق بالممتلكات الامبراطورية .

وكان جميعهم مسئولون أمام الامبراطور . ولقد دخل تعديل على النظام الادارى فى القرن العاشر جعله أكثر سيطرته ومركزية(٦١) .

(٦٠) Bury : op. cit P 344.
Ostrogorsky : op. cit P 26.

(٦١) Baynes : Byzantium p 28.

حـق التشريـع :

كان الاوتوقراط يعتمد على أن سلطاتـه المطلقة لايمـكن لأى مؤسسة أو هيئة أن تعارضـها ، فكان من الطبيعى أن يصبح هو مصدر التشريع . وفى عهد أغسطس والاباطرة الرومان الأوائل كان للامبراطور حـق اقتراح القوانين لا التشريع وكان الموافقـة على القوانين تمر عن طريق مجالس شعبية ، وبعد القرن الأول أصبح فى يد السناتو حـق التشريع ، فالامبراطور يعطى تعليمات فى شـكل Oretio للسـناتو وعليهـا أن تأخـذ رأيـه فى الاعتبـار ثم تم Senatus Consulta بدراسـتها(٦٢) . وكان للامبراطور حق اصـدار المراسيم والمنشـورات ولكنها لا تعتبر قانونا ، وهى تمثل صلة بين الحاكم والشعب . فالموضوعات الواردة فيها تتعلق بحياة الناس وتحتوى على توصيات الامبراطور الخاصة بالادارة والوظائف والمراسيم تطبق طوال حياة مشرعها ، فقوة اصدار القانون تخص السناتو ، ومع قيام الامبراطورية البيزنطيـة لم يصبح للامبراطور البيزنطى حق التشـريع فقط بل أعتبر نفسه المشرع الوحيد ، ولكن اعتبر سلطته محددة بالقانون . ولقـد نصـح اجيتوس الشماس جسيتنيان بمراعاة القانون ، وان كان جسيتنيان اعتبر ان الله أرسله كقانون للأرض ويعتبر هذا اقتباسا من النظرية الهلينية(٦٣) ، وفى أحد المراسيم لثيودسيوس الثانى يذكر أن سلطته تعتمد على سلطة القانون ، واحترام الامبراطور لدور القانون هو أحد أسباب استمرار الامبراطورية ، والشعب نظر الى الاباطرة كحماة للقانون ضد

---

(٦٢) Hussey : op. cit., P 96.
Bury : op. cit., P 344.

(٦٣) Wileheln Ensslin : Byzantium P 277.
Camb : Med. Hist Vol. 4.

الموظفين المرتشين ولم يكن السناتو يمثل سلطة تشريعية الا فى الفترات التى كان يتولى امبراطور ضعيف .

وكان على الامبراطور عند تتويجه أن يقسم أن يحافظ على قرارات المجامع الكنسية . جستين الأول وعد بأن يحكم بالعدل ويحمى المواطنين فى المجتمع ويقضى على المنازعات فالاوتقراط يعتبر حامى للمجتمع فى اطار العرف مع مراعاة عدم تعقيد القوانين وأهم المجموعات القانونية تنسب الى كل من ثيودسيوس وجستنيان وهى تتناسب مع روح العصر وصدرت لتنظيم حياة الناس وعلاقاتهم بالدولة . وهذه القوانين تمثل جزءا جوهريا من الدستور الامبراطورى .

وكان الاوتقراط يتولى قيادة الجيش بنفسه وهو صاحب الرأى النهائى فى الحرب والسلام وتقرير الخطط الحربية . ولقد قتل قسطنطين الحادى عشر وهو يدافع عن عاصمته ، وقاد باسيل الثانى وميخائيل الرابع الجيوش بأنفسهم رغم اصرار الهيئة الحاكمة على بقائهم فى العاصمة حتى لايعرضوا أنفسهم للخطر ، وكان لفظ امبراطور يعنى فى مضمونه أيضا قائد الجيش ، وكان يميز الاباطرة كفائتهم فى قيادة الجيوش(٦٢) ، ولقد كان الجيش سلاح ذا حدين فان الجيش بماله من قوة كان يستطيع ان يوقف بالعنف أية اجراءات لا يرى تنفيذها اعتمادا منه على قوته بل ان الجيش هو الذى كان يولى ويعزل الاباطرة ولقد كلف موريس اجباره جنده على قضاء الشتاء فى مناطق باردة عرشه وحياته(٦٣) .

Wilehelm Ensslin , op. cit P 277.

بيز : الامبراطورية البيزنطية ص ٨٣

(٦٣) رنسمان : الحضارة البيزنطية ص ٨٣

وكان من الطبيعى أن يحيط الامبراطور نفسه ببلاط فخم ذو تقاليد وطقوس وذلك استكمالا لمظاهر الهيبة والسيطرة والتأثير على اتباعه وعلى من جاوره من أمم وخاصة المتبربر منها وكتاب De Cermonils الذى ألفه قسطنطين بورفجنيتوس أوضح تقاليد البلاط . تلك التقاليدلم يكن حق للاوتقراط نفسه أن يتجاوزها وذكر قسطنطين ان عظمة الامبراطورية تبدو فى فخامتها وفى احتفالتها وتأثيرها على شعبها وعلى الأجانب(٦٤) .

وفى النهاية من الصعب أن نضع الاوتقراطية البيزنطية فى أى درجة من النظريات الحديثة ولا نستطيع مقارنتها بأى نظام آخر ، فتعتبر يوتوبيا فى آخر فترة انهيار للامبراطورية . فالاوتقراطية فى طبيعتها مناسبة لظروفها .

ورغم أن الاوتقراط كان يتمتع بسلطات مطلقة حتى أنه الغى حق الهيئات التى كان من الممكن ان تضع نوعا من الاشراف على سلطانه المطلق . فكما ذكرنا فان السناتو ظل يحتفظ بحق المعارضة وانكان على نطاق ضيق فى الفترات التى يتولى فيها حاكم ضعيف، ولكن الاحزاب البيزنطية هى الفئة الوحيدة التى مارست نوعا من الضغط على سلطات الامبراطور وظل الاباطرة الى القرن السادس يقدرون الدور الذى تلعبه ويسعون لاستمالتها بشتى الوسائل أو على الأقل الحصول على تأييد أحدها ضد الأخرى(٦٥) .

السناتــو :

كان من المفروض أن تحد من سلطات الاوتقراط عدد من الهيئات

---

(٦٤) Bury : op. cit P 12.
Oman : History of the Art of war P 36.

(٦٥) Ostrogorsky : op. cit P 67.
Vasiliev op. cit P 176.

ولكن الحقيقة أن الاوتقراط كان يجمع فى يده سلطات واسعة ، ورغم أن السناتو يعتبر شريك فى المسئولية ولكن الحكم الثنائى Dyarchy قد انتهى(٦٦) ، وعند انشأ القسطنطينية قام الامبراطور قسطنطين بانشاء سناتو متخذا نموذجا له سناتو روما ولكن فى الحقيقة كان أقرب الى سناتو المدن كانطاكية أكثر من سناتو أغسطس وان كان قد احتفظ بعديد من تقاليده القديمة •

فقد كانت طبقة أعضاء السناتو وراثية بل اتخذت صفة الإجبار • أما الأعضاء الجدد الذين ينضمون خارج طبقة رجال السناتو فهم أما شاغلى الوظائف الكبرى praetorship (٦٧) وان كان أمرها بدأ يضمحل من القرن الرابع أو من questorship وهى الغالبة ، أو بمرسوم من السناتو أو الامبراطور وان كان قسطنطين فتح المجال أمام جميع المراكز الوظيفية(٦٨) •

ولقد حاول أغسطس منذ البداية ايجاد نوع من التوازن فى العلاقة التى بين princeps والسناتو ولكنها فى التطبيق لم تتحقق فالمؤسسات التشريعية اصطدمت بالاوتقراطية التى بدأت تثبت بذورها ، تلك التطورات جعلت حكم أورليوس أكثر استبداد ومركزية من حكم أغسطس رغم محاولات بعض الاباطرة فى القرن الثالث كسفريوس الاسكندر اعادة صلاحيات السناتو الأولى وتأكيد سلطاته ولكنها كانت محاولات فردية لا تستطيع ان توقف الاتجاه العام نحو الاستبداد فقد أصبح السناتو واجهة ديمقراطية فى نظام استبدادى واتخذه الحكام ستار لتغطية جرائمهم(٦٩) • ودقلديانوس بتنظيماته

---

(٦٦) Wilehelm, Ensslin : Byzantium P 273.

(٦٧) Anna Comnena : the Alexiad trans Eliz. b p 14.

(٦٨) Bury : op. cit P 84.

(٦٩) رنسمان : الحضارة البيزنطية ص ٧٨

وفصله بين السلطات والتركيز على الادارات الامبراطورية وايجاده بيروقراطية ادارية جرد السناتو من كل سلطان ادارى تجاه الولايات. وأصبح هيئة دستورية تعبر عن آراء أغنى عناصر الدولة وأقواها .

ومع قيام الحكم الاوتقراطى فى عهد قسطنطين فقد السناتو فعاليته فبرغم اشتراكه فى انتخاب الامبراطور وما كان لاعضائه من حقوق كفلها لهم القانون وأكـدها الامبراطور فالنتيـان الثالث فى ٤٤٦ م ومنهم حق مشـاركة الامبراطور الرأى وأكد جستنيان حقوق السناتو وكانت وظائف السناتو تنقسم قسمين : قسم يختص بالمجالس البلديه والآخر بالامبراطورية ، وكان والى المدينة يعتبر كرئيس للسناتو وهو الصـلة بينه وبين الامبراطور وكان من المعروف أن أى قانون قبل اصداره يجب أن يناقش فى السناتو وكذلك القرارات التشريعية الهامة والخاصة بالسياسـة العامة كان على الامبراطور الا يتخذها منفردا وكذلك يجب أن يرجع اليه فى الخيانات العظمى ولكن هـذا نادرا ما كان يحدث (٧٠) .

وكان فى القسطنطينية مبنيان للسناتو واحد فى الجزء الشرقى والآخر فى القسطنطينية وبدأ السناتو فى القرن السادس والسابع يمارس نوعا من السلطة والنفوذ وخاصة فى الفترة التى يخلو فيها العرش ويقوم السناتو بالوصاية على الامبراطور وتوجيه السياسة ، وفى ٦١٤ م أرسلت بعثة الى فارس باسم السناتو لا الامبراطور ليكون لها وزن أكبر مما لو كانت باسم هرقل وهذا يدلنا على ازدياد سلطانه آنذاك(٧١) . ولقد ذكر الامبراطور قسطانز المتحى فى خطاب العرش الذى صاغه لاعضاء السناتو ، أن مارتينا وهرقلوناس تم

---

(٧٠) Diehl : le Senat vol I P 201.
Le crivan : le Senat Romain P 15 - 23.

(٧١) Hussey : op. cit. P 94.
Le crivan : op. cit P 12.

عزلهم بمقتضى قرار السناتو الذى صدر بتأييد من الله لأن الشيوخ الذين اشتهروابالتقوى والصلاح لم يستطيعوا ان يتغاضوا عما يجرى فى امبراطورية الرومان من الظلم والاستبداد(٧٣) ، وبعد وفاة ليو السادس فى ٩١٢ م وبداية حكم قسطنطين السابع لعب السناتو دورا ايجابيا فى توجيه سياسة الدولة • ولكن خلال الاحدى عشر قرنا الذين عاشتهم بيزنطة عاش السناتو غالبيتها كمجلس استشارى وأصبح رجاله مجرد رجال يميزهم الشرف بلا سلطات فعلية ، وأصبح مستشارى الملك مجموعة من الرجال أحاطوا به وخضعوا لمشيئته أما الشيوخ فأصبحوا مجرد عدد من الرجال اشتهروا بالصلاح والتقوى ولم يستطيعوا الا أن يتغاضوا عما يجرى فى امبراطورية الرومان من الظلم والاستبداد ، وكان الى جانب السناتو يوجد عدد من المجالس الامبراطورية التى تجتمع لمناقشة أمور الساعة مثل consistorum • فكان عليه أن يناقش الأمور القانونية والسياسية الهامة • وكان يرأسه الكويستور وأصبح أهم أعمال المجالس فى الفترة البيزنطية استقبال وفود الولايات(٧٢) •

الاحزاب البزنطية :

لعبت الاحزاب البيزنطية دورا خطيرا فى تاريخ بيزنطة وكانت تمثل جبهة المعارضة الفعلية بالنسبة لسلطات المطلقة للحاكم • وهذه الاحزاب تعود بأصولها للعهد الجمهورى وفى البداية كانت لاغراض رياضية وقلدوا فرق السرك القديمة وأخذوا ألوانها واسمائها • وكانوا أربع ألوان رئيسية الابيض والاحمر والازرق والاخضر فاذا أراد أحد Magistrat اقامة احتفال فانه يدعو فرق

---

(٧٢) Zosirnus : Historia Nova ed Mendelssohn.
Ostrogovsky : op. cit P 102.
Camb : Med Hist vol I P 48.

(٧٣) Hussey : op. cit P 94.

السرك للاشتراك فى السباق وكان كل طبقة من طبقات المجتمع ابتداء من الفرد العادى فى الشعب الى الامبراطور يؤيدون هذا أو ذاك من الفرق ولكن ابتداء من القرن الرابع بدأ طابعها يتميز واتخذت شكلا سياسيا ولاغراض لاتتعلق بالهيدروم Hippodrome (٧٤) ونظمت نفسها كفرق مدنية للدفاع عن المدينة او للاعمال العامة ، واخذ اندمجا الابيض والاحمر فاصبح هناك أخضر وأزرق فقط • وكان الادارة التابعة لهذين الحزبين تنقسم قسمين عسكرى ومدنى • فريق عسكرى peratics والأخرى فرقة مدنية تحت قيادة Demecrat وتسمى Politicals وكان عملهم الخدمة فى المدن كحراس والقيام باصلاح أسوار المدينة ، وأعمال الشرطة الداخلية وقد نظموا أنفسهم فى demes وفى جميع المدن الامبراطورية لعب الاخضر والأزرق دورا خطيرا (٧٥) •

وعلى الرغم من أن كلا الفريقين يضم أفراد من جميع الطبقات فان الزرق كانوا الفريق الارستقراطى والخضر يمثلون الطبقات الدنيا ولقد اعتاد الزرق أن يكون رؤسائهم من ملاكى الأرض ومن الرومان والاغريق من طبقة الارستقراطية ومن مؤيدى الارثوذكسية والخضر يفضلون المذاهب الشرقية أو المنوفزتية وغالبيتهم من التجار والصناع وموظفى الادارة المالية وبذلك ورثت روما الجديدة عن شقيقتها السرك والسباق ولكنها امتازت عنها بانها مؤسسات سياسية(٧٦) • فهذه المنظمات بديل عما كان يتمتع به العالم القديم

---

(٧٤) Rambaud : Byz. Hippodrome p 87.
Bury : op. cit P 84.
Friedlander : Roman lifeand Manners II, 27.
Ostrogorsky : op. cit P 84.

(٧٥) Rambaud : op. cit P 84.

(٧٦) Friedlander : Roman life and Manners II. 27.

من تقاليد الحرية ، وما كان فيه من المدن الحرة السياسية والاقتصادية .

ولقد أدى الصراع بين الحزبين الى اثارة حروب داخلية مريرة ، وأعتمد الاوتقراط فى تثبيت سلطاته على ضرب كل فريق بالآخر ، ولكن تلك الاحزاب سلاح ذو حدين فانها كانت دائمة الثورة على سلطات الحاكم المطلق بل كثيرا ما اتحدا ضده ، واجتمعا فى السرك وطالب احدهما أو كلاهما بعزل الوزراء الذين اشتهروا بالعسف بل عزل الامبراطور نفسه كما حدث فى عهد جستنيان ، ولم يكن الاوتقراط يملك الا الاستجابة لمطالبهم(٧٧) ، فكأن الشعب أعطى نفسه نوعا من الوصاية على الاوتقراط عن طريق احزابه وكان هذا تطبيقا لنظرية ان الاوتقراط لايعزله الا حق الثورة المشروع ، ولقد زاد نفوذ تلك الاحزاب وانتشر من العاصمة الى المدن الامبراطورية ، واقد ازدادت أهميتهم السياسية ابتداء من القرن الخامس وان كان صاحب ازدياد سلطانهم انتشار الفوضى ، فذكر جيبون انه سادت فى القسطنطينية وانطاكية فوضى الديموقراطية دون ما يصاحبها من روح الحرية(٧٨) ، وأصبح التأييد الحزبى ضرورة لازمة لكل طلاب الوظائف المدنية .

ولقد انحاز ثيودسيوس الثانى للخضر ومارقيان فضل الزرق وكذلك ليووزينون وكاد يكلف انستاسيوس انحيازه للخضر ومناصرته للمنوفزتية عرشه . فلقد حاربه الزرق فى ٥٢١ م وأحرقوا المبانى الحكومية وكسروا تماثيل الامبراطور وقامت فتنة ضده اضطرته

---

(٧٧) Ostrogorsky ; op. cit P 62.
Bury : op. cit P 86.

(٧٨) جيبون : اضمحلال الامبراطورية جـ ٢ ص ٤١١

لتغيير سياسته(٧٩) • وجستنيان كان متحمسا للارثوذكسية فانضم اليه الزرق وكان راعى الحزب وراء الاضطرابات التى اثارها الزرق وافزعت السناتو وكل عواصم الشرق • فقاموا بأعمال السلب والنهب بل قاموا بذبح أعدائهم من الخضر اعتمادا على التأييد الامبراطورى والنتيجة ثورة الخضر على الامبراطور وأعلنوا رفضهم له وتسبب هذا فى فتنه نيقيه التى كادت تدفع بالامبراطور للتخلى عن عرشه لولا شجاعة زوجته ثيودورا ومقدرة قائده بلزاريوس عن طريق أيقاعه بين الحزبين الخضر والزرق ولقد استغل بعض الاباطرة كتيبريوس تلك الروح الحزبية لضرب الارستقراطية(٨٠) •

ولكن ابتداء من عهد الايسورين بدأ نفوذهم يضمحل وأصبحوا هيئات مدنية بحته وبذلك فقد الشعب احدى وسائله التعبيرية الرافضة ولم يعد متاحا الا الثورة فقط •

---

(٧٩) Maricq la duree du Regime des partis populaires a constantinople «Bull de Acad. de Belgique 19.»

Bury : op. cit P 86.

Hussey : op. cit P 96.

(٨٠) Wilehelm Ensslin : Byzantium P 280.

وصل تعدادهم فى القسطنطينية فى عام ٦٠٢ م الى ١٥٠٠ من الخضر وتسع مائة من الزرق ونقا لتعداد :

simocartes.

الكنيسة والدولة

كان اعتراف قسطنطين بالمسيحيه ديانه مصرح بها بداية لفترة جديدة تاريخ الامبراطوريه الرومانيه . فالمسيحيه سحبت تاريخ بيزنطه السياسى والاجتماعى عى حد سواء ولايمكن دراسة تلك الفترة بدون دراسة دور الكنيسة وموقفها من الدوله . فهناك سمات مميزة اوجدتها المسيحيه فى طبيعه ونوعيه العلاقات التى تربط الدوله كنظام سياسى والكنيسه كمؤسسه دينيه ميزتها عن الفترة الوثنيه السابقة بل اتخذت الكنيسة فى بيزنطه طابعا واتجاها يختلف عن كنيسة روما الغربية من حيث وضعها كسلطة سياسية دينية او بابوية قيصرية .

كانت عقيدة روما القديمة تستعمل كأداة سياسية من قبل الاباطرة ، ولكن فائدتها او منفعتها السياسيه كانت مجرد رمز ولم تكن لها النظرة العالمية التى حاولت الكنيسة تطبيقها فيما بعد فالهتها لم تكن تؤمن بالوحدانية ، ولا تعارض قيام عبادات أخرى الى جانبها بعكس الكنيسة المسيحية القائمة على أساس التوحيد فالكنيسة منذ عهد قسطنطين بدت ذات نظرية وتكوين محدد وهى نفس الكنيسة التى سعت فى عهود الارهاب والاضطهاد للحصول على حريتها(٨١) ، بدأت تشعر باستقلالها وبدأت بدورها فى اضطهاد مخالفيها ورفض العبادات بل الهرطقات المسيحية فبدت فى مظهر جديد لم يألفه الرومان والاغريق الذين اعتادوا ممارسة ما شاؤا من عقائد ما داموا يقدمون القرابين لعبادة الدولة والامبراطور المؤله(٨٢) ومنذ البداية

---

(٨١) Glover : The conflict of Regligions in the Early Roman Empire P 37.
Hussey : op. cit P 96.
Bury : op. cit 344.

(٨٢) Painter : A Hist of the Middle ages P 33.
Charanis : Church and state in the later Roman Empire 48.

اتخذت الكنيسة فى تشكيلها شكل علمانى فالتقسيم الذى اقامه الامبراطور دقلديانوس لادارة واصلاح الولايات جرت على نمطه الكنيسة فى تنظيم المراتب الكهنوتية لتوافق الولايات الجديدة .

فتقسيم الكراسى الكنسية فى روما وانطاكية والاسكندرية أضيفت اليه القسطنطينية بعد انشاءها فكأن النظام الكنسى عدل بما يوافق التقسيم الجديد وبذلك تشابهت نظم الحكم فى الكنيسة والحكومة فى الشرق وأصبح البطريرك كالامبراطور يسيطر على كل جهاز الكنسى ، ويرجع اليه رجال الدين فى جميع شئونهم فكأنه بلاط بطريركى ، وهنا بدت المشكلة الحقيقية وهى العلاقة بين الكنيسة والدولة وخاصة بعد أن أصبح الامبراطور أوتقراط ذو سلطات مطلقة وبدت علاقة جديدة ذات نوعية مختلفة لم تعرفها روما القديمة فمشكلة الكنيسة والدولة تعتبر شيئا جديدا على مفاهيم ذلك العصر(٨٣) . فعقيدة روما القديمة كانت جزءا من سياسة الدولة وعبادات ايزيس وعشتروت تتوافق مع عقيدة واحتفالات الشعب الرومانى وكان الامبراطور هو الكاهن الأعظم pontifex Maximus واكن لما جاءت المسيحية فصلت ما بين قيصر والله وان كانت اعترفت بمال قيصر من سلطان وأصبح الصراع موجود .

ولكن الاوتقراط لم يكن ليسمح بوجود هيئة أو مؤسسة يكون من حقها ان تمارس نوعا من الاشراف عليه أو على سلطاته . ومنذ البداية حسم قسطنطين الأمر ووضع الأساس الذى سارت عليه الدولة تجاه كنيستها(٨٤) . فالكنيسة فى نظر

---

(٨٣) Ostrogosky : op. cit p 34.
Baynes : op. cit p 83.

(٨٤) رنسمان : الحضارة البيزنطية ص ١٢٤ .
Lot : The end of Ancient world p 30.

الامبراطور مؤسسة تخضع لسيطرة الدولة ولم يكن المسيحية آنذاك فلسفة خاصة ولكن حياة المسيح هى المثال فى نظر الامبراطور Imperium Christiamus الذى لم يرى الفرق بين سلطات قيصر وحق الله(٨٥) • ولم يكن هناك خلاف كما حدث فى الغرب فالاختلاف الوحيد بين الكنيسة الشرقية والامبراطورية كان يبدو حين يعتنق الامبراطور أحد المذاهب الهرطقية فالامبراطور من حقه التدخل فى أمور الكنيسة بل رأى أن عقيدة شعبه مرجعها اليه واعتبر الامبراطور انه يحكم باسم الاله فى الارض ولقد وصف لبو الايسورى نفسه فى الاكلوجا Ecloga «بأنه حارس مفاتيح السموات وراعى القطيع وأشبه الناس ببطرس »(٨٦) • وبمقتضى هذا الحق الالهى أعتبر نفسه حامى الكنيسة الارثوذكسية والمسئول عن عقد المجامع الدينية ، بل وانتخاب البطريرك فرغم ان الانتخاب تقوم به هيئة اساقفة فان فى الواقع الامبراطور هو الذى يعين البطاركة ويعزلهم اذا اختلفوا معه وكان يتدخل أحيانا فى تعيين الاساقفة(٨٧) ؛ وكان الامبراطور يعلن بعد تعيين البطريرك ان هذا الرجل عين كأسقف القسطنطينية برضاء الله وبأمرنا الامبراطورى الذى نستمده من رحمة الله والسلاح الوحيد الذى كان فى استطاعة البطريرك استعماله تجاه الامبراطور هو اصدار قرارات الحرمان واستعمله البطريرك ضد حنا زمسكيس بعد مقتل نقفور فوكاس حين أراد أن يلى العرش مع زوجته ثيوفانو التى اشتركت فى مقتله فاضطر الامبراطور للتراجع والاستجابة لرغبة الكنيسة • وان كان ما يحدث غالبا أن الامبراطور المخالف يصدر قرارا بعزل البطريرك •

---

(٨٥) Hussey : Op. cit p 90.

(٨٦) Ecloga : trans FreshField. p 66.

(٨٧) رنسمان : الحضارة البيزنطية ص ١٥٢ •

ولكن كان أهم ما يميز العلاقة بين الكنيسة الشرقية والدولة هو هذا التوافق الواضح فالعلاقة فى غالبيتها ودية بين الطرفين(٨٨) ولم تحدث خلافات جوهرية بل الخلاف حول مسائل مدنية فى غالب الأحيان كمعارضة الكنيسة لزواج هرقل من ابنة أخيه مارتينا • ولم يكن غريبا أن تتحد القوتان ضد اى خطر سواء كان داخلى متمثل فى الحركات الهرطقية أو أعداء من الخارج ففى عهد هرقل حين غزت الجيوش الفارسية أرض بيزنطة فى مصر والشام وآسيا الصغرى وتعرضت القسطنطينية للخطر قامت الكنيســـه بتحويل ممتلكاتها الذهبية للدولة لتستطيع القيـــام بأعبائهـــا وتجنيد الجنـــد اللازمين وامدادهم بالسلاح(٨٩) • وكان يحدث فى بعض الأحيان أن يشارك البطريرك الامبراطور فى اصدار قراراته الكنسية كما ذكر جستنيان فى احدى متجدداته أن الهبة الالهية العظمى هى حب الله الذى يمنحه لاثنين القس والامبراطور الأول يختص بالأمور الروحيـــة المقدسة والثانى يتولى شـــئون الدنيا ولقد تطورت هـــذه النظرية فى القرن التاسع فى كتاب • Epanogey حيث يقارن الامبراطور ورجل الكنيسة بالروح والجسد فكل منهما حيوى لاستمرار الحياة ولايمكن لاحدهما أن يعيش بلا الآخر (٩٠) وهذه الفكرة اكدها حنا زمسكيس وعدد من اباطرة القرن العاشر(٩١) ، ونفس هذا المعنى ردده البطريرك Calecas فى مواجهـــة اندرونيكوس الثانى — حين اهمـــل نصائحه ورفض الاستجابة لها « كأنك بهذا التصرف كما يقول الجسد للروح انى لا احتاج اليك » •

---

(٨٨) Hussey : op. cit P 41:

(٨٩) Ostrogorsky : op. cit P 83:

(٩٠)

(٩١) Schlumberger : un Empereur byzantin au dixieme Siecle P 748·

ولقد ازداد نفوذ الكنيسة بعد معركة [illegible] وخروجها منتصرة بنهاية الأسرة الايسورية أنلا [illegible] والفن البيزنطى يعكس هذا النفوذ ففى كنيسة Sant Vtaie [illegible] الامبراطور [illegible] وتبس ولكن بجواره كان البطريرك [illegible] فجوهر العلاقة بين الكنيسة والدولة كان التفاهم وكانت أوامر الامبراطور تطبق فى يسر وبلا رفض(٩٢) ٠

ومع ذلك فأن سيطرة الامبراطورية على حياة الكنيسة لم تمضى بلا معارضة وان كانت نادرة ، ولقد أبدى بعض الأشخاص منذ البداية ومع اعتراف قسطنطين بالمسيحية معارضتهم للسلطات المطلقة فذكر St Ambrose فى نهاية القرن الرابع أن الامبراطور فى داخل اطار الكنيسة لا على رأسها [illegible] بعض رجال الدين رأى فى الكنيسة مؤسسة أعلى منزلة من الدولة(٩٣) وكتابات القديس اوغسطين وايوزبيوس توضح هذه النظرية (٩٤) و Belesus فى ٤٨٩ م رأى أن الامبراطور ابن الكنيسة وليس سيدا لها ٠

[illegible] البطريرك [illegible] لتخليص الدولة من سلطة [illegible] وقام [illegible] والهجوم على [illegible] وزراء الامبراطور ونعت الامبراطورة [illegible] زوجة الملك الاسرائيلى [illegible] التى اشتهرت بخبثها [illegible] أمرت بنفيه واضطرت لاعادته تحت الضغط الشعبى ٠ ولقد حاول الاباطرة السيطرة على المنصب البطريركى عن طريق تعيين أبنائهم كما فعل رومانوس حين عين ابنه ثيوفيل وكان

---

(٩٢) Hussey : op. cit P 188.

(٩٣) نورمان بينز : الامبراطورية البيزنطية ص ١٢٦ ٠

(٩٤) Bury : op. cit P 282.

ولقد ازداد نفوذ الكنيسة بعد معركة ايقونيته وخروجها منتصرة بنهاية الاسرة الايسورية أنلا ايقونية والفن البيزنطى يعكس هذا النفوذ ففى كنيسة Sant Vtale ظهر الامبراطور كملك وقس ولكن بجواره كان البطريرك كموسى وهارون فجوهر العلاقة بين الكنيسة والدولة كان التفاهم وكانت أوامر الامبراطور تطبق فى يسر وبلا رفض(٩٢) •

ومع ذلك فان سيطرة الامبراطورية على حياة الكنيسة لم تمضى بلا معارضة وان كانت نادرة ، ولقد أبدى بعض الاشخاص منذ البداية ومع اعتراف قسطنطين بالمسيحية معارضتهم للسلطات المطلقة فذكر St Ambrose فى نهاية القرن الرابع أن الامبراطور فى داخل اطار الكنيسة لا على رأسها وبعض رجال الدين رأى فى الكنيسة مؤسسة أعلى منزلة من الدولة(٩٣) وكتابات القديس اوغسطين وايوزيبيوس توضح هذه النظرية (٩٤) و Belesus فى ٤٨٩ م رأى ان الامبراطور ابن الكنيسة وليس سيدا لها•

وسعى البطريرك ميخائيل كيرولاريوس لتخليص الدولة من سلطة الامبراطورة وقام يوحنا ذهبى الفم فى عهد اركاديوس بالهجوم على زوجة الامبراطور اودكسيا وحاشيتها ووزراء الامبراطور ونعت الامبراطورة باسم jesebel زوجة الملك الاسرائيلى اخاب التى اشتهرت بخبثها وتهورها والتى أمرت بنفيه واضطرت لاعادته تحت الضغط الشعبى • ولقد حاول الاباطرة السيطرة على المنصب البطريركى عن طريق تعيين أبنائهم كما فعل رومانوس حين عين ابنه ثيوفيل وكان

---

(٩٢) Bussey : op: cit P 188:

(٩٣) نورمان بينز : الامبراطورية البيزنطية ص ١١٦ •

(٩٤) Bury : op. cit P 282:

الامبراطور يمارس رقابته وتحكمه في الكنيسة عن طريق وزيره الملقب Syncellus (٩٥) • ولكن كما ذكرنا لم يكن الاختلاف بين الكنيسة والدولة هو طابع الدولة البيزنطية وهذا الموقف هو الذى جعل الكنيسة الغربية تتخذ خطا منفصلا تماما عن الشرق فالغرب كان بابوية قيصرية كان البابا يتمتع فيها بسلطات تفوق أى من حكام الغرب(٩٦) • وكان لقرارات الحرمان التى يصدرها عظيم الأثر على أباطرة الدولة الرومانية المقدسة وخاصة منذ عام ٨٠٠ م وهو عام تتويج شارلمان وانفصاله بالغرب •

وبالنسبة للشرق فانه لم يحدث الا نادرا أن قام رجل مثل Theodores وقال للامبراطور « أيها الامبراطور لا تحطم استقلال الكنيسة فعليك تدبير أمور السياسة والحرب أما أمور الكنيسة فخاصة برجال الكهنوت والرهبان(٩٧) • ولكن كان هناك فئة دينية نشأت أولا خارج نطاق المؤسسة الكنسية ثم احتوتها فيما بعد هذه الفئة هى التى تولت المعارضة وأعطت لنفسها الحق فى رفض ومحاربة الارادة الامبراطورية الا وهى الرهبان •

الديرية والدولة :

شاهد نهاية القرن الثالث وبداية الرابع حركة دينية ظهرت فى الجزء الشرقى من الامبراطورية وفى مصر بالتحديد ومنها انتشرت الى العالم المسيحى ، ولقد بدأت تلك الحركة منفصلة عن الكنيسة أساسا بل اعتبرت كنوع من الرفض لارتباط الكنيسة بالدولة • فلقد شعر بعض الأفراد بانحطاط المقاييس الدينية والاخلاقية وخاصة لوجود أمثلة

---

(٩٥) جيبون : اضمحلال الامبراطورية الرومانية ج ٢ ص ٢٣٧٢ •

(٩٦) Painter : op cit P 15.

(٩٧) Baynes : Op. cit P 387.

لبعض رجال الدين المنحرفين الذين لم يتورعوا على الاستجابة لرغبات الامبراطور الحاكم مهما كانت نوعية عقيدته كموقف أسقف برآى الذى أراد الاحتفاظ بمركزه سواء كان الحاكم امبراطور مسيحى أو وثنى كجوليان فأرادوا الهرب الى الصحراء طلبا للعزلة واحتجاجا فرديا على نظام ساهم بأكبر نصيب فى تأييد الدولة(٩٨) • ولقد حرصت الكنيسة منذ البدايـة على احتواء تلك الحركة وادخالها فى داخـل الاطار الكنسى نتيجـة لنصـائح عدد كبير من آباء الكنيسـة الأول كاثناسيوس والقديس باسل • ونظم أمرها المجامع الكنسية المحلية والدوليه عن طريق التشريع الامبراطورى وحكم البطاركة وكان الهدف الحفاظ على السلطة الدينيـة للاسقفية والسيطرة على هـذه القوة واستغلالها لصالح الكنيسة •

ولقد بدأت الحركة الديرية في مصر نتيجـة استيـاء عدد من المسيحيين من عدم تطبيق تعاليم الانجيـل فى مظهرهـا الحقيقى فنبذوا اهتمامهم بالحياه وذاتها وكبحوا مشـاعر الحب ومارسـوا حياة قوامها الزهد والتقشف ، للحصـول على السعادة واتجهوا الى الى الصحراء حيث مارسوا حياتهم الجديدة بعيدا عن العالم واجتذبت تلك الفلسفة آلاف من النساء والرجال حيث حذوا حذوهم واتجهوا الى الصحراء(٩٩). فقام فى مصر القديس انطون حوالى فى ٢٧٠م من طيبة وهجر أسرته وعاش منفردا فى الصحراء وبعد خمسة عشر عاما اتجه الى القلزم حيث عاش فى احد مقابرها فى عزلة واسلوب الحياة هذا اغرى الكثيرين باتباعه وذاعت شهرته فى العـالم المسيحى(١٠٠) حتى ان الامبراطور قسطنطين طلب منه الحضور اليه لاستشارته فاعتذر •

---

(٩٨) Zosimus, V. 23 — Theophanes A: M: 5955:
نورمان بينز الامبراطورية البيزنطية ص ١١١.
(٩٩) Hussey : op: cit P 188.
(١٠٠) Camb : Med. Hist Vol I P 521.

فى نفس الوقت الذى ظهر أسلوب آخر من الرهبنة وهى الرهبنة الجماعية التى يمثلها باخوم ، وأسس تسع أديرة للرجال والنساء وكون أول المجمعات الديرية فى طيبة بالقرب من دندرة ونجد وصف للحياة الديرية فى مؤلفات Cassian Palludius « لقد ازداد عدد الرهبان زيادة كبرى حتى قيل أن فى اكسر نخوس «ابسا» بلغ عدد الرهبان عشرين الف راهب ، وان بمدينة طحا بالصعيد وحدها ٣٦٠ ديرا ورغم أن هذا العدد مبالغ فيه فانه يدل على مدى انتشار الحركة الديرية وأصبح من المشكوك فيه أن كل من دخل الدير دخل بدافع دينى حتى اضطر الامبراطور فالنتيان وفالنز لمنع من يصلح للجيش أو المرتبط بالخدمة العامة من دخول الدير(١٠١) •

وكان من الطبيعى الا تقتصر الديرية على مصر بل بدأت تكتسب صفة عالمية فظهرت فى سوريا وفلسطين • ومع بداية القرن الرابع أوجد القديس Hilarion والقديس chariton حركة ديرية نشطة هناك ، وصلت الى العراق واقيم دير فى نصبين(١٠٢) • ثم انتقلت بعد ذلك الى آسيا الصغرى وكان هناك رهبان فى جالاتيا قبل نهاية القرن الرابع ثم فى ارمينيا الصغرى وبافلوجونيا بونتس عن طريق الراهب Eustathius ووصلت بعد ذلك الى صقلية وجنوب ايطاليا ، اما العاصمة الامبراطورية فقد دخلتها الديرية خلال حكم قسطنطين وفى عهده انشأ حوالى خمسين ديرا غالبيتها تنسب الى رجل الدين Macedonias الذى وصف بالهرطقة فيما بعد ولكن قيام حركة ديرية فعالة فى القسطنطينية يعود الى عهد ثيودسيوس ولقد ازداد عدد

---

(١٠١) Painter : op: cit 17: Baynes : op: cit P 158:

(١٠٢) Camb Med: Hist Vol I P 525:

الاديرة فى بيزنطـــة حتى أن ممثلى الاديرة بلغ عددهم فى مجمع ٥٣٦ م ست وثمـــانين وبازدياد اعـــداد الديرين والاديرة كان على الدولة التدخل لكى تضع لها نظاما(١٠٣) ، فلقد أصبح الرهبان والاديرة يمثلون قوة مناهضـــة مثيرة للقلاقل سواء فى مقاطعتهم أ والمجامع الدينية المختلفة التى سادت فى الامبراطورية ، وتدخلت قوى مختلفة فى أمور المفروض أن تكون لواضعى اللاهوت ورجـــال الدين(١٠٤) وعادة كان الرهبان يعملون سرا وبطريقـــة تتسم بالحرص ولكن فى حالات أخرى كانوا يقومون بالتظاهر والثورة العلنية والدخـــول فى صراع سافر يشترك فيه أغلب رهبان الاديرة ان لم يكن كلهم(١٠٥) ومع بداية كل صراع دينى أو خـــلاف مذهبى كان الرهبـــان يعلنوا فى البدايـــة التزامهم بالاســـتقلال عن الصراع ، ولكنهم لا يلتزموا بوعدهم • ففى كل مكان يبدون رأيهم صراحة فيما هو معروض وأصبح جيش الرهبان أولئك يكون جموعا غير منظمـــة وأثروا على الســـلم العام حتى أضطر الامبراطور ثيودسيوس للحد من نفوذهم وخاصـــة انهم أصبحوا عبئا على الدولة(١٠٦) ، وبدعوى الغيرة الدينية كانوا على اســـتعداد لارتكاب أعمـــال العدوان والعنف ضـــد مناهضيهم فهم مسئولون على تدمير المعابد الوثنيـــة والتمثيـــل بالوثنيين وهم المتسببون فى الشـــغب الذى حدث فى مدينـــة الاسكندرية وانتهى بمقتل هيباثيا الفيلسوفة الوثنية ، وهم مسئولون عما حدث فى مجمع أفسوس الشـــهير بمجمع اللصـــوص فلقد ذهب الديرى Barsumus archimandite مع الآف الرهبـــان لتأييد أويتخـــا فى نظريتـــه

---

(١٠٣) Bury : op: cit P 387.

(١٠٤) Hussey : op. cit P 188.

(١٠٥) Moss : The Birth of the Middle Ages P 37.

(١٠٦) Baynes : op. cit P 159.

Moss : op: cit P 56.

الكنســية ضـد الأسقف Flanrin الذي يؤيد البابا فثارت عليـه تلك الجموع ثورة عارمة وانهالوا عليه ضربا حتى توفى بعد ثـلاث أيام متأثرا بجراحه(١٠٧) ، ونجد أحداث مشابهة تكررت خلال القرن الخامس والسادس • ولقد حاول الاساقفة السيطرة على تلك المؤسسات الديرية . ففي مجمع خلقدونيـة ٤٥١ م نصت المادة الرابعة في القانون « ان هؤلاء الذين يقودون الحق ويمارسـون حيـاة ديرية حقة سيمنحوا الذى يستحقونه(١٠٨) ، لكن هنـاك آخرين جعلوا من دوله الديرية أساسا للمشاكل فى الكنيسة الدولة(١٠٩) ، فالبعض يقيم بالقرب من المدينة ويتجول فى طرقاتها مثيرا للشغب فاننا نقرر ليس من حق أي شخص اقامة ديرا أو قلاية بلا موافقـة أسقف المدينـة وأن يكون جميع الرهبان سواء فى المدينة أو الضواحى تحت سلطة الاسقف وعليهم أن يكرسوا أنفسهم للصمت المقدس ولصـلواتهم ، والامبراطور يرى انه من حق الرهبان ممرسة حياتهم المعتادة واعمالهم الضرورية خـارج الدير ولكن بتصريح من السلطـة المتمثـلة فى الاسقف(١١٠) •

ومع ذلك فقد ازداد نفوذ الرهبان زيادة كبرى رغم ان القانون كان ينص على بقائهم داخـل اديرتهم والا يسمح لاحـد بالخروج الا بموافقـة رئيس الدير أو الابروشـية Hegoumenos وحـدد الرهبان أحياء خاصة بهم •

واما ادارة الممتلكات الكنسية فكانت ترجع للاسقف ومع ذلك فان الرهبـان لم يقنعوا بالبقاء فى اديرتهم والاقتصـار على الأمـور

---

(١٠٧) Hussey : op. cit p 155.

(١٠٨) Baynes : op. cit P 60.

(١٠٩) Hussey : op. cit P 11?.

(١١٠) Hussey : op. cit 145.

الدينية وازداد عدد الاديرة زيادة كبرى مما تطلب تدخل الدولة ثانية لتنظيم الحياة الديرية والهبات التى تمنح للاديرة ، وقد ذكر احد المؤرخين الوثنين فى القرن السادس معلقا على ازدياد عدد الرهبان « هؤلاء قد أنكروا الزواج الشرعى وملؤا مؤسساتهم فى القرى والمدن برجال ونساء غير متزوجين لم يقدموا أى فوائد للدولة وللشعب ونمت اعدادهم منذ عهد اركاديوس الى يومنا هذا حيث شغلوا جزء كبيرا من أرض الدولة بادعائهم انهم يشاركون الفقراء فى فقرهم والحقيقة انهم تسببوا فى جعل غالبية الشعب فى حالة فقر(١١١) » وربما نعتبره رأى معادى لوحظ فى المبالغة وشى ، ولكنه يدل على مدى ما وصل اليه نفوذ الديرية واتساع املاكها وكثرة الهبات فقد أوقف عدد كبير من الاثرياء خاصة النساء ثرواتهم على الاديرة وحملوا مذهبها وأدى هذا الى تضاؤل دافعى الضرائب ، الى جانب حرمان الجيش من العناصر الصالحة للتجنيد(١١٢) . ولقد ازداد نفوذ الاديرة الملى والشعبى على حد سواء وحمل الرهبان لقب Violigerer الرجل الطيب العجوز (١١٣) . ولقد تأثر الشعب الرومانى بهم وخاصة أن عدم زواجهم وعزلتهم وصمتهم فى نظر العامة فى طبقة أفضل من رجال الدين التابعين للكنيسة . وهذا دفع بالاباطرة لاصدار تشريعات لتنظيم الحياة الديرية ولقد شغل موضوع الديرية وتنظيمها جزء من Novles جستنيان فأعطى القانون سلطة شرعية للقانون الكنسى وأتبع تقليد القديس Basil فى تنظيم المؤسسات وتوضيح الحياة الديرية(١١٤) . وأرجع الاشراف أيضا للاسقف ومجمع

---

(١١١) Bury : op. cit P: 388.

(١١٢) Hussey : op. cit P 117.

(١١٣) Brehier : Vie et Mort P 78:

(١١٤) Bury : op. cit P 388.

تزلوا – منع ان يرسم راهبا الا اذا قضى فى الدير ثلاث سنوات وصدر قرار مجمع القسطنطينية ٨٦١ م بمنع اقامة اديرة الا بموافقة الاسقف. وأصدر نقفور الثانى موسوما أمر فيه بعدم قيام أديرة جديدة الا فى حالات خاصة ، وان يراعى ان تتشابه فى بنائها مع بساطة الاديرة الأولى التى اتخذها الآباء الاوائل . ولقد شارك الاباطرة المتأخرين نقفور فى آرائه . وفى القرن الثالث عشر بدأت حركة ديرية اتخذت اسم Nesyschaste حيث أخذ رجال الاديرة مراكز فى الكنيسة(١١٥) ولكن الديريين لم يكونوا دوما من مثيرى الشغب كما سوتهم القرارات للامبراطور ، بل عدد كبير منهم كان يمثل الجانب المضىء فى التاريخ الدينى للعصور الوسطى ومارس بعضهم ضغطا على الاباطرة أحيانا بالنصيحة وأخرى بالثورة ، بل أن هناك من الاباطرة من اعتاد استشارتهم لا فى الامور التى تمس شئون عامة بل وسياسية أيضا(١١٦)ولقد وضع الاباطرة فى اعتبارهم دعويما حازته تلك الفئة من تأييد بين الاوساط الشعبية وعرفهم بعض المؤرخين بأنهم دعامة العالم المسيحى (١١٧) بل ان انتصار الديرية فى عهد ثيودسيوس يعتبر أهم مظهر من مظاهر النظام الكنسى ولقد نظر الشعب لهؤلاء الرجال القادمين من الصحراء كرجال الله ونسبت عليهم كثير من المعجزات ومارس الرهبان ذو المزايا والشهرة نوعا من التأثير على الاباطرة وكبار موظفى الدولة(١١٨) . وأحد رهبان القسطنطينية قاد مجموعة من الرهبان الى قصر الامبراطور ثيودسيوس الثانى فى العاصمة وتسلم منه اعترافه بالعقيدة الارثوذكسية الصحيحة والراهب

---

(١١٥) Baynes : op: cit P 167:

(١١٦) Hussey : Op: cit 119:

(١١٧) Bury : Op: cit P 387:

(١١٨) Brehier . Vie et Mort P. 74.

سيمون تدخل فى الشئون العامة للامبراطورية وقاد حملة ضد الوثنية وحارب الهراطقة وأرسل الى الامبراطور يطلب منه الاهتمام بشعبه(١١٩) والراهب دانييل كان على علاقة بالامبراطور ليو ووزراء دولته وكثيرا ما زاره الامبراطور ليستمد منه النصيحة وفى أحد المناسبات اصطحب معه ملك اللان لأخذ رأيه فى نزاع حول مسألة سياسة • ولقد قاد دانييل الشعب ضد المغتصب باسليوكس الذى أيد المنوفزتية فأجبره على التراجع عن عقيدته فى كنيسة اياصوفيا(١٢٠) • وحينما اعتنقت أسرة هرقل مذهب المونوسيلية أصر مكسيموس الراهب على عقيدته رغم الاضطهاد والنفى •

ومع بداية الصراع الايقونى بدأ الصراع الحقيقى بين الاباطرة والمؤسسة الديرية فقد أعلن الرهبان صراحة موقفهم المعادى للدولة عندما أعلن الاباطرة اللا أيقونيين الحرب ضد الايقونات التى كان الرهبان أكبر مؤيديها وحاول قسطنطين الخامس استمالتهم لجانبه فلما فشل قام باضطهادهم وفى ٧٦١ م قتل Andrew Calylite وسجن عدد كبير من الرهبان ولقد عم الاضطهاد العاصمة والولايات وأغلق عدد من الاديرة وفى انطاكية وفى ميدان افسوس خير الرهبان بين الزواج أو الموت • وكان آخر المعارضين ثيودر Studite الذى قاد المعارضة الايقونية ضد الاباطرة ، وطلب من ليو الارمنى ان يترك شئون الكنيسة لرجال الدين وان سلطة الامبراطور على الامور المدنية فقط • وحين اصدر الامبراطور قرارات لتنظيم الحياة الدينية قام ثيودسيوس بقيادة المعارضة ضده فنفاه الامبراطور • ومن المنفى استمر فى كتابة

---

(١١٩) Hussey : Op. cit 163.

(١٢٠) Charanis : Church and stat in the Later Roman Empire P 941.

رسائله وتأييده للحركة الايقونية ولكن فكرته عن فصل السلطة الدينية على السلطة المدنية فشلت رغم نهاية الحركة اللايقونية فأساس النظام [illegible] كان القيصرية البابوية ورغم ان الديرية اليونانية لم تتحول الى مؤسسة مستقلة لكن فى نفس الوقت لم تخضع لنظام صارم أو الاشراف الدائم للدولة رغم محاولات الدولة المستمرة [illegible] المعارضة الحرة فى النظام الكنسى(١٢١).

---

(١٢١) Baynes : op: cit P 155.
Charanis : op: cit: P 491.

الفصل الثالث

الامبراطورية وأعدائها

أحاط بالامبراطورية البيزنطية أعداء من جميع الجهات ففي الشرق كان الفرس وفي الجنوب الشرقي كان العرب وفي الشمال من جبال أورال شعوب آسيوية وحشية كالهون والمغول والترك وفي الغرب وجد السلاف والكلت وفي شمال غرب افريقيــة البربر ، ولكن الخطر المباشر على الامبراطورية كان يتمثل في حدودها الشرقية حيث الفرس(١) وفي الشمال الشرقي حيث الشــعوب الآســيوية وفي الغرب حيث الجرمان وهؤلاء الاعــداء أثروا في تاريخ الفترة البيزنطيــة الأولى السياسي بل والحضاري وكانوا سببا في اتخاذ عاصمة شرقية على ضفاف البسفور لتكون قريبة من فارس ومن الشعوب التبربرية التي غزت البلقان في نفس [illegible] ذكر الورسمان أن أعدائهم(٢) •
hinc [illegible]

وتاريخ بيزنطة الشرقي ما هو إلا صراع مع تلك العناصر ففي الشرق وخلف الفرس الساسانيين البارثيين ٢٢٦ م وقفت جيوشهم لمدة ثلاث قرون الى عهد هرقل تقتحم آسيا الصغرى • وظل الصراع البيزنطي الفارسي يمثل أهم مشاكل الامبراطورية الى القرن السابع الميلادي أي الى أن سقطت فارس في يد العرب • وثاني أعدائهــا كانوا القبائل الجرمانية وهنا نفرق بين جرمان الفترة الأولى الذين

---

(١) Cambridge Ancient History Vol: P 109
Bury : op. cit P 89.

(٢) Painter : Op. cit 47.
Vasiliev : Op. cit P 76.

عاشوا بالقرب من البحر البلطى ثم اتجهوا الى المنطقة بين الراين والالب وهؤلاء هم الجرمان الغربيين . اما الجرمان الشرقيين فكانت مواطنهم بين الالب والفستولا ومنذ القرن الثانى الميلادى بدأت تلك القبائل تهاجم الامبراطورية نتيجة لضغط السلاف والهون حيث اتجهوا غربا الى قلب أوربا(٣) . وفى الشمال كانت القبائل الآسيوية المتجولة التى تعيش فى هضاب روسيا منذ القرن السابع وعرفوا باسم السكيثيين السارماتيين وفى الشمال الغربى منهم كان السلاف والفن والكلت وفى القرن الثانى والثالث الميلادى اندفعت هجرات جديدة فدفعت الهون الآسيويين الجزء الشرقى من البحر الأسود وبظهور الهون بدأت فترة جديدة فى تاريخ المنطقة فى شرق ووسط أوربا وآسيا ودفع الهون أمامهم بالعديد من الشعوب والقبائل الى البلقان كالبلغار والخزر والبجناك والكومان والسلاف فدخلت تلك الشعوب الى الامبراطورية الرومانية وغزت اراضيها منذ القرن الثالث . وعند نهاية القرن السادس انتشر السلاف من مواطنهم الأصلية غرب روسيا ووصلوا فى اتجاه شرق الألب وغابات بوهيميا والب جرليان من قبل [illegible] وفى جزيرة البلقان . ولقد أطلق الروس اسم Sclavenes على كل القبائل فى المنطقة واذا كان خطر تلك القبائل بدء واضحا منذ القرن السادس فأن نشاطها كان قد بدأ فى فترة معاصرة للغزو الجرمانى(٤) . ولقد استطاعت بيزنطة استيعابهم عن طريق مبشريها ونشر المسيحية بين شعوبهم بل ان عند سقوط الامبراطورية فى القرن الخامس عشر فى أيدى الترك ظلت الكنيسة البيزنطية تأثر فى روسيا وما جاورها ، فتأثير بيزنطة الدينى استمر بعد انهيار نفوذها السياسى فى المنطقة .

---

(٣) Painter : Op. cit P 19:
Vasiliev : op: cit P 78:

(٤) Baynes : op: cit P 33:

ولم تكن الامبراطورية الرومانية هى البادئة بالعدوان تجـاه من أحاط بها من أعداء •• ففى عهد اغسطس وصلت الامبراطورية الى أقصى حد من التوسـع ممكن أن تصل اليه وأصبحت حروب الامبراطورية حروب دفاعية فى الخمسمائة عام التالية ومع ذلك شغلت الامبراطورية بصراع دائم ولم تستمتع الا بفترات سلام قليلة(٥) • فهى اما فى حالة دفاع عن أراضيها أو فى محاولة استعادة لولاياتها فالدافع لفتوح تراجان فى داكيا هو مد خط الدفاع عن اليبيا والولايات الشرقية ، وكذلك ما يتعلق بهجوم دقلديانوس ثم جوليان على تجريز الذى كان من أجل ضمان السلم ، حتى حروب هرقل مع الفرس ما كانت الا ردا على غزواتهم لأراضى بيزنطة فى آسيا الصغرى ، وهجومهم على العاصمة فالاباطرة مشغولين بمشاكلهم ومحاولة الحفاظ على عروشهم فى نفس الوقت الذى لم يحاولوا التوسع فيه بمزيد من الفتوح واذا كانت الدولة قد نجحت فى هزيمة الفرس فى عهد هرقل ولكنها لم تهدأ طويلا اذا بدأ الفتح العربى •

اما الجرمان فقد استطاعوا تكوين ممالك فى الجزء الغربى من الامبراطورية وانفصل الغرب ابتداء من ٤٧٦ م • وان احتفظ الاباطرة بالسيادة الاسمية فسيطر اودواكر الجرمانى على ايطاليـا واعترف بسلطان زينون الاسمى اما السلاف والبلغار فقد استقروا فى جسم الامبراطورية فى البلقان وكونوا ممالك دائمة اعترفت بسلطان اسمى لبيزنطة وان كانت قد ناصبتها العداء فى كثير من الأحيان •

الفـرس :

انتهت الاسرة البارثية فى ٢٢١ م وقامت على انقاضها ممالك

---

(٥) Camb : Med: Hist: Vol I P 707.
Cary : Hist: of Rome down to the reign of Constantine P. 63

الطوائف المستقلة الا أن استطاع أردشير بن بابك سادن بيت النار تكوين دولة متحدة واذ اعتبر البيزنطيون أنفسهم خلفاء قياصرة الرومان اعتبر الساسانيون أنفسهم خلفاء قورش ٥٥٩ ق م (٦) •

وبدأ واضحا منذ القرن الثالث أن فارس أصبحت أهم خطر يواجه روما ، سياسيا وعسكريا •

ولقد كان هناك بعض أوجه التشابه بين الدولتان أبان القرن الثالث وان امتازت فارس عن روما بعقيدتها الموحدة وهى الزرادشتية التى تعود الى عهد قورش ، حيث تبنى قورش معبد للديانة التى نادى بها زرادشت • ولقد ولد زرادشت فى بلاد الميديين ولكن لم تلق دعوته نجاحا فهاجر الى الفرس حيث لقيت دعوته قبولا لدى قورش وشعبه ، وأصول تلك الديانة ليست من عمل زرادشت بل انه لم يكن الا مصلح جديدا اراد أحياء بعض التقاليد القديمة فى الديانة الهند أوربية التى كانت تقوم على الصراع بين الخير اهورمزدا والشر اهريمان وكان لتلك الديانة أثر كبير على حياة ومعتقدات بلاد الشرق القديم وكان رجال الدين يسموا الموابذة أو كهنة بيت النار [illegible] كبير الكهنة يسمى موبذ الموابذة [illegible] سلطان الشاهنشاه ولقد لعب هؤلاء [illegible] الملكية فى حالات كثيرة • ولقد كون [illegible] دولة داخل الدولة •

وكانت القاعدة السائدة فى هذا المجتمع الاجبار فكل طائفة لاتستطيع الفكاك من وضعها الاجتماعى ، وكانت الطبقة الأولى تتكون من بقايا أمراء الارستقراطية وهم أمراء الطوائف السابقين وبعض أفراد

---

(٦) احمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ص ٢٣٧

Christensen : Iran Sous Les sassanides P. 28.

Camb : Ancient Hist. Vol. XII P. 115.

الأسرة المالكة وأبناء البيوت الكبرى ويمثلون الطبقة العليا وأصحاب الامارات الكبرى ، وهناك طبقة الدهاقين التي كانت تشبه أفراد الاقطاع وكان عامة الشعب من حرفيين وما اليهم مجبرين على ممارسة حرف أبائهم ولايمكن لشخص من الطبقة الدنيا أن يتعدى على هـذا التقسيم وان ينضم الى طبقة النبلاء أو رجـال الدين حيث كانت الوظائف العليا مقصورة عليهم • وكان هؤلاء يمثلون جبهة المعارضـة ضد الشاهنشاه أو ملك الملوك المؤله المشرف على العقيدة وكبير السدنه(٧) ، وهى نفس فكرة الاوتقراط الحاكم الذى اقتبستها روما من الشرق فيما بعد وكان الفرس يعتقدون انهم أفضل من الرومان من الناحية الدينية حيث تعددت ألهة الرومان ولم تكن ليهم عقيدة موحدة تضم كل الامبراطورية وانما كيان قائم بذاته كالزراد شتيه وكهنتها • وبالاعتراف بالمسيحية أصبحت اكلا الدولتان عقيدة موحدة تتولاها مؤسسة دينية • ولقد تشابه المجتمعان فى نهاية القرن الثالث فى عدة أمور ، فالبطريرك يشبه موبد الموابذة : وتنظيمات المؤسسة الدينية الكنسية تتشابه مع تقسيمات الوظائف الدينيـة الزرادشتيـة فى بعض المظـاهر يؤيد كلا منهما غالبا الارستقراطية ضـد الملكية • واتخذ المجتمع الرومانى أيضا فى أواخر القرن الثالث صفة الاجبار فى نظام الحرف فنتيجة لنمو الضياع الكبرى Latifundia وارتباط الافنـان بالأرض وجـد أيضا ما يشبه الاجبار فى الحرف فما حدث من صرامة النظام الطبقى وجد من العسير على الفرد أن يفر من مكانته الاجتماعيـة التى نشأ عليها(٨) ، والواقع أن النظام المالى كان مسئولا عن هـذه النتيجة فحينما أصبحت مجالس السناتو المحلية مسئولة عن جمع الضرائب

---

(٧) Camb. Ancient, Hist Vol P II°.

(٨) Ostrogorsky : op. cit p 27.

صار لزاما على الأبناء ان يسيروا على نهج الآباء فارتبطت الوظائف بالطوائف سواء كان رجال سياسة أو ارباب الحرف(٩) •

وقد كان تأثر كل من الدولتين بالأخرى واضحا فى المجال الحضارى ولقد ذكرنا التأثيرات الفارسية الواضحة فى مجال الفن والأدب البيزنطى • ولقد شعر كلا منهم بقوته وبقوة الطرف الآخر ففى نتيجة للرسائل المتبادلة بين الطرفين اعتبر كل منهم مساوى للآخر واستخدم لقب باسيليوس لمخاطبة الشاهنشاه فى الوثائق البيزانطية • أما بقية الملوك فاستعمل لقب Rex وكان من المتبع عند تولية حاكم جديد فى كلا الدولتين أن يرسل سفارة الى جانب الاخر ينبئه بذلك ويتمتع سفراء كلا الطرفين بمعاملة خاصة لا تتوافر لبقية السفراء وعادة يختار لتلك السفارات افراد ذو مكانة عالية ويلقبوا بالسفراء العظام ولقد تأثر الفرس بالفكر اليونانى والحضارة اليونانية بل شجع ملوكهما فلاسفة اليونان فقد أقام عدد من النساطرة مدارس للمعارف اليونانية فى الرها نشرت المعرفة اليونانيـــة فى مدن آسيا ولما أمر الامبراطـــور زينون باغلاقهـــا لجأ هؤلاء الى اكاسرة فـــارس حيث أكرموهم • وفى ٥٢٩ م أغلق جستنيان مدرسة اثينا الفلسفية بدعوى أنها تنشر الالحاد وصادر ممتلكات أساتذتها وفقدت اثينا أهميتها الثقافية • وارتحل أساتذتها الى بلاط كسرى حين سمعوا باهتمام كسرى انوشروان بالفلسفة فأستقبلهم بالترحاب وقام بنشر معارف أرسطوا وجالينوس وديسقورس ويقال ان بعضهم عاد الى اليونان بمقتضى معاهدة عقدها جستنيان تقضى بالسماح بالعودة لهم مع عدم اجبارهم على اعتناق المسيحيـــة •

---

(٩) بالنسبة لنظام الاحبار الدائمى والحرف « انظر » •
Arom: Marc. XVII 5: 10
Camb: Med Hist Vol I 51.

ولقد بدأت علاقة الدولة الرومانية أسياسيه بالساسانين منذ قيام الدولة علىيد سابور بعد قضائه على البارثيين فىعهد الامبراطور فاليران(٢٥٣ ـ ٢٦٨م) • وقد بدأت بداية عدائية واستمرت مايقرب من من أربع قرون كانت المعارك سجلا بين الطرفين وتغيرت الحدود عدة مرات وفق معاهدات مختلفة تخللتها فترات سلم قصيرة • وكان سبب الخلاف غالبا ارمينيا وهى تمثل نقطة خلاف ومنطقة صراع بين الدولتين طوال تاريخهما وأصبحت مشكلة السيطرة عليها من أهم المشاكل التى تواجه الدولتين وخاصة بعد انتشار المسيحية فى الفترة التالية(١٠)• وكان بدأ الصراع بين روما وفارس يعود الى ان ارمنيا التابعة آنذاك، سياسيا للفرس والتى كن يتولى أمرها أحد أفراد الاسرة البارثية السابقة ، الذى سعى للتحالف مع روما ولكن لقى مصرعه علىيد سابور ومع ذلك فقد حيكت مؤامرة لتوليه Tiridates ابن خسرو بمعاونة روما ؛ فاضطر سابور للعودة الى ارمينيا وضم فى طريقه نصيبين وخرج فاليران على رأس جيشه ولكن بسبب عدم كفاية القيادة واستماعه الى نصائح قائد الحرس البيرتورى ماكريانوس هزم الرومان وعرض فاليران جزية مالية مقابل السماح لهم بالانسحاب • ولكن رفض سابور وانتهى الأمر بأسر الامبراطور الرومانى واختار سابور أحد القادة الرومان وهو Cyriades كامبراطورا ، وتقدم جيش الفرس لانطاكية ثم لقيصرية عاصمة قبادوقيا ، حيث أجرى الفرس مذابح وحشية هناك ولم يتصدى لسابور سوى جيش أوديناتوس السورى العربى شيخ السناتو وحاكم تدمر • ولقد تطلب استمرار الصراع بين الدولتين فى ايجاد حدود دائمة تنظمها معاهدات ، وأول تلك

---

(١٠) Bury : Op. cit P 93.

(١١) جيبون : اضمحلال الامبراطورية ج ١ ص ٢٤٨

Baynes : Rome and Armenia in the Forth Century.

المعاهدات كانت فى عهد دقلديانوس الذى أهتم بالشرق وعين حاكما لارمينيا هو تيرادتيس • ولقد حققت حملاته نجاحا وضمت عدد من المدن البيزنطية ومع ذلك فقد عقد صلح مع فارس لمدة أربعين عاما تنازل فيه للفرس عن الولايات الواقعة فيما وراء دجلة ومد خط الحدود من الشمال الى الجنوب من حدود كولخيس الى البحر الأسود الى قيصرية على الفرات(١٤) •

وبانتقال العاصمة الى الشرق وانشاء القسطنطينية أصبح من السهل على بيزنطة تحريك قواتها بسهولة لمواجهة فارس وأصبحت العاصمة أقرب الى مركز الصراع ، ولقد تجددت مشكلة ارمينيا وخاصة بعد انتشار المسيحيــة فى أراضــيها ووجود حكام يدينون بالولاء لبيزنطة وتعرض المسيحيون للاضطهاد على يد الفرس فى عهد سابور الثانى فاضطر الامبراطور قسطنطين للخروج على رأس قواته(١٥) وفى البداية انتصر الرومان ولكن أنقلب النصر فى سنجار ٣٤٨ م الى هزيمة نتيجة للاهمال وحاصر الفرس نصيبين ثلاث مرات وتم الصلح أخيرا فى ٣٥٠ م • ورغم ان جوليان فى عام ٣٦٣م استطاع احراز النصر على الفرس وأجبرهم على التراجع الى تجريز وحاصرهم حتى عرض الفرس السلام ، ولكن أصاب الامبراطور سهم تشت مجهول المصدر مما قلب مقاييس الحرب لصالح الفرس لعدم مقدرة جوفيان الذى خلف جوليان(١٦) وخاصة بعد الجهوم الخاطف الذى قــام به سابور استغلالا لوفاة الامبراطور وطلب الرومان المفاوضــة وانتهى الأمر بصلح سنة ٣٦٣ م الذى يعتبر مهينا بالنسبة للرومان عدلت على أساسة الحدود ثانية ، فقد قضى باستعادة الولايات الخمس الواقعة

(١٤) Bury : Op. cit P 93.

(١٥) Chapot : La Frontiere de Euphrate P 332.

(١٦) Ostrogorsky : Op. cit P 27.

وراء دجلة ومدينة نصبين وسنجار والتنازل عن مملكة ارمينية لفارس وأصبحت الحدود تمتد فى اتجاه الجنوب بين نصبين ودارا الى نهر الخابور ، ومن فرع الخابور الذى يصل من الفرت الى قراتصيا وتبقت للرومان مدن اميديا ، الرها ، ملطية قسطنطينا ولقد استاء الشعب الرومانى من هـذه الاتفاقية خوفا للمعاهـدات السابقة لم يتنازل الرومان الا على ولايات نائية(١٧) .

ومع ذلك فان بيزنطة لم تلتزم بالنص الخاص بعدم التدخل فى شئون ارمينيا بل اعتبرت عدم استجابتها الى نداء الارمن التابعين لها فى العقيدة تخلى عن مسئوليتها الدينية فتدخل فالنز فى أمر ارمينيا ٢٧٣ م بناء على استنجاد امرائها وانتهى الأمر بعقد هدنه لأن فالنز لم يكن يبغى نقض السلام ، وأجرى ستليكو فى عهد ثيودسيوس الثانى معاهدة مع سابور الثالث انتهت بتقسيم ارمينيا قسم مستقل وقسم يتبع فارس وهو الأكبر ، وان كان يتولى القسم الأول أمير تابع لبيزنطة هو أرشاك وعند وفاته ٣١٠ م . قسمت بيزنطة الامارة الى خمس استرابيات يتولى كل منها استرابون ولكن اكبرهم كان يحمل لقب كونت ارمينيا واستمر هذا الوضع للقرن السادس . وقد اقيمت سلسـلة من القلاع لحمايـة البـلاد من الخابور الى دارا واميديا وديار بكر(١٨) وكانت الحدود الشرقية لآسيا تتبع الفرات الأعلى وأهم المراكز الدفاعية ملطية فى الجنوب وصدفة فى الشمال . فملطية على مسافة متساوية من طرابزون ويصل اليها من سميساط طريق طويل يتبع الشاطىء الشرقى من الفرات حيث توجـد ارمينيا التى تكون جبالها حاجزا طبيعيا للدفاع ضد فارس ، ولقد حرص خلفاء ثيودسيوس

---

(١٧) جيبون — اضمحلال الامبراطورية الرومانية ج ١ ص ٢٢

(١٨)

Bury : op: cit P 93:

على عدم نقض الهدنة القائمة ولكن فى عهد انستاسيوس اندلع الصراع ثانية بسبب العرب المقيمين على حدود كلا الدولتين . فقد كان على حدود كلا الدولتين تعيش قبائل بدوية عربية : فعلى الحدود الرومانية كان بنو غسان الذين هاجروا فى القرن الثالث المسيحى متخذين الطريق الموصل بين مآرب ودمشق واتصلوا ببيزنطة واعتنقوا المسيحية(١٩) ويذكر جيبون أن ذلك لتأثير الديرين المسيحين كسيمون العمودى والرهبان الذين عاشوا فى الصحراء السورية واستغلتهم بيزنطة لحماية طرق التجارة والتصدى لغزوات الآخرين كما وجدت فيهم أداة صالحة لحماية حدودها ضد توسع الفرس(٢٠) .

ولقد استخدم الفرس فى المقابل قبيلة عربية أخرى وهى بنو لخم ، أدت لهم نفس الوظيفة فاستقرت فى الحيرة وكونت مملكة قوية فى جنوب بابليون تدين بالولاء لفارس ولقد اشتبكت كلا القبيلتين فى صراع دائم لحساب فارس وبيزنطة(٢١) ووصلت كلا الدولتين الى أوج مجدها فى نهاية القرن الثالث فى عهد الحارث بن جبلة بن غسان والمنذر بن ماء السماء فى الحيرة ولقد شارك فى حروب القرن الرابع فرددت المراجع البيزطية ذكر اسم قبائل الحيرة الذين وردوا تحت اسم العرب بين القوات التى هاجمت جيوش جوفيان فى فارس وفى ٤٩٨ م اجتاح النعمان بن المنذر حليف فارس ولايات بيزنطة الشرقية ولكن تصدى له حاكم ملطية والغساسنة بقيادة حجر وجبلة ولكن كلا الدولتين كانت تستخدمها كمخلب قط ، وعند استنفاذ اغراضها تتخلص منها فعندما تجدد الصراع حول أرمينية ثانية استنجد الشاهنشاه قباذ بانستايوس وطلب منه مساعدات مالية ولكن الأخير

---

(١٩) احمد فخرى / دراسات فى تاريخ الشرق القديم ص ٢٣٧

(٢٠) جيبون : اضمحلال الامبراطورية ج ١ ص ٢٣

(٢١) Amm. Marc. VIX 4.

اشترط سدادها فتجددت الحرب وانتهى الأمر بينهما بالاتفاق على التخلص من بعض القادة العرب فى كلا الطرفين الذين يدينون لهم بالتبعيـة •

ولقد قام اباطرة بيزنطة بتحصين حدودهم المشتركة مع فارس فدعموا الحدود فى دارا مستغلين فترة انشـغال الدولة الفارسية بمشاكلها ، وفى عهد جستنيان اشترت الامبراطوريـة السلام من كسرى انوشروان بالمال فى سنة ٥٣٢ م ليستطيع الامبراطور التفرغ لحروبه الهجومية فى الغرب ورغم انتصاره فى دارا وافق على نقل مركز الحاكم البيزنطى من دارا على الفرات الى قسطنطينا(٢٢) ، وترك التدخل فى أمر ارمينيا • ولقد تجدد الصلح عدة مرات وفى ٥٦١م عقد سلم لمدة خمسين عاما وكان على بيزنطة ان تدفع فى مقابلة جزية مالية ، ولقد انتهى الصراع البيزنطى الفارسى فى عهد هرقل بعد عشرين عاما من القتال بين هرقل وكسرى ابرويز فى معركة نينوى فى عام ٦٢٧م • بل أن شيراويه عند وفاتـه أوصى بأن يتولى هرقل الوصاية على ابنه • وبظهور العرب واستيلائهم على ولايات بيزنطة الشرقية ثم اخضاعهم فارس تجدد الصراع فى المنطقة وخلف العرب الفرس كعدو تقليدى لبيزنطة(٢٣) •

الجرمـــان :

يمثل الغزو الجرمانى أهم الأحـداث فى تاريخ الامبراطورية البيزنطية فى القرنين الرابع والخامس الى عهد جستنيان ولقد أثرت تلك الهجرة الجرمانية فى تاريخ الامبراطورية عامـة والجزء الغربى

---

(٢٢) Christensen : op. cit P 281.
Vasiliev : op cit P 197.

(٢٣) Hussey : op. cit p 16:
Bury : op. cit p 96.

خاصة فأثرت فى الولايات الامبراطورية من بريطانيا الى الغال الى شمال افريقيا • ومنذ القرن الأول الميلادى عرفت تلك القبائل طريقها الى أراضى روما وعرفهم الرومان زمن قيصر وتاكتيوس وكتبوا عنهم والمقصود عنا الجرمان الغربيين ومقرهم بين الراين والالب وهؤلاء عرفوا نوعا من الاستقرار(٢٤) •

اما الجرمان الذين هددوا الامبراطورية فى القرن الرابع فهم الجرمان الشرقيين الذين احتلوا الاراضى بين البحر البلطى وبين الالب والفستولا وكانوا يعيشون بعيدا عن أفق السياسة الرومانية ايام اغسطس ودومتيان وتشمل القبائل الجرمانية القوط الوندال البرجنديين اللمبارد الفرنجة الجبيد السكسون •

ومنذ القرن الثانى الميلادى بدأت تلك القبائل ترتاد أراضى الامبراطورية وتؤثر فى تاريخها فقد اضطرت للهجرة من مواطنها نتيجة لمتطلبات الحياة وقلة المراعى وزيادة عدد السكان وتعرضهم لضغط من كل السلاف والهون الذين اتجهوا من وسط آسيا الى الجنوب الغربى خلال طريق الاستبس الطويل الذى ينتهى فى أراضى المجر فأتجه فريق منهم الى البلقان ولكن لم يمثلوا خطرا مباشرا على الامبراطورية واتجه فريق آخر الى ولايات الغرب ودخلوا فى صراع سافر مع الامبراطورية الرومانية منذ عهد ماركوس أورليوس ١٦١ — ١٨٠ م الذى اشتبك مع الجرمان فى شمال الدانوب حين اتجهوا هناك نتيجة لضغط القبائل أسفل الالب فى بانونيا(٢٥)• وفى بداية القرن الثالث هاجر القوط من مصب الفستولا الى الشواطىء الشمالية للبحر الأسود ومن مستعمراتهم تلك انقسم القوط قسمين شرقى وغربى

---

(٢٤) Tacitus : The German, trans Brodribb P 709

(٢٥) Camb : Med. Hist Vol I P 103.

حيث بدأ هجومهم الفعلى واجتاحو أراضى الامبراطورية فى عهد كل من كراكالا وجيتا وابلاجابا لوس والاسكندر سعريوس ومكسيميان • ولقد بدأ خطرهم واضحا فى عهد فاليريان ومثل كلا من الفرنجة والالمان والقوط الغربيين خطرا على أمن الامبراطورية ، بل اعتبرتهم آنذاك أكثر خطرا من الفرس ولقد تصدى لهم جاليئوس بن فاليريان وشريكه فى الحكم •

فمنذ ٢٤٠ كون سكن وأدى الراين الادنى والويز اتخاذا تحت اسم الفرنجة واجتاحوا المنطقة من الراين الى البرانس (٢٦) وظهر السويفى والليمانى منذ عهد كاركالا على ضفاف نهر السين وفى الأماكن المجاورة للولايات الرومانية فى نفس الوقت سارت جموع كبيرة من الالمان عبر الدانوب واخترقوا جبال الالب الى سهول لمبارديا ثم وصلوا لرافنا وأصبحوا على مقربة من روما ولقد تصدى السناتو لهم عن طريق ارساله جيشا فاضطروا للتراجع ، وكانت غارات Saramtians وهم قبائل آسيوية قائمة على حدود الدانوب(٢٧) •

اما القوط فانهم باستوطانهم فى أوكرانيا أصبحوا سادة على الشاطىء الشمالى للبحر الاسود والى الجنوب من هذا البحر كانت ولايات آسيا الغنية والمسافة بين ضفاف الدنيبر والمدخل الضيق لشبه جزيرة القرم لا يتجاوز ستين ميلا فغزت اساطيلهم وحاولوا الاستيلاء على Rityus وهى آخر حدود الولات الرومانية ولكن لم تستطيع أساطيلهم اقتحامها • ولكنهم استطاعوا نهب مدينة طرابيزون ، وفى غزوة أخرى وصلوا الى خلقدونية وهاجموا نيقوميديا وكوزيكوس بل اثينا أيضا •

(٢٦) Bury : op: cit P 5:
(٢٧) Lot : Les invasions Germany ues P 23.

ورغم ان كلوديس ٢٦٨ ـــ ٢٧٠ أحرز انتصارا باهرا على القوط فان الامبراطور أورليان ٢٧٠ ـــ ٢٧٥ منح القوط أقليم داشيا لحصرهم فى منطقة وضمان عدم اعتدائهم على أراضى أخرى فى الامبراطورية بتوفير المستقر لهم • وان كان قد جرد قواته فى نفس الوقت ضد القبائل الليمانى ورغـــم أن الهجوم الجرمانى خفت حدته فى الفترة التالية فأنها لم تنتهى فان الامبراطورية تعرضت لغزوات جرمانية فى عهود كلوديوس تاكتيوس وأوروليوس وكاروس ودقلديانوس(٢٩) •

ونلاحظ أن هناك ظاهرة هامة بدأت تتضح فى العلاقات الجرمانية الرومانية فى هـــذه الفترة هى ان الغزو الجرمانى للامبراطورية بدأ يتخذ مظهرا آخر الى جانب المظهر الحربى ، الا وهو الغزو السلمى لأراضى الامبراطورية عن طريق التحاق اعداد كبيرة بالجيش الرومانى وتكوينهم فرقا كاملة فى بعض الأحيان ، ووصول بعضهم لمرتبة القادة وحدث امتزاج جنسي عن طريق الزواج بين الطرفين ، ودقلديانوس عند اعادته تنظيم الجيش وقيامه بحركته الاصـــلاحية كانت مرتبة الجندى ترتفع كلما قل نصيبه من الحضـــارة ومع قيام الامبراطورية البيزنطية وانتقال العاصـــمة الى الشرق فان هـــذا الاتجـــاه بدأ واضحـــا(٣٠) •

وفى نفس الوقت لم يتوقف الجرمان عن محاولة الغزو والتغلغل الحربى ولقد قضى الامبراطور قسطنطين سنوات عدة فى صراع مع القبائل القوطية والسارماتية وخاصة فى الفترة الأخيرة من حكمه ولقد طردهم قسطنطين الى ما بعد الدانوب واستعبد آلاف منهم وجعلهم

---

(٢٩) سعيد عاشور : اوربا العصور الوسطى الجزء الاول ص ٥١
Camb : Med. Hist Vol I P 204.
(٣٠) Ostrogorsky : op: cit P 17:

اقنان فى أرضه(٣١) وحارب قسطنطيوس الالمان فى الالزاس والراين وقاد جوليان الجيوش الامبراطوريه ضد البرابرة فى الغال(٣٢) •

ولكن ابتدأ الغزو الجرمانى منذ عهد فالنتيان وفالنز يأخذ شكل هجرة عامة وأصبح يمثل خطرا على وجود الامبراطورية نفسها وقام فالنتين امبراطور الغرب بتجريد آلاف من القوط من سلاحهم واقامهم على حدود الامبراطورية • وقام فالنز بالاستجابة لنصيحة أخيه بالهجوم على الدانوب فى ٣٦٦ — ٣٦٥ م وأجبر الجرمان على توقيع معاهدة سلام واقسموا على عدم التخلى عن ولائهم لبيزنطة ولقد تعرض الجزء الغربى لهجوم العناصر الجرمانية كالالمان والسكسون والفرنج والقوادى السرماشيين فانتصر فالنتيان على الجرمان فى ثلاث معارك وفى الحدود الشمالية طهر الولايات من السكسون والفرنج(٣٣) •

واما الجزء الشرقى فان الوضع أخذ شكلا خطيرا فقد تقدم القوط فى ٣٧٥ م الى الامبراطور فالنز للسماح لهم بدخول الى أراضى بيزنطة نتيجة لضغط الهون ، فعبر ما يقرب من مليون ومئة ألف واستقروا فى ٣٧٦ م على الضفة اليمنى من الدانواب واعتبروا معاهدين فى مقابل تقديم المساعدة العسكرية ولكنهم فى ٣٧٨ م ثاروا ضد الامبراطور ونهبوا الأراضى المجاورة فخرج الامبراطور لملاقاتهم فى ادريانوبل ولكنه هزم وقتل هو وقواده ، وتقدم القوط من ادريانوبل الى أراضى الامبراطورية الشرقية بل سعوا الى مفاجآة العاصمة

---

(٣١) Camb : Med. Hist. Vol I P 220.

(٣٢) Ostrogorsky op: cit P 47:

(٣٣) Camb : Med. Hist Vol I P 22?.

القسطنطينية ووصلوا فعلا الى أسوارها ولكن اضطروا للتراجع امام مناعتها الى تراقيا(٣٤) •

وكانت مشكلة القوط هى أول المشاكل التى واجهت الامبراطور ثيودسيوس ورأى الامبراطور ان محاولة القضاء على القوط عن طريق الهجوم المباشر لم تعد مجدية أمام جحافلهم فسعى لاستمالتهم عن طريق التنازل عن بانونيا وموأسيا العليا الى القوط الشرقيين ، وبذلك استقر البرابرة على الحدود الشرقية وعرفت تلك السياسة باسم Foedus • وفى ١٣ أكتوبر سنة ٣٨٢ م عقد الامبراطور معاهدة مع القوط الغربيين وسمح لهم بالاقامة فى موانسيا السفلى ولقد أفاد كلا الجانبين الجرمان والامبراطورية منها ولكن مع الوقت لم تحقق ما يرجوه الطرفين فلقد حصل الجرمان على حق التشريع المحلى واختيار امرائهم فى مقابل حماية الحدود واعداد فرق يقودها قادة منهم ؛ وكانت الأراضى التى حصلوا عليها لاتخضع للنظام الضريبى الامبراطورى ولا تدفع جزية . ولقد منح من انخرط منهم فى سلك الجيش الامبراطورى مرتبات عالية ؛ وبعضهم دخل تحت الخدمة المباشرة للامبراطور(٣٥) • ولقد ترتب على ذلك ان أصبح العنصر الجرمانى هو السائد فى الجيش وتولى عدد كبير من القادة تجرى فى عروقهم دماء جرمانية ، ولقد عوض هذا نقص الرجال الذى عانى منه الجيش • ولقد اعتبر ثيودسيوس سياسته تلك نصرا ؛ ولكن مع المدى الطويل فانها تمثل سلاما مؤقتا فمن الصعب على هؤلاء البرابرة ان يصبحوا جنودا نظاميين أو اداة طيعة فى الجيش الرومانى وكان الجهود التى بذلت لصبغهم بالصبغة الرومانية ذهبت هباء بل ان

---

(٣٤) Vasiliev : op: cit P 78:

(٣٥) Lot : Les invasions P
Vasiliev : op: cit P 87:

أدانوب فيما عدا دوبرد وزا أقتطع من بيزنطة بل أن ازدياد اعداد القوط فى الجيش اعتبرت خطرا عليه ، ومعظم القوط كانوا اريوسين والبقية تمسكوا بوثنيتهم ولذلك لم يدم السلام طويلا(٣٦) •

وأصبح الجرمان عند وفاة ثيودسيوس موزعين كما يلى :
على حدود الراين كان الفرنجة فى الشمال ثم مجموعة قبائل معاهدة للامبراطورية وهم الالمان ، وفى الجنوب الفرنجة وكانوا قسمين Salians وفى شمال الراين ، Raanons فى منتصف الراين وتمتد حدودهم جنوبا الى الميتز حيث تبدأ أراضى الالمان فى هولندا وفريزيا ، والسكسون أراضيهم تمتد من شمال البحر الى وستفاليا ، Thuringians حول الغابات التى ماتزال تحمل اسمهم(٣٧) • والانجلز حول عنق شبه جزيرة دانيمش ، الماركومانى فى بوهيميا Siling من قبائل الوندال فى سيلسيا وفرع آخر من الوندال هو Asding فى أعلى Theiss وبجانبهم Rugians فرع آخر من الجرمان Gepids وهم أقرب العناصر الى القوط فى شمال داكيا و Scirians فى داكيا والقوط الشرقيين فى شمال شاطىء البحر الاسود وأسفلهم Heruls الذين اتجهوا فى القرن الثالث بعد تركهم السويد ، اما بانونيا فسقطت فى أيدى البرابرة الهون واللان وقسم من القوط الشرقيين ، اما داكيا فقد اجتاحها الهون (٣٨) •

ويجب أن نفرق بين شطرى الامبراطورية عند التحدث عن الغزوات الجرمانية فقد استطاع اباطرة الشرق انقاذ أراضيهم بالتخلى

---

(٣٦) Bury : op: cit p 99:
(٣٧) Bury : Op: cit P 99:
Oman : The Dark Ages P 16:
(٣٨) Oman : Op: cit P 16:

عن الغرب للقبائل الجرمنيه تسيطر عليه وتكون ممالكها المستقلة التى لاتدين الا بسيادة اسمية للامبراطورية الشرقية ففى عهد زينون استطاع أحد قادة القوط الاستيلاء على الحكم فى ايطاليا واستمر فى الحكم من ٤٧٦ — ٤٩٠ م وأرسل سفارة الى القسطنطينية من أعضاء سناتوروما تطلب ان يمنح أودواكر لقب شريف ويتولى الحكم كنائب عن الامبراطور ومنح فعلا لقب(٣٩) Magister Miltum وفى نفس الوقت آثار فى الجزء الشرقى الاضطراب اثنين من القادة الجرمان هما ثيودريك سترابون فى تراقيا وثيوديرك امالى فى ولاية اليريا وأخذ الامبراطور يستعين بكل منهم ضد الآخر ولقد خلصه الموت من ثيودريك استرابون اما ثيودريك امالى القوطى فقد دفعه الامبراطور الى الاتجاه الى ايطاليا وانتزاعها من أودواكر وباستيلاء ثيودريك على ايطاليا قامت مملكة القوط الشرقيين باعتراف الامبراطورية وموافقة زينون ، وان لم تكن هى المملكة الجرمانية الوحيدة فقد قامت عدة ممالك جرمانية على أراضى الامبراطورية فالقوط الغربيين اسسوا مملكة فى اسبانيا والوندال فى شمال افريقيا ثم ممالك الفرنجة والبرجنديين والسكسون(٤٠) • وكانت محاولة جستنيان فى القرن السادس القضاء على الممالك الجرمانية واعادة وحدة الامبراطورية هى آخر محاولة جدية •

الجرمان والشرق البيزنطى :

واذا كان الغرب سقط فى أيدى البرابرة فان الشرق أيضا تعرض لتلك الغزوات وان كانت أقل حدة الى جانب ما تمتع به القسطنطينية

---

(٣٩) Ostrogorsky : op: cit p 58:

(٤٠) Bury : op: cit p 99:

من حصانة ومناعة طبيعية(٤١) ، ولكن تعرض الجزء الشرقى للغزو السلمى منذ عهد قسطنطين • وبدأ تأثير العنصر الجرمانى واضحا فى السياسة الداخلية للدولة البيزنطية فالفضل فى انتخاب قسطنطين يعود لجيش بريطانيا وقائده الجرمانى حيث أعانوه ضد ليسنيوس وبدأ امتزاج الجرمان وتزاوجهم بالرومان ويقال أن ثيودسيوس الثانى كانت تجرى فى عروقه دماء جرمانية وابتداء من عهد اركاديوس وهنريوس تغلغل الجرمان وقادتهم فى حياة الامبراطورية فستليكو قائد الغرب قوطى ورفينوس الوصى على اركاديوس امبراطور الشرق جرمانى(٤٢) ، وكان ستيلكو متزوجا من احدى قريبات الامبراطور •

وبعد التخلص من روفنيوس تولى الخصى اوتربيوس الوصاية على الامبراطور وسيطر جانياس القوطى على الامور فى البلاد وحين قام خلاف بينه وبين الامبراطورة يودوكسيا زوجة اركاديوس انتصر فيه جانياس ونفى انصار الامبراطورة . وتمادى جانياس فى تصرفاته وحاول الاستيلاء على بعض الكنائس لصالح القوط فثار اهالى القسطنطينية عليه وتخلصوا من القوط فى مذبحة فى كنيسة للقوط الارثوذكس ، واضطرت بقاياهم للتراجع الى خرسون لكى يعبروا لآسيا وهرب جانياس عبر الدانوب حيث قتل • وتكرر هذا الموقف بعد وفاة مارقيان فقد قام القائد الجرمانى اسبار بتعيين ليو لعدم استطاعته تولى العرش بوصفه بربرى ، وحول منع الامبراطور من ممارسة سلطانه فحاول هذا التخلص منه عن طريق الاستعانة بالايزورنيين وبعد صراع بين الطرفين انتهى الأمر بمقتله فى ٤٧٩ م هو وأولاده ، فالشعب البيزنطى لما يؤلوا جهدا فى التعبير عن

---

(٤١) Vasiliev : op: cit p 92:

(٤٢) Camb : Med. Hist Vol I p 469.
Hussey : Op: cit: p 14:

بسخطه من تحكم العناصر الجرمانية ورفضها ان يتولى حكمة متبربرين أقل منه منزله(٤٢) ورغم ان محـاولات البيزنطيين التخلص من العناصر الجرمانية داخل الدولة كتب لها النجاح في الجزء الشرقي فانها أدت الى نقص فى الجيوش الامبراطورية التى تعتمد اعتمادا كبيرا على تلك العناصر الجرمانية .

٣ ـ شعوب وسط آسيا واستبس روسيا :

على حدود الامبراطورية فى الشمال والشمال الشرقى فى مناطق البلقان والبحر الأسود كانت الامبراطورية على صلة بعدد من الشعوب والتى تنتسب الى الجنس Ural Alatis ومجموعة Uralic تشمل ثلاث أجناس الأول الفن الفنش والمولدافين والثانى Uralic ويشمل المجـرين و Voguls والثـالث Alatic يشـمل التـرك المغـول Manchul Tunguise

وكانت أهم القبائل التى تنتسب الى هذا الجنس والتى ارتادت الدولة البيزنطيـة فى الفترة الأولى اللان والهون ولقـد اثرت تلك الشعوب وتأثرت ببيزنطة واستطاع السلاف صبغ البلبونيز بالصبغة السلافية رغم اختفائهم كدولة وتنظيم سياسى وظل اسمهم علما على المنطقـة(٤٤) .

ومع بداية القرن السابع ظهرت قبائل أخرى تنتمى لنفس الجنس وهم الصرب والبلغار والمجر الذين استطاعوا الاستقرار فى البلقان وتكوين ممالك مستقلة ارتبطت بالود أحيانا والعداء أحيانا أخـرى

---

(٤٢) Brooks : The Emperor Zenon and the Lsaurians P: 216:

Runicmau : Byzantium and the slavs p 339.

مع بيزنطة ومع ذلك فقد أثرت بيزنطة عقائديا وثقافيا وحضاريا فى تلك الشعوب وظل تراث بيزنطـــة وكنائسها الارثوذكسية قائمة رغم زوال سلطانها السياسى •

واقد شاهدت المنطقـــة فى القرن السابع ق•م هجرة عدد من شعوب استبس روسيا ووسط آسيا فغادر السكتيين والسرماتيين • ولقد غادر السكتيين جنوب روسيا واجتاحوا اميديا فى ٦٦٣ وتقدموا للعراق وسوريا ومصر الا أن طردهم Cyaxarex من ميديا وعادوا الى البلقان ثانية ، والى الشمال الغربى منهم كان السلاف والفن •

ولقد تجاورت تلك الشعوب مع مجموعة المستعمرات الاغريقية Chresonesas, Pahtieo, Tyrus Theodosia, Olbia: التى على البحر الاســود ويقال ان ســكان المنطقـــة الاصليين هم Tauri ولقد تأثروا حضاريا باتصالهم بالاغريق وكانت مملكتهم تتألف من بعض عناصر يونانية ومتبربرين نصف متحضرين(٤٥) ، وكانت عاصمتها تقع على المضايق التى تصل بحر أزوف بالبحر الاسود • ولقد بعثت كدولة مستقلة منذ حرب البلبونيز حتى استولى عليها متراداتس ثم سقطت مع بقية ممتلكاته فى أيدى الرومان • وبقى حكام البسفور منذ عهد اغسطس حلفاء متواضعين ولكنهم ذوى نفع للامبراطورية ولقد وقفوا سدا منيعا فى وجه قطـاع الطرق والقراصـنة من أهل سارماشيا وحاولوا دون تحكمهم فى البحر الاسود وآسيا الصغرى • وفى القرن الثانى الميلادى اندفعت هجرات جديدة الى شمال البحر

---

(٤٥) جيبون • اضمحلال الامبراطورية الرومانية • Bury : op. cit 101.

De Guignes : Hist des Huns 4 vols.
Bury : op. cit p 101.

الاسود والجزء الغربي من الاستبس احتلته القبائل الجرمانية وخاصة القوط والجزء الشرقي هنه ... بون الآسيويين .

ولقد ظلت مملكة القوط قرنين في الهضاب جنوب روسيا وفي مناطق على حدود ... الاسود ودخل القوط أراضي بيزنطة في البلقان واشتبكوا في صراع معها . وفي ٢٧٥ م اختفى القوط من شواطيء البحر الاسود واتجهوا لأوربا وإن كان قد بقى جزء صغير منهم في القوقاز .

وفي عهد فالنز ظهر الهون في جنوب غرب البحر الاسود وبظهورهم بدأت فترة جديدة في تاريخ المنطقة فقد اندفعت جموعهم لجنوب روسيا وسيطروا على اللان والقوط الغربيين ثم طردوا القوط من داكيا(٤٥) .

والهون ينتسبون الى الجنس المنغولي الذى تفرعت منه الاجناس التى ينسب اليها كل من المجر والهون والصرب والبلغار ولقد أقام الهون مراعيهم في المناطق القريبة من الخليج الفارسي وبحيرة آرال ولكن بسبب الأحداث السياسية في شمال وقلب آسيا ونتيجة ضغط هجرات وشعوب أخرى وقلة المرعى وصعوبة الحياة اتجهوا الى الغرب، وكان هذا أثناء ارتفاع شأن امبراطورية Zhu-Zhu الصينية ولقد مدوا نفوذهم على منطقة من حدود كوريا الى حدود أوربا والبعض ينسب الهون الى Hiung-hu وهم احدى القبائل التي سيطرت على أراضي الصين فترة . ويذكر Bury ان كلمة الهون تحريفا

---

(٤٥) Bury : op: cit p 101.
Hodykin : Italy and her Invaders:
Troplong : La diplomatic d'Attila "Revue de Hist XVII 1908"
P 59 Camb: Med, Hist: Vol 1 P 360:

لاسم تلك الاسرة أو القبيلة . وان كان البعض ذكر ان الصينيين قد أطلقوا عليهم هــذا الاسم وهو بمعنى الحديد ويلاحظ ان اغلب القبائل والشعوب ذات الأصل الآسيوى التى اجتاحت المنطقة خضعت فتره من تاريخها لسيطرة امبراطوريه الصين •

ولقد بدأ خطرهم ملموســا منذ عهـد تيودسيوس الثانى حتى اصبحوا أكثر تهديدا للامبراطورية من الجرمن باستقرارهم فى ادرنا وانقسم الهون قسمين يحكم كل قســم امير وان كان القسمان قد ارتبطا معا بمعاهدات وفى القرن الخامس دخلا فى اتحاد سياسى . فالملك Rugilas وحد اغلب القبائل تحت سلطانه وخاصه القاطنه فى سهول المجر ، وخضعت لسلطانه مجموعه من الشعوب البربريه تشمل سلاف وجرمان وسرمشيين(٤٦) •

ولقد ارتبط Rugilas بعلاقــات طيبــة مــع ايتوس القائـد من الامبراطورية • ولقد دفع حــكام الجزء الشرقى جزيــه للهون بعد مهاجمتهم لتراقيا • ولقد منحوا كمستقر جزء من بانونيا ووديه سيواس وبعد وفاة راجليز خلفه Bledu, Attila وكان الحــكم مشتركا بينهما وأن كان كل واحد منهما يتولى الاشراف على قبائل معينة ولكن فى السياسة الخارجية كانت هناك سياسه موحدة(٤٧) •

وسعى اتيلا وشريكه لبســط سلطتهما على منــاطق جـديدة فاخضعوا السكتيين و Soragi (٤٨) ووصلوا الى البحر الاســود بل وصـت مملكتهم الى اميديا فى فارس • وبالنسبة لبقية الشعوب

Lot : op: cit p 208:

(٤٦) Ostrogorsky : op. cit p 53:

(٤٧) Hussey . op : op. cit p 39:

(٤٨) جنس من أصل تركى اقاموا فى جنوب روسيا

Camb Med Hist Vol I p 360

المتبربرة فقد دفعت له الجزية قبائل اللان واعداد كبيرة من السلاف وبعضـا من قبائلهم أقام فى الفستولا والباقى مضى هاربا أمـام الضبط اليونى الى الدانوب ولقد ضمت القائمة التى تشمل الولايات الخاضعة له اسماء الالان والقوط الشرقيين والماركومانى والبرجنديين. ولقد انضـم اليهم اعداد من الفرنجـة والجرمان فى هجومهم على الغال ٤٥١ م . ووصلت حدود الهون الى الراين(٤٩) ولقد نظر أتيلا الى تلك الشعوب كعبيد له من حقه التصرف فى حياتهم وممتلكاتهم.

ولقد هاجم الهون شطرى الامبراطوريـة ففى ٤٤٧م هاجموا تراقيا ووصلوا الى اسوار القسطنطينية واضطر تيودسيوس الثانى لشراء سلمهم بالمـال . ولقد اضطر الشطر الغربى لاتخـاذ نفس الموقف فوقـع معه القائد انيوس اتفاقيـة نصت على حصـ وله على لقب Magister Miltum وجزية سـنوية . ولكن اتيلا عاود الهجوم على الغرب بسبب فرار بعض الأفراد التابعين له ولجوءهم الى الأراضى الرومانيـة ، فرد على ذلك بحرمان الامبراطوريـة من الحصول على المدد البشرى من الجند من الولايات التى خضعت له . وانضم القوط الشرقيين الى جانب الرومان فى معركة شالون التى انتهت بهزيمة اتيلا وارتداد الهون الى الراين .

ولكن عاود اتيلا الهجوم على ايطاليـا ٤٥٢ م وخـرج البابا بنفسه لمفاوضتهم ولقد سارع أتيلا بمغادرة ايطاليا حين سمع بقدوم جيوش ايتيوس فى مقابل جزية ، فلم يكن هدف اتيلا القضاء على الامبراطورية الرومانيـة بل استنزافها ماديا وبشريا ولكن انقـذت الامبراطورية بسبب وفاته فى ٤٥٣ م . حيث قسمت المملكة بين ابنائه

---

(٤٩) Hussey : op: cit: p 39:
Troplong : op: cit: p 541 - 568:

Eranc, Degisich, Ellak ولكن المملكة لم تستمر بعده طويلا لأنه كان يعتمد على شخصيته كقائد .

ولقد دفع الهون أمامهم بالعديد من القبائل والشعوب الى البلقان والبحر الاسود وآسيا الصغرى وكانت غالبية تلك القبائل التى انتشرت فى المنطقة نتيجة لضغط الهون ترجع الى أصل تركى كالبلغار والافار والخزر والبجناك والكومان والمجر والغز . ولكن تلك الشعوب لم تظهر على مسرح التاريخ كقوة فعالة الا فى القرن السادس .

واما أهم تلك الشعوب فكانت السلاف الذين أعطوا اسمهم لأغلب تلك القبائل فعرفت المناطق التى استقرت فيها تلك القبائل بأرض السلاف وبدأ ظهور قبائلهم فى منتصف القرن السادس مصطحبة معها فى تجوالها قبائل Antie وبدأ اجتياحهم البلقان فى عهد جستنيان فى نفس الوقت الذى اشتبك فيه الافار مع الامبراطورية فاستغلوا هذا الصراع واستقروا فى جنوب الدانوب(٥٠) . أما السلاف الشرقيين فقد استقروا فى الشرق والشمال والشرقى لروسيا واستطاع الافار الاستيلاء على سيرميوم واتاح هذا للسلاف الوصول الى أسوار القسطنطينية ، وكانت الامبراطورية فى تلك الفترة مشغولة بحروبها مع فارس ولكن حين انتهت صراعاتها هناك وجدت ان السلاف قد استقروا فى شمال غرب شبه الجزيرة(٥١) .

وفى ٥٩٧ م بدأت موجة جديدة من الغزو السلافى ، واشترك معهم البلغار والافار فغزوا المنطقة من سرسيوم الى مورافيا ومن

---

(٥٠) Labuda : Chronologie des guerres de Byzance p 67.
Runicman : Byzantium and the slaves p 330.

(٥١) Diehl : Justinian p 455.
Bury : op. cit. p 39.
Labuda : op. cit p 187

الفردار الى سالونيكا ولم تستطع الدولة فعل شيء بسبب أحوالها السيئة الداخلية وحروبها الخارجية في عهد نقفور وهرقل • وفى الحقبة الرابعة من القرن السابع كان كل شبه جزيرة البلقان ما عدا الشاطيء ... قد احتلها السلاف وأنقسموا قسمين السلاف الشرقيين الذين اجتاحوا البلقان وسيطروا على ... ... مقدم عند بحر Azove واقاموا علاقات مع الشعوب على البحر الأسود(٥٢) •

وسلاف الغرب على حدود الأراضى الجرمانيــة كونوا مملكة تزعمها شخص من الفرنجة يدعى Samc ولكن بعد وفاتـه انهارت ... ولم يستطيعوا ان يقيموا مملكة الا بعد قرنين • وقد أجبر هرقل سلاف البلقان على الخضوع لسلطانه ونشر المسيحية بينهم واستطاعت بيزنطة احتوائهم عن طريق تأثرهم بحضـارتها وعقيدتها وتقاليد بلاطهـا •

ومنذ القرن السابع عبرت شعوب أخرى آسيوية الأصـل هى هى البلغار والافار الى المنطقة ودخلت فى صراع مع الامبراطورية انتهى باستقرارها الدائم فى أراضى الامبراطورية واقتطاعها البلقان

---

(٥٢) Runicman : op: cit p 340:
John of Ephesus trans Schonfelde p 255:
Ostrogorsky : op. cit p 74.

الفصـل الرابـع

التـاريخ السـياسى

قسطنطين وعصره

« دامت الامبراطورية البيزنطيـة من مايو ٣٣٠ ألفا ومائتين وثلاثة وعشرين عاما وثمانية عشر يوما وفى كل هذه القرون الطويلة ظل عامل واحد ثابتا لايتغير فى كل ارجاء الامبراطورية الدائمة التغير هو ـان امبراطورا رومانيا كان يحكم فى القسطنطينية حكم العظمة الاوتقراطية وكان الامبراطور فى تلك الامبراطورية محورا يدو حوله كل شىء فمن الطبيعى والمناسب الى أقصى حد ان يقسم تاريخها حسب الاسرة المالكة التى تعاقبت على العرش » . (ستيفن رنسمان) .

الامبراطورية الرومانية فى نهاية القرن الثالث :

تعرضت الامبراطورية الرومانية مع نهاية القرن الثالث لازمات عديدة شملت اقتصادها وحياتها الادارية والمالية والاجتماعية ولم تكن تلك الازمات وليدة هذا القرن بل تراكمات من الفترات السابقة بدأ أثرها واضحا فى هذا القرن ، وفى الجزء الغربى من الامبراطورية خاصة الذى شاهد اندحـارا مذلا فى عدد السكان وانهيـارا فى حيـاة المدن(١) ، واضمحلال فى الصناعة والتجارة ، ونموا للضياع الكبرى على حساب الملاك الصغار ، واختفاء الطبقة الوسطى نتيجة لزيادة الاعباء والضرائب(٢) ، وزيادة عدد الاقنان المرتبطين بالأرض بسبب

---

(١) Jones : The Greek city from Alexander to justinian p. 58: Rostovezeff : Social and Economic History of the Roman Empire 787.

(٢) Bloch : l'Empire Romain p 188:

الحاجة الماسة للايدى العاملة رأت ... على أبنائها ... والتبعية لحرفهم والمهن وأصبح من الصعب على الشخص الفكاك من طبقته والتزاماته .
ولقد شمل هذا الاضطراب المنصب الامبراطورى نفسه فأصبح قادة الجيش يتدخلون فى تولية وعزل الاباطرة ، بل احتفظ حكام الولايات بكتائب تحت تصرفهم . وانهار نظام الدفاع الذى أوجده الاباطرة الأوائل بسبب ذلك ... غزوات الشعوب المتبربرة على حدود الامبراطورية(٢) . وتعرض الجهاز الادارى للتضارب بين السلطة المركزية والولايات رغم سعى الاباطرة منذ عهد اغسطس لتأكيد سلطة الدولة ولكن لم يتحقق هذا نتيجة انه سمح لكل ولاية بأن تحتفظ بكثير تقاليدها وعادتها المحلية فأصبح لكل منها نظام يخالف نظام الدولة الرسمي وقامت الدولة بانقاص حجم الولايات مما استتبع زيادة عدد الموظفين ، واضطراب الادارة ووضع السناتو فى الادارة الامبراطورية أهمل ولم يعد أحد يأبه بنظام Dyrachy أو الحكم الثنائى .

والاقتصاد مرآة صادقة تعكس الاستقرار والاضطراب فى أوضاع الدولة فالثورة موزعة توزيعا غير عادل والضرائب عالية وغير منتظمة وتختلف من ولاية الى ولاية وفقدت وظائف الشرفين الأولى قيمتها ácrarium Saturin وكانت هناك أنواع عديدة من الضرائب بعضها تفرضه السلطة المحلية وبعضها السلطة المركزية وكانت كل حرفة من الحرف تدفع ضرائب معينة وخضع نواب البلديات Curiales ونقباء الحرف Copporations لضرائب باهظة الى جانب خدمات مدنية كان عليهم تأديتها ، ولم يكن فى

---

(٣) Cambridge Ancient History Vol XII p 109:
Rostovzeff : op. cit p 787.
Bloch : op. cit p 188 - 194.

بداية عهد الامبراطورية اجبار على تقديم خدمات للدولة بشكل بدأت في شكل ترغيب بالاعفاء من الضرائب ودفع أجر ثم أصبحت اجبارية ولقد صاحب هذا انهيار في قيمة العملة المتداولة ونلاحظ أن العملة ظلت متحفظة بقيمتها في الفترة بين اغسطس وسيفريوس(٤) .

وبدأ التدهور في قيمة العملة منذ عهد كراكلا وفي عهد اورليان لم يتجاوز حجم الفضة ٥٪ من نسبة العملة وبعد ذلك وصلت ٢٪ وهذا معناه ان الضرائب ستهبط قيمتها وخاصة لو علمنا ان عددا من الضرائب التي تأخذ عينا تأخذ نقدا(٥) .

ولقد حاول اورليان على هذا الأساس زيادة قيمة الضرائب المجموعة لأن قيمة العملة النقدية في عهده انخفضت عما كانت عليه من عشرين عاما سابقة ولقد عتبر الشعب هذا ظلما واستبدادا من الامبراطور في حين اعتبرها هو نوعا من العدالة .

واضطرت الدولة لاصدار عمله هي Folies (٦) مصنوعة من المعدن منذ عهد الانطونيين وهذا النظام الضريبي انعكست آثاره على المجتمع الروماني فلقد ازداد الاغنياء ثراء ونمت الضياع الكبرى Latifundia نتيجة لما تتمتع به أصحاب الاقطاعيات الكبرى من اعفاءات وامتيازات مما جعل عدد كبير من صغار الملاك يتنازل عن اقطاعه لكبار الملاك تخلصا من أعبائه الضريبية : ولقد حاول عدد كبيرا الفرار من أراضيهم وولايتهم لزيادة تلك الاعباء عليهم مما استتبع فرض نظام السخرة والاجبار(٧) بالنسبة لجميع الطوائف

---

(٤) Zosimus · Historia Nova Ed Mendelssohn "Leipsic 1887" p 38:

(٥) Rostovzeff : op. cit p 787:

(٦) folles عملة نضبية صدرت في عهد كراكلا واصبحت بعد ذلك من المعدن .

(٧) مارتيلي : الدولة والامبراطورية ترجمة جوزيف نسيم ص ٧

سواء كان أعضاء سناتو أو ديرقيين وأصبحت كل طائفة ملزمة بسداد أعباء معينة وأدى هذا الى شىء فى اختفاء الطبقة الوسطى(٨) .

هذه المشاكل هى التى واجهت دقلديانوس حين تولى عرش الامبراطورية الرومانية ٢٨٤م ، ومنذ البداية سعى دقلديانوس لايجاد نظام اصلاحى شامل للامبراطورية بدأه هو وأكمله قسطنطين . ولكن من الخطأ أن تعتبر هذه أول محاولة جادة لاصلاح النظم والمؤسسات الامبراطورية فمنذ عهد أغسطس والادارة الامبراطورية دخل عليها كثير من التطورات . فدقلديانوس أوجد أساس النظام الجديد وأكمله قسطنطين ثم ترك لخلفائه ادخال التعديل اللازم الذى يتلائم وظروف كل فترة . وكانت اصلاحاته تتركز فيما يلى تركيز السلطة فى يد الامبراطور وجعلها أكثر مركزية فهو واضع الأساس الفعلى للاوتقراطية وأسس النظام البيروقراطى فى الادارة(٩) . وكان هدفه فصل السلطة المدنية عن العسكرية وعدم سماحه بتجميعها فى يد شخص واحد ، وجعل كل جهاز رقيبا على الآخر وادخال التعديلات على النظام الحربى للامبراطورية ، رغم أعضائه سلطات واسعة لضباطه فانه أحكم السيطرة عليهم وكان الجيش فى رأيه هو القوة الحقيقية التى تضع الحدود للسلطة السياسية(١٠) .

وكان الامبراطور يرى أن الامبراطوريه أضخم من ان يحكمها حاكم واحد ولذلك قسمها الى قسمين ولكن هذا لايعنى وجود

---

(٨) Ostrogorsky op cit p 33
Rostovztff op cit p 787
Lot . Fin de Monde Antique p 99
(٩) Lot op. cit p 99
(١٠) Rostovzeff . op cit Vol I p 787

[illegible] ولذلك تعتبر هذه الخطوة تمهيد لفصل الغرب اللاتيني عن الشرق
اليوناني وعلى مكانة ومزايا روما اذ أصبح كل أغسطس حاكم منذ
٢٨٦ م له نفس السلطات والمزايا التى للآخر ، وجعل لكل من القسمين
عاصمة فجعل عاصمة الجزء الغربى ميلانو التى تتحكم فى ممرات
الألب ليسهل تحريك قواته ضد البرابرة . وجعل نيقوميديا عاصمة
للجزء الشرقى لادراكه لأهمية الشرق حيث المملكة الفارسية وفصل
الشرق عن الغرب ليس وليد تنظيمات القرن الثالث فمنذ القرن الأول
كان هناك مشرف أو سكرتير اغريقى لولايات الشرق Libellis Graecis
وللاتين Libellis Latinis وكان الاختلاف بين الشطرين حضاريا
واضحا ولم تستطع روما ان تؤثر كثيرا فى الشرق اليونانى وقرر ان
كل أغسطس عليه أن يختار قيصرا ليعينه فى ادارة الدولة وليخلفه
فى حالة وفاته وبذلك وجدت السلطة الرباعية Tetrarch واختير
نائبا له Gaius Galerius واختار ماكسيميانوس شريكه
Constantinus Chlorus قيصر ماكسيميانوس على المناطق
الشمالية من الراين الى الدانوب الى جانب غريفيا وكانت عاصمته
ميلانو . وقسطنطينوس على بلاد الغال وبريطانيا واسبانيا ومقره
Treves وجاليرنوس البلقان وجزء من آسيا الصغرى ومقره
Sirmi أما دقلديانوس فحكم القطاعات الشرقية مصر وتراقيا
وآسيا ومقره نيقوميديا ، أصبحت أقسام الامبراطورية الادارية
الأربعة كما يلى :

أيطاليا ، اليريا ، غالة ، الشرق ، حاكما الشرق وايطاليا يحملان
لقب Augustus حاكما اليريا والغال Caesar ويقال ان دافعه
لهذه التنظيمات كان مواجهة غزوات البرابرة .

ولقد تبنى كل من الامبراطورين أحد القيصرين ، دقلديانوس

جاليرنوس ومكسيميان قسطنطيوس والزما كل منهما بطلاق زوجته السابقة وزواج ابنته(١١) .

وبالنسبة لسلطة الامبراطور فان الهدف الأساسى من التشريع سواء كان حربيا أو اداريا كان جعل السلطة الفعلية في يد الامبراطور الحاكم(١٢) وتحقيق الاوتقراطية الملكية المستمدة من النظم الفارسية. ولم يعد من حق شخص أو فئة معارضة الامبراطور المؤلة وبدأ يختفى عن انظار العامة ليضفى على شخصه قداسة وأبتدع أشكال ومراسيم جديدة لبلاطة وأحاط نفسه بطائفة من الموظفين مهمتهم رعايته والحفاظ عليه ؛ وكان يقوم على حراسة قصره طوائف من الضباط عرفوا باسم Schools اما الغرف والحجرات الداخلية فقد حرسها الخصيان وكان يراسهم Praepositus Sacri واتخذ التاج والثياب المذهبة وتولى ادارة ممتلكاته الشخصية Cubioti بل أصبح دخل الدولة يعتبر دخلا خاصا بالامبراطور Sacred Largesses ولقد ظلت الاوتقراطية بأجهزتها المختلفة تتحكم فى الامبراطورية الى سقوطها(١٣) وكان أهم وسائل الاوتوقراطية لسيطرة عدم اتاحة الفرصة لأى حاكم عسكرى أو مدنى للتمتع بسلطات واسعة أو نفوذ قوى فى ولايته . وكان هذا دافعا لانقاص حجم الولايات فاسبانيا مثلا قسمت ست أقسام والغال خمسة عشر قسما فقد سبق أن استخدام القواد العسكريين ما تمتعوا به من موارد فى ولايتهم للثورة

---

(١١) Empire Chretien p 275.

(١٢) Bury : op. cit p 18.
Lot : op. cit p 99.

(١٣) جيبون : اضمحلال الامبراطورية الرمانية ج ١ ص ٢٨٦ .
Dunlop : The office of the Grand chamberlin in the later Roman Empire and Byzantine p 4.
لمزيد من التفاصيل عن الاوتوقراطية راجع الفصل الثانى .

واغتصاب العرش ، وفى نفس الوقت لم يسمح للحاكم بالاقامة فترة طويلة فى مركزه وأصبحت الولايات دمية امبراطورية تخضع فى جميع أمورها الى الاوتقراط الحاكم ولقد قسمت الامبراطورية الى أربع وحـدات .

غاليا وايطاليـا والشرق تحت قيـادة Praetorian prefect اما الولايات القديمة كآسيا وافريقيا حمل حاكمهـا لقب proconsul ولقد تمثلت تلك الاصلاحات الادارية فيما يلى : انقاص حجم الولايات الفصل بين السلطتين المدنية والعسكرية ، تولى اثنان من الموظفين الكبار وكانا الصلة بين حاكم الولاية والامبراطور ، ومنح الحـاكم المدنى سلطات واسعة وقسمت الامبراطوريـة الى اثنا عشر دوقيـة Diocese يحـكم كل منهـا Vicarius وتضـم كل منها عددا من الولايات وبلغ عدد الولايات مائة ولاية ، وكانت فى عهد تراجـان خمس وأربعين وكان كل من Vicarius وحكام الولايات يرسلون تقريرا كل عام عن سير الادارة والفيكاروس كان مسئولا أمام الامبراطور وليس مندوبا عن prefect ولم يكن من حق أحدهم فرض ضرائب ، وكان لايطاليا وضـع خـاص فرغم انها دوقيـة واحـدة فكان لها اثنين Vicarius واحد فى ميلانو والآخر فى روما وذلك لاختـلاف الضرائب فى كلا الشطرين . ولقد حرم أن يتولى رجـل وظيفة فى موطنه وكان الهدف من هـذا بسط سيطرة الامبراطور الكاملة على الولايات وأحكام الرقابة(١٤) .

---

(١٤) The Notitia dignitatum Trans. Bury X.
Ensslin : The Emperor and imperial administration p. 231.
Bury : op. cit p. 26.
Camb : Med. Hist Vol I p 30.

أما نظام الجيش فقد أبدى دقلديانوس اهتماما كبيرا لما عانته الامبراطورية من اخطار على حدودها . فاهتم باعداد جيش سريع الحركة يمكنــه تحريكه على الجبهات المختلفــة ولقد قسـم الجيش كالولايات الى أقسام صغرى خوفا من تركز السلطة فى يد فرد فأنشأ فرق حربية متنقلة وازدادت اعداد الجيش فالفرق القديمــة auxilia انضم اليها اعداد كبيرة من البرابرة من الجرمان . وكلما قل نصيب الفرد من الحضارة كلما كانت فرص الترقى أمامه اسرع ولقد وصل بعض البرابرة الى مراكز عليا فى الجيش . وكان الجيش يتكون من قوات الفرســان vexillationes وفرق الجيش الميداني الرئيسيــة المتنقلة Comitatenses [illegible] برئاسـة الامبراطور شـخصيا . ثم فرق الحدود [illegible] وهم الذين حصلوا على أراضى فى مناطق الحدود مقابل الخدمة العسكرية وتكونت فرق أخرى على الحدود من البرابرة أيضا وكان يتولى قيادتهم أحيانا قائد منهم أو praefecti واتخذوا اسم equites و alae و cunei(١٥) .

ولقد أهتم دقلديانوس باصلاح النظام الاقتصادى عن طريق اصلاح العملة . وتحديد كميات البضائع المتداولة فأوجد عمله ذهبية جديدة . ولما وجد أن بعضا من التجار تلاعب بأسعار السلع اصـدر مرسوم فى سنة ٣٠١ م يحدد أسـعار جميع السلع المتداولة وكذلك حـدد الأجور . وجعل الضريبــة عينية واصـدر Indictio أو مراسـيم تحدد نوعية الضرائب وطرق جبايتها . ولقد رفع عدد من الضرائب التى كانت مفرووضـة قبلا . ولقد وضعت الضريبــة على أساسين iugum - Caput وحدة الفـدان iugum أما على الأفراد وهى ايست

---

(١٥)

Ostrogorsky : op cit p 40.
Lot : op cit p 72.

ضريبة رأس بل على أساس المجهود الذى يمكن أن يقدمه الفرد فى قطعة الأرض فالرجل والعبد يحسبوا فى أساس Capet والمرأة نصف Caput فاذا فرضنا أن مساحة الأرض ١٠٠ Iga فيكون العاملون بها مائة عامل ، وكانت الضريبة حسب انتاج الأرض سواء كان حبوب أو كروم أو زيتون ونوعية الأرض وجودتها وقربها من المدن(١٦) .

وكان نظام جمع تلك الضرائب غاية فى السوء فكان على أعضاء السناتو أو أعضـــاء البلديات Decurions أو عشرة من رؤســـاء المدينة decemprim دفع الضرائب الدولة ثم جبايتها بعد ذلك وكان من الطبيعى أن يحـاولوا هؤلاء بكل وسيلة اســتعادة ما دفعوه حتى أن لجأوا الى أشد وسائل الاضطهاد حتى اقترن لقب أعضاء البلديات بالطغيان والفساد(١٧) . ولقد تعرض صغار الملاك للاضطهاد فى حين استطاع كبار الملاك [illegible] تنفيذ هذا النظام ولقيـام كل فرد بنفس أعبائه وخصوصـــة أن صفته [illegible] أو decurions نواب البلديات حاولوا التهرب من جمع الضرائب عن طريـق الانخراط فى وظائف أخرى . وكذلك شمل هـذا الاجبار [illegible] الحرف والطوائف التى تتصل بحياة الناس ولقد ذكرت قوانين تيودسيوس فيما بعد أن هذا التشريع نزل بالناس لمرتبة العبودية(١٨) .

(١٧ Zosimus : Historia Nova
Andereades : Economice life of the Byzantine Empire p 71.
Bury : op cit p 48-49.

(١٨) John Lydus. De mag. 11 g.
ostrogorsky . op cit p 38.
Bury op. cit P 48.
Piganiol op cit p 34
Tenney Frank. Economic History of Rome p 83.

وكان على نقابات المهن Collegia و Corpora تقديم خدمات للدولة وعـذا العبأ يتوارث من الأب الى الابن وفوائد هذا التنظيم استفاد منها الأغنياء • أما الأعباء فألقيت على عاتق الشعب وخاصة فى الولايات التى كان عليها امداد العاصـمة روما ثم القسطنطينية فيما بعـد باحتياجاتهـا • وكان عبأ جميـع الضريبـه annona « وكان هذا أصلا اسـما لضريبة القمح التى فرضت على الولايات المعوبه . ثم ادخلت فيهـا اللحوم والحبوب والضروريات الأخرى . وكان جزءا من أجر الجنـدى يأخذه عينا من خلال تلك الضريبـه لانهيار قيمة النقد » . يقع على النقابات الحرفيه فعليها تقديم خدماتها تجاه جمع وايصال تلك الضريبه وقسموا حسب أسماء طوائفهم boarii porcinarii, navicularii, aearii ومجموعة اختصت بالأعمال العامة كعمال الشرطة واطفاء الحرائق . ومنا اليه(١٩) • بل يقال أن الزواج خارج طبقتهم كان محظورا واذا صـدقنا الكتاب المتأخرين فقد فصـل الآلاف من المواطنين العيش مع ابرابرة على البقاء فى الامبراطورية الرومانية • حتى الجيس وكادر الموظفين أصبح اجباريا وان كانوا اقل معاناة من غيرهم • ولكن كانت أكثر الفئات تعرضا لضرر هو Coloni الفلاح • فأصبح غير مصرحا لهم بترك الأرض التى ولدوا فيهـا وتحـولوا للخضـوع لنوع من العبـوديه وفى كتـاب القـانون Adscripticius ذكر أن عدد السكان تناقص وأن الأعبـاء زادت على المزارعين والملاك الصغار وأن المسئول عن ذلك هم كبار الملاك . ونتيجه لفقد بعض الولايات لغزو المتبربرين لها زادت أعباء بقيـة المزارعين وأصبح الملاح Coloni فى وضع لا يختلف عن وضـع

---

(١٩) Andereades op. cit. p. 73
Rostovtzeff op. cit. .88

العبد ووضعت التشريعات المختلفة لربطه بالأرض ومنعه من الهرب .
وقانون الجرائم كان يتعامل على مستويين مع honestiores
الطبقات العليا ، وعنه مع plebes (٢٠) فقد تعرضت الطبقات الدنيا
لعقوبات لم تكن تتعرض لها الطبقات العليا .

الى جانب أن نظامه كلف الدولة كثيرا فهذه الأعداد الكبيرة من
الموظفين كان على الدولة دفع تكاليف وظائفهم(٢١) .

ورغم أن اصلاحات دقلديانوس كانت محاولة جادة للقضاء على
مشاكل الدولة الاقتصادية والادارية فعند التطبيق لم تحقق ما كان
مرجوا منها . ولقد أكمل قسطنطين تلك الاصلاحات والمراجع غالبا
ما تذكر الاصلاح مقرونا باسميهما معا . ورغم ما اتسم به عهد
دقلديانوس من اصلاحات مالية فانه تنسب أعنف موجة اضطهادات
ضد المسيحيين رغم أن زوجته بريسكا وابنته فاليريا تأثرا بتعاليمها
وان لم تعتنقنها وكان في بلاطه عدد من الموظفين المسيحيين ولقد
مارس رجال الدين المسيحيين والأساقفة في البداية شعائرهم في
حرية تامة .

وبدا واضحا في القرن الثالث أن أعداد المسيحيين بدأت تتكاثر
وأن بعضا منهم بدأ يجهر بعقيدته وامتنعوا عن عبادة الامبراطور
وتقديم القرابين في المعابد الى جانب عقدهم لاجتماعات سرية
مما أشعر الدولة بالريبة والشك تجاههم . ويقال أن دقلديانوس كان

---

(٢٠) Camb : Med Hist. vol I p 32.
Jones : op cit p 59.
Bloch : op cit p 200.
Reid : Municipal rise of the Roman Empire p 3.

(٢١) Poi[illegible] Gaston : Fin du paganisme Vol I
p 10 c
Bright : The Roman see in Early church p 11.

متسامحا بطبيعته أما دافعة لاتخاذ سياسة العنف والاضطهاد فكان جاليريوس اذ رأى أن المسيحية أصبحت تهدد كيان وتنظيمات الامبراطورية ، فقد رفض شاب أفريقي يدعى مكسيميانوس الانخراط فى سلك الجيش رغم أنه لائق وأعلن ضابط اسمه Marcellus تخليه عن وظيفته العسكرية . وانه لايستطيع أن يطيع الا يسوع الملك الأبدى وأصبح هذا مؤشرا خطيرا يهدد نظام الامبراطورية التى احاطت بها الاخطار واضطر دقلديانوس للاستجابة لرغبة شريكه ، وربما يكون الدافع لدقلديانوس حرصه على تطبيق اصلاحاته وخوفه أن تعمد فئة « وكان المسيحيون فى نظر الدولة مخربين » الى تهديد تنظيماته وتطبيقاتها وخصوصا انه حاول أن يبعث فكرة الامبراطور المؤله الى الوجود(٢٢) • وادعى الوهيته بانتسابه الى المشترى jupter ليدخل البارنثيون الرومانى مثوى الآلهه الرومان ، واتخذ مكسيميان راعيا له هرقل ، وقسطنطيوس انتسب الى ابوللون اله الشمس وفى ٢٩٠ م بدأت الاضطهادات ويقال انه اجتمع مجلس من كبار الموظفين المدنيين والعسكريين وقرر المجلس ان المسيحيين يمثلون خطرا على الدولة بتكوينهم جمهورية متميزة داخل اطار الامبراطورية وبشعائرهم السرية ورفضهم الخضوع لعبادة الامبراطور • وفى ٢٣ فبراير ٣٠٣ فى عيد Terminalia هاجموا الكنيسة المسيحية فى نيقوميديا ودمرت الكنيسة والكتب المقدسة ثم نشر مرسوم فى ٣٠٣ م نص على وجوب هدم الكنائس فى جميع الولايات وعلى حرق الاناجيل واعدام كل من يعقد اجتماعات دينية ، وصودرت أملاك الكنيسة وبيعت مبانيها وضمت الى الملك الامبراطورى ، وحرم الاحرار منهم من حقوقهم والعبيد

---

(٢٢) Chawner, Infleunces of christianty on the legislation of consantine p 20:

(٢٣) Boisser, Gaston : La Fin du paganisme vol I p 12:

من حق العتق ، ولم يكن مسرحا لهم برفع شكواهم أو التقاضى ومزق أحد المسيحيين المنشور(٢٣) ثم اشتعلت النار مرتين خلال خمسة عشر يوما فى قصر دقلديانوس بل فى مخدع الامبراطور نفسه ، واتهم المسيحيين بذلك مما أوغر صدر دقلديانوس عليهم ، وبدأ بتنفيذ الاضطهاد على نطاق واسع وسمح بسفك دمائهم ، وأمرهم بتسليم أناجيلهم فى نفس الوقت الذى ثارت فيه اضطرابات فى ارمينيا وسوريا واتهم الاساقفة بتدبيرها ، واصدر الامبراطور سلسلة من المراسيم . الأول يقضى باعتقال رجال الكنيسة والثانى يقضى باستعمال وسائل العنف والاجبار للرجوع الى الوثنية ، وآخر يقضى باجبار جميع المسيحيين على ترك عقيدتهم وتعذيبهم حتى يقرروا تقديم القرابين ولقد نفذ شركاء الامبراطور سياسة الاضطهاد وان تفاوت اقتناعهم بجدواها فمكسيميان نفذها بحذافيرها فى ايطاليا وافريقيا وكذلك جاليرنوس ، اما قسطنطيوس فانه نفذها على مضض وحاول التخفيف من أسلوب الاضطهاد وعنفه وفى ٣٠٥ م أعلن دقلديانوس اعتزاله العرش واعتزل معه مكسيميان وفق اتفاق مسبق(٢٤) .

وكان من الطبيعى أن يتولى امبراطوران آخران ولقد تجاهل دقلديانوس وجاليرنوس قسطنطين الشاب بن قسطنطيوس وعينا سيفريوس الثانى فى الغرب ومكسيميانوس فى الشرق . ولكن توفى قسطنطيوس ٣٠٦ م ونادت قواته بقسطنطين ابنه فاضطر جاليرنوس الى الاعتراف به قيصرا ولكن ماكسنتيموس ابن مكسيميان أعلن أن له هو الآخر له حق تولى العرش ليصبح أغسطسا واستطاع كسب ايطاليا لجانبه ، وفى ٣٠٩ كان هناك ستة يحملون لقب اغسطس(٢٥) .

---

(٢٤) Van Millingen : Byzantine p 2:

(٢٥) Boissier : op. cit Vol P 121.

أسرة قسطنطين :

يعتبر حكم قسطنطين بداية لحقبة تاريخيـــة جديدة فى تاريخ الامبراطورية الرومانيـــة فلقد شاهـــد عهده حدثان هامان الاعتراف [illegible] فى الشرق فى قسطنطينية ، فهذان [illegible] أدى الى تغيير المفاهيم والنظم السائدة فى [illegible] القديم [illegible] الحضارة الوثينية والطابع اللاتينى ولكن [illegible] بنهايـــة مجد روما اللاتينية وبزوغ نجم القسطنطينية اليونانية • وقيام امبراطورية جديدة ذات خصائص مميزة وأنا لا أعنى أن هذا التغير تم خـــلال [illegible] أو عامين أو تم غداة الاعتراف بالمسيحية فى مرسوم ميلان ٣١٣ أو الانتهاء من انشاء القسطنطينية ٣٣٠ م ولكن كان تطورا تدريجيا استغرق ثلاث قرون لتتضح معالمه و [illegible] الذى أعطى الامبراطورية الشرقية خصائصها الفريدة سياسيا وحضـــاريـ • فالتاريخ حلقـــات متصلة ولكننا نستطيع أن نقول بلا تردد أن بعد ثلاث قرون من انشاء قسطنطين عاصمته ، أن الامبراطورية التى وجدت فى الشرق تختلف تمام الاختلاف عن تلك التى أوجدها اغسطس لغة وحضـــارة وعقيدة ونظما ، بل حتى طبيعة ونوعية الصراعات والاعداء اختلفت • فالجزء الشرقى منها اتخذ خطا مخالفا للشطر الغربى الذى خضـــع أمام غزاته من البرابرة •

قسطنطين :

فلافيوس فاليروس قسطنطين ولد فى نايسوس فى داكيا ٢٧٤ م وأبوه هو قسطنطيوس ابن أحـــد الاسر الثريـــة فى Dardania شمال مقدونيا ولقد تزوج أباه من قريبـــة للامبراطور كلوديوس • ولكن والدة قسطنطين كانت مجرد محظية من طبقة وضيعة الشـــأن

تدعى هيلينا • وتولى أباه حكم دلماشيا ثم أصبح قيصرا للغال لاستعادته بريطانيا من Carausius وتزوج ثيودورا ابنه زوجة الاغسطس مكسيميان وأرسل قسطنطين الى بلاط دقلديانوس ، فى الظاهر ليتلقى تعليمه ويؤهل لدخول البلاط وفى الحقيقة ليكون رهينة اذ ازمع أباه القيام بأى تصرف ولقد رافق دقلديانوس الى مصر وتعرف أثناء رحلته تلك بايوربيوس مؤرخه فيما بعد وأسقف قيصرية وانضم الى جاليرنوس فى حملته ضد فارس(٢٦) •

وحين اعتزل دقلديانوس ومكسيميان فى أول مايو ٣٠٥م ساد الاعتقاد بأن قسطنطين سيعين قيصرا وخاصة بعد زواجه من فوستا ابنة مكسيميان فى ٢٩٣ م(٢٧) ، رغم انها لم تتعدى دور الطفولة انذاك • الى جانب صدور عمله تحمل اسم قسطنطين قيصرا ، ولكن فى آخر لحظة تعداه دقلديانوس واختار جاليرنوس ماكسيميانوس دايا وسفيروس الثانى وحاول جاليرنوس اغرائه بالبقاء فى بلاطه بوعده انه سيعينه على أن يخلف والده فى الغال ، ولكن تركه وانضم الى أبيه فى بولونيا بعد حملة قصيرة على قلدونيا(٢٨) • ومات قسطنطيوس فى يورك ٢٥ يوليو ٣٠٦م وقامت القوات والجيش المرابط فى بريطانيا بالمناداه بقسطنطين اغسطسا واضطر جاليرنوس الى الاعتراف به ولكن كيقصر وليس كاغسطس فى الغال وبريطانيا ولكن ماكسنتيوس ابن الامبراطور ماكسيميانوس الذى تنازل عن العرش مع دقلديانوس أعلن احقيته فى الوراثة مكان أبيه وسمى

(٢٦) [illegible] Byzantine p [illegible]
(٢٧) Firth, J. B. Constantine the Great p 20:
(٢٨) Ostrogorsky : op cit 43:
Firth : op. cit p 20.

للسيطرة على ايطاليا وخاصة لانفجار العداء ضد سيفيروس بسبب الغائه الحرس البريتورى • وتمكن من الاستيلاء على الحكم فى ايطاليا وانضمت اليه افريقيا ثم أسبانيا •

وفى مؤتمر كارنونتوم الذى عقده جاليرنوس أعلن تقسيم الامبراطورية بين قسطنطين ومكسيمانوس دايا وليسنوس الذى حل محل سفيروس الذى قتل فى صراعه ضد ماكستنيوس الذى رفضوا الاعتراف به جميعا •

وخلال السنوات التالية أثبت قسطنطين كفائة فى حروبه فى الراين ضد الفرنجة والالمان وكان قسطنطين متعاطفا مع المسيحية رغم وثنيته ولقد انتسب الامبراطور فى البداية الى الميثرائية عقيدة أبيه ، ثم الى هرقل بعد زواجه من ابنة مكسيميان ، ثم اتخذ من ابلون آله الشمس حاميا له ولما اتخذ [illegible] كمكسيميان سياسة مناهضة للمسيحيين سعى قسطنطين لاتخاذهم حلفاء(٣٩) •

ورغم أن جاليرنوس المخطط والمنفذ لسياسة الاضطهاد ضد المسيحيين ، ويعزى اليه الاضطهاد الكبير الذى اشتهر به عهد دقلديانوس حتى اتخذ المصريون بداية تاريخهم الذى عرف باسم الشهداء سنة ٢٨٤ م وهى سنة تولى دقلديانوس ، ونجده قبل وفاته بقليل عام ٣١١ م يصدر قرار تسامح • فان سياسة العنف التى أتبعها فى الشرق أثناء حكمه هناك «وكان الشرق يضم ولايات آسيا وتراقيا» لم تجدى وكان قد اجبر الاباطرة المشاركين على اتخاذ نفس السياسة حتى أن نطاق اضطهاداته امتد الى مصر وسوريا وفلسطين حيث اعداد كبيرة من المسيحيين • وقد استجاب اله مكسيميان دايا وطبق سياسته حيث عانت تلك البلاد على أيديهم الكثير ولكن بعد ست سنوات من تلك السياسة

---

(٣٩) Chawner : op cit p 22:

اصدر مرسوم تسامح وربما كان دافعه ان سياسته التى أتبعها تجاه المسيحيين لم تجدى بل تسببت فى الاضطراب فى الولايات وتوقف فى حركة الحياة الاقتصادية والزراعية الى جانب أنه ألم به مرض خطير وشعر بدنو اجله(٢٠) • ولكن هـذا المرسـوم لايعنى اعترافا بالمسيحية أو مبادئها فقد نص المرسـوم على ما يلى : « انا لشديد الرغبة ، بصفة خاصة ، فى أن نهدى الى طريق العقل والطبيعـة أولئك المسيحيين المضللين الذى نبذوا الديانة والطقوس التى شرعها أباؤهم ، والذين تبجحوا فازدروا شعائر الاقدمين • ومن ثم ابتدعوا قوانين وآراء متطرفة ، أملاها عليهم خيالهم وشكلوا مجتمعا متعدد الألوان فى مختلف ارجاء الامبراطورية ، ان المراسيم التى اصدرناها لفرض عبادة الآلهة عرضت كثيرا من المسيحيين للخطر والكروب فقضى الكثيرون نحبهم ، على حين ظـل عدد أكبر سائدين فى حماقتهـم الملحدة حيث جردوا من الحق فى الممارسـة العلنية للدين ، ومن هنا اتجهت ارادتنا الى أن نبسط مزايا رأفتنا المألوفة على هؤلاء الافراد التعسـاء(٢١) ، وفى ٣١١ م توفى جالريوس وتلى ذلك تقسـيم الامبراطوريـة ، فأخـذ قسطنطين الغال وبريطانيـا وماكستيوس ايطاليا واسبانيا وافريقيا ليسنيوس اليريا وبلاد الاغريق وتراقيـا ومكسيميان دايا كلى ما يلى البسفور • وفى البدايـة كانت علاقـة قسطنطين بهم ودية فلم يكن ليسنيوس بالحاكم المستبد فى حين كان مكسيميان قاسى عنيف ، أما ماكستيوس فلقد اتحد ضـده الجميـع ولكن ما لبث أن دخل ليسنيوس مكسيميان دايا فى صراع كـذلك قسطنطين ومكستيوس وانضم ليسنيوس الى جانب قسطنطين •

---

(٢٠) E: Gregoice Les persecution dans l'Empire Romain p 46

(٢١) جيبون : اضمحلال الامبراطورية الرومانية جا ص ٤٨٠

قسطنطين ومكسنتيوس « مرسوم ميلان » :

ثم [illegible] قسطنطين تقدم عدوه بل سارع الى الالب فى جيش بلغ تعداده [illegible] اربعون ألفا وفى تورين انتصر على قوات مكسنتيوس ثم استولى على فيرونا واكويلا ومودنيا ثم اتجه الى روما وفى ٢٨ اكتوبر حدثت معركة Saxa Rubra واحاطت بعض القوات [illegible] جموعه على الحراسة فى المنطقة التى خلف النهر [illegible] مكسنتيوس [illegible] سقط قتيلا فى [illegible] [illegible] خصوره [illegible] ومهارة قسطنطين ولم يحدث مثلها [illegible] وترتبط بهذه [illegible] قصة الصليب التى رواها يوزيبيوس [illegible] قسطنطين رأى عند غروب الشمس صليبا لامعا وقيل له ستنتصر بفضل هذا Hoc [illegible] ولقد رأى [illegible] ايضا وفق رواية يوزيبيوس وفى المساء [illegible] المسيح [illegible] الصليب [illegible] على الدروع الحروف الاولى من اسم المسيح . واتخذ راية هى Labarum [illegible] الصليب ذو الرأس المعقوف شعارا له وهى عبارة عن عمود خشبى له رأس حديدى مدبب يتقاطع معه قضيب مستعرض ولقد نقش عليه صور قسطنطين وعلى رأس العمود تاج من ذهب بداخله شكل صليب والحروف الاولى من اسم المسيح Christos

ولقد كان لتلك الراية تأثير نفسى كبير اثناء حروب قسطنطين اذ اشيع بأن نبال العدو لاتنفذ اليها(٣٣) . ولقد [illegible] القصة

(٣٢) H. Gregoire, la conversion de constantin p 34.
H. Gregoire, Nouvelles recherches constantiniennes p 13.
Alfoldi : The conversion of constantine and Pagan Rome

(٣٣) Eusebius, Ecclestastical History. Vol I trans A. C. Mc - Giffert p 315 - 317.

معارضة من بعض المؤرخين الوثنيين أمثال Lactantius وتلزوزيوس
واذا حاولنا معرفة دافع قسطنطين فانه يحيط به الغموض كغالبية
تصرفاته ولكن فى الغالب كان دافعه ان مكسنتيوس أتبع سياسة
شديدة المناهضة للمسيحية فكان من الطبيعى ان يسعى منافسه
لالتماس محالفة المسيحيين وان كان عددهم آنذاك لايزيد عن خمس
سكان الامبراطورية ولكنهم كانوا من أقوى الطوائف الدينية فى
الامبراطورية لو قارنتهم بالميثرائيين مثلا وعلى كل فقد تشابه صليب
المسيح Labarum مع صيب آله الشمس ابولون وقسطنطين نفسه
لم يسعى الى التفريق بين الاثنين فجنوده من الغال يحاربون تحت
صليب آله الشمس والمسيحيون تحت صليب المسيح . وما زال قوس
النصر الذى أقامه السناتو والشعب ٣١٥ م مكتوبا عليه بفضل
البواعث الالهية Instinctus Divinitatis (٣٤) .

ولقد بقى قسطنطين فى روما شهرين ثم تركها الى ميلان
حيث التقى بلسينيوس وعقد اتفاقا واصهره أخته . واتفقا على
مجابهة مكسيميان دايا . وكان أهم ما قرره هو ما يختص بأمر العقيدة
المسيحية وهو ما عرف باسم مرسوم ميلان .

وكان يشمل على صيغة تسامح تجاه المسيحيين ولقد فقد النص
الأصلى ولكن أيوزبيوس أورد فى تاريخه نصا مقاربا . ولقد صدر باسم
قسطنطين وليسنيوس ولقد تضمن أن من حق كل انسان ان يمارس
العقيدة التى يختارها بدون تدخل من الدولة ولا التزام بالقايمة
الحكومية التى تنص على الا يعبد شخص أى معبود خارجها .
وبذلك أصبحت المسيحية عقيدة مصرحا بها أن من حق كل من اراد
ان يعتنق المسيحية ان يعتنقها بدون خوف من ضغط أو ارهاب(٣٥) .

---

(٣٤) Eusebius : Ecclesiastical History p 315, 317.

(٣٥) نفس المرجع

وان تعاد الكنائس السابق الاستيلاء عليها سـواء كان الحائز لها الدولة أو فرد بدون مقابل لأصحابها المسيحيين • وكذلك كل ما يتعلق بممتلكات الجماعة المسيحية(٣٦) • وقد ظل هـذا القانون سائـدا لعهد ثيودسيوس الأول ولا يمكن انكار الدافع السياسى وراء هـذا المرسوم وهو احراج مكسيميان دايا حـاكم مصر وسوريا وفلسطين حيث أعـداد المسيحيين قوة لايستهان بها • وأمره قسطنطين بتنفيذ المرسوم فى أراضية واضطر لاصدار مرسـوم ذكر فيه ان موظفى الدولة ارتكبوا كثيرا من الاثام والشرور لم يرضى عنها الامبراطور الرحيم وأكد انه يصرح لكل فرد ان يمارس ويعتنق العقيـدة التى يريدهـا •

وفى ٣١٣ م قـام مكسيميان بالهجوم على بيزنطـة بجيش بلغ تعداده سبعون ألفا وحقق نجاحا سريعا باستيلائه عليها وتقدم الى ادريانوبل حيث التقى به ليسنيوس وهزمـه هزيمـة ساحقـة فى ٣٠ أبريـل سـنة ٣١٣ وفر مكسيميان الى نيقوميديا وأخيرا وقـع مكسيميان أسيرا فى قبضـة ليسنيوس حيث لقى حتفه فى نفس العام • ولقد تلى ذلك اصدار ليسنيوس مرسوما أكثر تسامحا من مرسوم ميـلان فى ١٣ يوليو ٣١٣ م قرر فيه اعـادة ممتلكات الجماعـة المسيحية وأصدر قسطنطين مرسـوما مماثلا للغرب •

قسطنطين كامبراطور منفرد :

كان كل من قسطنطين وليسنيوس طموحا فكان من الطبيعى ان يصطدما وكانت الحرب مسألة وقت فقط فاذا كان قسطنطين بطـل الغال فان ليسنيوس يحكم من حـدود ارمينيا الى ايطاليـا وكان سـيد اليريا حيث يوجد أفضـل الجنـد وكان جميـع الاباطرة من

---

(٣٦) Eusebius : Eclesiastical History Vol I p 315.

كلوديوس الى ليسنيوس من هذا الاقليم أساسا ما عدا تاكتيوس وكاروس ٠

وفى البداية شغل قسطنطين بحروبه مع الفرنجة ولكى لما استقرت الأمور فى نهاية ٣١٢ تفرغ للصراع مع ليسنيوس ودنت البداية حين حاول قسطنطين تعيين شقيق زوجته Bassianus كحاكم لايطاليا وبانونيا وطلب من ليسنيوس منحه اليريا ٠ ولكن ليسنيوس دبر مؤامرة انتهت بمقتله فى نفس الوقت الذى رفض اعادة Senecio شقيق باسنيوس كان يقيم لديه ٠ فاندفع قسطنطين فى بانونيا بجيش بلغ عشرين الف رجل يواجهه جيش ليسنيوس الذى بلغ خمسا وثلاثين الفا ودارت المعركة فى ٨ أكتوبر ٣١٤ م وانتهت بانتصار قسطنطين واستيلائه على سيرميوم ٠ وهرب ليسنيوس الى ادريانوبل(٣٧) ، ولكن حدثت معركة أخرى غير فاصلة عند سبل Mardia انتهت بعقد هدنه لمدة ثمانى سنوات ورغم أن ليسنيوس فقد جزءا من أراضيه فانه ظل محتفظا بجزءا من حيويته وشبابه وقوة نيالقه ولقد نص الاتفاق على اعتراف قسطنطين به كامبراطور مشارك مقابل تنازله عن بعض أراضيه ٠

ولقد اتخذ كل منهما خطا مخالفا فى سياسته الداخلية فلقد أهتم قسطنطين بالمسيحية ومنح الكنيسة الهبات وحرر المسيحيين من تأدية الواجبات والقرابين للوثنية فى حين ان ليسنيوس لم يبغى أن يمضى خطوات أبعد فى تسامحه بل على العكس تغاضى عن ما تعرض له المسيحيون من الاعتداء فى بعض الولايات التابعة له ولكن لم يجد الشجاعة لنقض مرسوم ميلان ٠ وكانت الوثنية ما زالت قوية

---

(٣٧) Ostrogorsky : op cit p 45:

لارتباطها بالفلسفة والحضـــارة اليونانية والفنون الرومانية وتقاليد المجتمع ، ربدأ وكان الحرب بينهم اتخذت طابعا دينيا مع أنه في الحقيقة كان صراعا سياسيا(٢٨) .

ولقد تسبب القوط في انهـاء هـذه الحـالة غير المستقرة بين الحاكمين فقد كان القوط قد استقروا في أيام اورليان في داكيـا . وفي عـام ٣٢٢ م عبر رشموند ملكهم الدانوب ، ولكن قسطنطين وصل الى ما بعد الدانوب وذبح قائدهم وجعل آلاف من القوط أقنان في الأراضي المجاورة وأثنـاء مطاردته لهم عبروا أراضي ليسنيوس وتسبب هـذا في نشـوب الحرب ، وكان جيش قسطنطين تعداده ١٣٠ ألف رجـل والاسـطول يقوده ابنـه Crispus ويتكون من مائتي سفينة . وكان جيش ليسنيوس ١٦٠ ألف رجل وعند ادريانوبل انتصر قسطنطين ولكنه توقف عند أسوار بيزنطة لسيطرة ليسنيوس على البحر ولقد ترك ليسنيوس بيزنطة لمصيرها واتجه الى chrysopolis حيث دارت معركة في ١٨ ، ٢٠ سبتمبر سنة ٣٢٣ م انتهت بهزيمـة ليسنيوس وفراره الى نيقوميديا . وذهبت قسطنطينة الى أخيهـا تطلب منه العفو عن زوجهـا فوافق وأقسم لها على ذلك لكن . استسلم له ليسنيوس قبض عليه وقتله بعد ست أشهر في سنة : ولم يؤدى هذا الى انفصام العلاقة بينه وبين شقيقته وهذا ا[illegible] مثل خير تمثيل نوعية العلاقات المأسوية في هذه الاسرة .

ويعتبر قسطنطين كقائد من أفضل القادة الرومان [illegible] أورليان وصلا الى ما وصـل اليه فممتلكاته امتدت من بريطانيا الى ضفاف التيبر الى أسوار بيزنطة ، ولم يعد أمام معارك يخوضها الا مع القوط والاربع عشرة سنة الاخيرة من [illegible]

---

(٢٨) انظر Forth : op cit 28:

قضاها فى سلام لا يشغله الا أمر العقيدة وتقريرها وعقد المجامع ثم انشأ المدينة التى خلدت اسمه وتجميلها لتحل محل روما القديمة ولقد استغرق بنائها من ٣٢٤ الى ٣٣٠ م .

أولا : قسطنطين والمسيحية :

يعتبر اعتراف قسطنطين بالمسيحية أهم حدث فى تاريخ الامبراطورية الرومانية بل فى تاريخ العالم أجمع(٣٩) . فالمسيحية أضفت طابعا مميزا على تاريخ تلك الحقبة بأجمعها وأوجدت تغيرات جذرية فى الأسس التى قامت عليها المجتمعات القديمة وأوجدت نظاما جديدا فى كل صغيرة وكبيرة من حياة الأفراد وعلاقاتهم سواء علاقة الفرد بالدولة أو بغيره من المواطنين وهذا يدفعنا لدراسة الأسباب التى دفعت بقسطنطين الى اصدار مرسوم التسامح وما نتج عن الاعتراف بالمسيحية من اثارة مشكلتان هامتان ظلتا تشغلا العالم المسيحى لقرون طويلة وهما الفصل بين السلطتين الروحية والزمنية وهو ما اشتهر باسم الصراع العلمانى ، وثانيهما الخلافات حول طبيعة المسيح وكانت مثار الشقاق بين الكنيسة الشرقية والغربية الى سقوط القسطنطينية فى أيدى العثمانيين(٤٠) .

وتضاربت أراء المؤرخين حول اعتناق قسطنطين المسيحية بين مؤيد ومعارض ، وحاول الجانب المسيحى الذى رفع قسطنطين الى مرتبة القديسين Isapostolo اثبات ان قسطنطين اعتنق

---

(٣٩) انظر
Bright : Age of Fathers 2 Vols.
Allen : Christian Institions.
Broglie: l'eglise et l'empire:
Porcher. I. A : Doctrine of the person of christ:

(٤٠)
Baynes : op: cit p 30:
Ostrogorsky : op: cit p 44:

المسيحيـــة عن اقتنـــاع كالمـؤرخ ليكتانتيوس فى تاريخـــه Lactantius : Histo in De mortibous persecutorum والمؤرخ Nazianzus فى حين حـاول الوثنيون امثال Zosimus بمختلف الادلـة والشـواهد اثبـات عـكس هــذا وهنـاك أدلة تؤيـد وأخـرى تدحض كلا الجـانبين . ولكن بالدراسـة الموضوعية نجد أن سياسة قسطنطين تجاه المسيحية تعكس بوضـوح اتجاهاته الفكرية وشخصيتـه . فقسطنطين كان يعتنق ما يراه أكثر فاعلية وآمنا للامبراطورية . فأول الاباطرة المسيحيين لم يكن ليستحق هذا اللقب الا حين كان يلفظ أنفاسـه الأخيرة حيث عمد وهو على فراش الموت . فدافـع قسطنطين الأول تدعيم مركزه الذاتي وتثبيت أركان امبراطوريته وكما قال Gibbon « وازن بدهاء بين آمـال رعاياه وبين مخاوفهـم وكان المسيحيون والوثنيون يرقبون سـلوك مليكهم بنفس القدر من القلق »(٤٩) ولم يكن هنـاك تأثير لنشأته الأولى فى اتجاهه الى المسيحية فأبواه لم يكونا من مؤيدي العقيدة الجديدة فأباه كان ميثرائي وحين أصبح قيصرا مزج عقيدتـه تلك بعبادة أبوللون فأصبح سليل اله الشمس وكانت الميثرائية منتشرة فى طول الامبراطورية وعرضها « والميثرائية عبـادة ذات أصل فارسى وكان لها مراسم خاصة وكانت تتضمن شـعائرها نوعا من التصـوف ولقيت اقبالا بين الجنـد وكانت أقل استسلاما وسلبية من غيرها من العقائد وكانت أشهر العبادات آنذاك التى سادت عبادة ايزيس التى كانت أقرب الى قلوب المتعلمين ولقد وجدنا منافسا لها فى المسيحية . ولقد أشبعت المسيحيـة جميع الاتجاهات الفكرية و[illegible] [illegible] كانت روح التصوف [illegible] [illegible] [illegible] عدده للطبيعة [illegible]

---

(٤٩) جيبون : اضمحلال الامبراطورية الرومانية جـ١ ص ٥٠١
John Ferguson : The Religions of the Roman Empire p 36:

فطر على حب الرمز الى جانب انها روق للطبقات الدنيا بوجه حاص حيث ساوت عند الله بين العبد الرقيق والامبراطور وكانت المسيحية منظمة تنظيما يدعو للاعجاب وتولاها رجال ذوى كفاءة حتى أن جوليان حينما اراد بعث الوثنية حاول تنظيم المعابد على غرار الكنائس المسيحية وكانت مرتبها على الهرائية [illegible] أن يتعين فيها دور [illegible] التى [illegible] فكريا •

وكان قسطنطين منذ البداية [illegible] صداقة المسيحيين ربما بحكم كراهيته لجاليرنوس وأن لم يكن العقيدة تعنى له فى البداية شيئا ولكن بدأ اهتمامه بها منذ بدأ المسيحيون يصبحون قوة تلفت أنظار بقية طوائف الشعب والدولة اليها وبعد أن أثبتت الأيام فشل سياسة الاضطهاد حتى أنتهى دقلديانوس وجاليرنوس الذى اضطر للتراجع واصدار مرسوم التسامح ، وافادته علاقاته الطيبة بالمسيحيين وارتفقتهم فى الغرب فى عدم قيام ثورات ضده ومرسوم ميلان ٣١٣م جعله بطل المسيحية فى حين أن ليسنيوس توقف عن المضى فى سياسة التسامح بل سمح لولاته باضطهاد المسيحيين ومصادرتهم(٤٢) ومع ذلك فلم يمضى قسطنطين بعيدا فمازالت الوثنية لها انصارها ومؤيديها ومن هنا كان مرسوم التسامح يعترف بالمسيحية كاحدى الديانات المصرح بها(٤٢) فبذلك يكسب الجانب المسيحى وفى نفس الوقت لا يثير عليه نقمة الوثنيين فنص المرسوم على أن تعاد كلأماكن العبادة والأراضى العامة المصادرة ووعد أن يدفع لمن سبق له شراء تلك الأماكن ثمنا مناسبا كتعويض من الخزانة الامبراطورية ، وعلى المرسوم انه منح المسيحين مع غيرهم من الأفراد فى الدولة

---

(٤٢) Ferguson : op cit p 36.

Progile : l'eglise et l'empire

(٤٣) Vasiliev, : op cit p 55.

الحرية في اعتناق العقيدة الأوفق بالنسبة له وطالب حكام الولايات بالالتزام الدقيق بالمعنى الحقيقي للمرسوم وتأمين حرية العقيدة ٠
وحدد السببان اللذان دفعاه لاتخاذ تلك السياسة وهما الدافع الانساني الذي يستهدف أمن الشعب وسلامته وثانيهما انهما يتقربان الى اله الشمس الذي يعترفان بالشواهد العديدة الفريدة لعطفه الألهي وفي هذا اشارة الى القصة التي أوردها يوزبيوس في تاريخه عن الصليب المقدس الذي رآه قسطنطين في قرص الشمس وقيل أنه سينتصر بفضله وتلقى هاتفا بان يحفر علامة المسيح السماوية على دروع جنوده حين انتصر عند جسر مليفن Milvian (٤٤) ولقد تحدث كل من Nazianzus ويوزبيوس وأضافا للقصه الكثير ولكن لم يحددا الزمان والمكان تحديدا دقيقا مما دفع nazarius في zosimus في القرن الخامس الى ارجاعها لمهرة رجل سياسة يحاول استغلال الحماس الديني لصالحه فالامبراطور لم يشأ التفرقة بين المسيح واله الشمس فترك جنوده من الغال يعتقدون انهم يحاربون تحت صليب آله الشمس والمسيحيين تحت صليب المسيح ٠ ولقد استمر الامبراطور حتى تجاوز الأربعين يتعبد لآله الشمس وزينت معابده وجدرانها ٠ ولقد قام قسطنطين بانشاء معبدين في مدينته في فترة لاحقة ولقد زخرت معابد أبولو الذي اشتهر بانه اله الامبراطور بقرابين ونذور الامبراطور ونلاحظ ذلك التناقض العريب في كل تصرفات الامبراطور(٤٥) ٠

فالامبراطور اصدر قرار بأن يكون يوم الأحد يوم الرب عطلة ، في نفس الوقت الذي اصدر مرسوم ثاني على استشارة العرافين

---

(٤٤) Ostrogorsky : op cit p 54:

(٤٥) لم يحدد اله الشمس ليترك كلا الطرفين المسيحي والوثني يعتقد انه يقاتل تحت لواء الهه ٠

والدجالين وزعم اختفـاء اسـماء جوبتر ومارس بعد Saxa Rubra أو بالتحديد ٣١٧ واقتصر ظهورهما على الأراضى التى يسيطر عليها ليسنيوس ومع ذلك فظلت العملة تحمل علامات وثنية وعبارات Beata tranquillities أو ماكتب على قوس نصر Instincta Divinitatis وفى البداية كانت القوانين تحمل طابع الحياد وان أصبحت تميل بعض الشىء الى المسيحية . والصلوات كانت تفرض على الجيش الامبراطورى باللاتينيـة وكانت مقسمة بين المسيحيين وجوبتر وفى سنة ٣٢٣ م سمح لرجـال الدين الكاثوليك ببعض المزايا الممنوحـة للكهنـة الوثنين . وان كان عاد ومنع رسامة أى قس من ذوى المكانة فى أى Curia ويعين فى حـالة وفاة القس الموجود فقط . وكان دافعة لذلك اندفاع عدد كبير الى سلك رجال الدين فقل الدخل العام وكان هذا بمثابة ضربة لهيبة الكنيسة . فى نفس الوقت اصدر قوارا بحرق اليهود اذا تعرضوا للعبادة المسيحية فالقانون لا يأنف من استخدام أقصى الوسائل لعقاب المجرمين .

وهزيمـة ليسنيوس فتحت الطريق أمـام الكنيسـة فارسـل الامبراطور خطـابات الى الولايات الامبراطورية خاصـة بمعاملـة المسيحيين وذكر أوزوبيوس النسخة المرسلة الى فلسطين وتبدأ بمدح من اعترف بالعقيدة وادانه الاضطهاد ومن قام به(٤٦) . وذكر ان العناية الالهيـة أرسلت قسطنطين من أقصى بريطانيـا فاعادت لهم جميع الممتلكات السابق الاستيلاء عليها وما قام به من تدمير الاعداء واعادة العبادة الحقة(٤٧) .

---

(٤٦) Eusebius : op cit vol 1 p 315 .

(٤٧) Eusebius : op cit Vol 1 p 315 .

ولقد أخذ على الامبراطور سلسلة المذابح التى قام بها ضد أفراد أسرته وأصدقائه ثم تأخير تعميده حتى قال المؤرخ Zosimus أن الامبراطور عمس يديه فى دم أكبر أبنائه قبل أن يعلن نبذه لمعبودات وآلهة أجداده . وكان مقتل crispus فى نفس العام الذى عقد فيه مجمع نيقية ٣٢٥ م . ففى خلال عدة أشهر تبدأ من أكتوبر ٣٢٥ م بدأ فى تلك المذابح التى لانجد لها مبررا فيقال أن الأب نظر بعين الحقد لانتصارات ابنه من زوجته الأولى منيرفا حيث يرجع اليه الفضل فى الانتصار على ليسنيوس مما حقق له شعبية عظيمة وجعله يشعر بأنه ند له . واتهمه قسطنطين بتدبير مؤامرة ضده وقبض عليه فى احتفال فى روما وأرسل الى بولا فى استريا حيث أعدم ثم تلى ذلك بقتل زوجته فاوستا وقيل انها هى التى وشت بكرسبيوس ليخلو العرش لأولادها ولقد اكتشفت خيانتها فيما بعد مع أحد عبيد القصر نتيجة لجهود هيلينا والدة قسطنطين فقام بقتلها(٤٨) . ولكن ليس هناك ما يؤيد هذه القصة ، فقبل ذلك قتل عدد كبير من أصدقائه بلا جريمة حتى قارنه البعض بحكم نيرون لكثرة الضحايا ويقال انه بعد تلك المذابح بدأ يتجه الى المسيحية تكفيرا عن اثامه ومع ذلك فقد تأخر تعميده ويرجعه مؤرخى الوثنيه لرغبته فى الانغماس فى الشهوات ثم التكفير عنها فى نهاية حياته بالتعميد ليقضى على ذنوبه ، فأرجأه عن عمد خوفا من انتكاسه واقترافه احدى جرائمه ، وعند وفاته فى قصره فى نيقوميديا طلب تناول

Hearsey, : op cit p [illegible]

Ostrogorsky : op cit p 4[illegible]

(٤٨)

اسرار التعميد فى ٢٢ مايو ٣٣٧ وقال فالندع الابهام والغموض وخلع الارجوان وارتدى الثياب البيضاء ثياب التعميد وهذا المبدأ أتبعه عدد من الاباطرة اذا كانوا يتأخرون فى تعميدهم ليتمكنوا من اقتراف جرائمهم(٤٩) •

ولقد تلقت الكنيسة من الحكومة هبات ضخمة الى جانب تأييدها فى ارسالياتها ومبعوثيها وفى صراعها ضد أعدائها ، وفى البداية تمتعت الكنيسة بنوع من الاستقلال • فما يختص بالعقيدة من شأن الكنيسة ، ولكن بتأثير احتياجات الامبراطورية السياسية أصبحت عنصرا هاما فى الصراع السياسى • وكانت مشكلة الكنيسة والدولة شيئا جديدا فكما ذكرنا كانت عقيدة روما جزءا من سياسة الدولة ولكن حين قامت المسيحية بفصل ما لله ومال قيصر وجدت المشكة ونلاحظ ان الامبراطور كان يشغل فى العقيدة منصب الحبر الأعظم وفىالبداية كان يشغله أعضاء السناتو ثم تولاها منذ عهد أغسطس الامبراطور • أما الكنيسة المسيحية فقد عهد بخدمة مذابحها الى طائفة متدرجه من القساوسة وبدأ الصراع بين السلطتين وخاصة ان مرسوم ميلان كفل للكنيسة دخلا ومنحا عظيمة ونفس المرسوم قد سمح للرعايا الكاثوليك بوهب ثرواتهم للكنيسة بل فى ٣٢١ سمح لهم بوراثة ممتلكات الشهداء بشرط الا يكونوا كتبوا ثرواتهم لغير الكنيسة ، وكان الامبراطور خير مثال يحتذى به اذ منح الكنائس

---

(٤٩) Hearsey : op cit p 13:
Ostrogorsky : op cit 45:

الكثير من الهبات(٥٠) ومنذ عهد قسطنطين الى جستنيان أثرت الكنائس وكثرت أعدادها حتى بلغت آلفا وثمانمائة ولقد منح الاساقفة عدد من المزايا منها مزايا قانونية كحق الملكية واختصاصات الاسقف القضائية ومع ذلك فوفقا ليوزبيوس فان الامبراطور حدد اختصاصات الاسقف . ولقد سيطر الامبراطور سيطرة تامة على أمور الكنيسة ولقد استجاب الاساقفة له ولقى منهم الدعم وكان الامبراطور يرأس المجامع الوثنية ويشارك فى الصلاة ويجادل الاساقفة فى الوعظ والارشاد وأعلن نفسه قسيسا فى الاسرار المسيحية رغم عدم اعتناقه المسيحية وهذا يحدد الخط الواضح الذى تميزت به الكنيسة فى الشرق واختلافها عن كنيسة الغرب ولقد أدعت الكنيسة الغربية فيما بعد قصة هبه قسطنطين التى ادعاها البابوات فى القرن الثامن حيث ذكروا ان قسطنطين فى ٣١٧ م بعد شفائه من البرص منح البابوات الذين هم رسل وممثلى المسيح سلطات أعلى من سلطاته ولكن ثبت تزوير تلك الوثيقة(٥١) . فالكنيسة الشرقية كانت قيصرية بابوية ولايحفل تاريخ تلك الكنيسة بالتعارض بين السلطة الدنيوية والدينية كما فى الغرب .

ومع ذلك فقد بدأ الصراع فى الكنيسة الشرقية بسبب مشكلة الخلاف حول طبيعة المسيح ومنذ البداية حدد قسطنطين موقف الدولة من الكنيسة . وجذور تلك المشكلة تعود الى عهد دقلديانوس فبعد صدور مرسوم مايو ٣٠٣ ضد المسيحية طلب دقلديانوس من المسيحين تسليم كتبهم الدينية فرفض عدد كبير ما عدا فئة سلمت اناجيلها ومن هنا بدأت الخلافات نحو تحديد موقف تلك الفئة التى

(٥٠) Ostrogorsky : op cit 45:
Camb. Med. Hist Vol p 12.

(٥١) Pulbn : Sources for the History of Medieval Europe
P 8 - 11:

أطلق عليهـا Tradiforës وثار أحـد رجـال الدين فى افريقيـا وهو Donafus ورفض قبول تلك الفئـة فى الكنيسـة(٥٢) ، بل تمادى وأعلن احتجاجه على تعيين Caecilianus الذى وافق على العفو على الكهنـة الذين سـ... لـ... بل اعتبروا الأسـقف الذى رسمه خارجا هو أيضا عن الكنيسة ، وأرسل قسطنطين الأموال الى كالكيليانوس وطلب منه ارشـاد السلطات المحلية لمناوئية وقرر تعين محكمة دينية لتفصـل فى هذا الامر وطلب اتبـاع دوناتوس اساقفة من الغال فستجب الامبراطور وعين ثلاثة قضاة من الغـال واثنين من رجـال الدين فى روما وعقد مجمـع فى أكتوبر ٣١٣ م فى روما ادان دوناتوس • ولكن رفض اتباع دوناتوس قبول قراره وأرسلوا الى الامبراطور لعقد مجمع جديد فاستجاب لهم وعقد مجمع للكنائس الغربيـة فى ارليس فى أغسطس ٣١٤ م ولقد جاء القرار ضد دوناتوس • وذكر فى القرار أن Felix ليس خارجـا عن العقيـدة ونوقشت فى المؤتمر عدد من الأمور الكنسـية الأخرى • وأرسـل القرار الى البابا سليفستر لا للتوقيع وابـداء الرأى بل للعلم فقط ولجأ اتباع دوناتوس الى قسطنطين لابداء الرأى فقابلهم فى ميلان وأدانهم هو الآخر وهنـا ارتفعت أصـوات من بينهم تعترض على تدخـل الامبراطور فى أمور الكنيسة فأمر الامبراطور باضـطهاد معارضى قراراته وهم جماعة أطلقت على نفسها اسم circumcelliones ولكن أوقف الاضطهاد لعدم جـدواه رغم ارسالهم رسـالة ترفض التعامل « مع اسقفه الوضيع(٥٣) » ولكن الجدل أو الصراعات على المذاهب الدينية لم تكن لتثير اهتمام الامبراطور • فما كان يسـعى اليه الامبراطور هو القضاء على الخلافات وضمان وحدة الامبراطورية•

---

(٥٢) Camb: Med: Hist Vol I p 12:

(٥٣) جيبون : اضمحلال الامبراطورية ط ص٦٢٥

لقد استنكر الامبراطور فى رسالة وجهها الى الاسكندر أسقف الاسكندرية والى أريوس [illegible] بوكاليز بالاسكندرية أيضا خلافاتهم [illegible] فى الاعتقاد [illegible] عن الخلافات المذهبية ويرجع قسطنطين أصل [illegible] سؤال [illegible] غامض يتعلق بنقطة فى القانون لايستطيع [illegible] يرقى [illegible] الشعب المسيحى الذى يعبد الها واحدا [illegible] ويمارس عبادة واحدة ومع ذلك يترك لفروق تافهة ان تؤدى [illegible] الانقسام ويوصيهم بأن يحذوا حذو فلاسفة اليونان بأن يقرعوا الحجــة بالحجــة دون أن يفقدوا أعصــابهم أو يحطمــوا أصدقائهم(٥٤) • وكانت المشكلة قد اثارها اريوس الذى كان أحد أعضاء جماعة Melitins والذى رفض التسامح الذى قــام به القديس بطرس ضد الذين عادوا الى اعتناق المسيحية بعد ارتدادهم زمن دقلديانوس وكانت نظرية أريوس قائمة على أن الأب نفخ فى ابنه الوحيد من روحه وغمره فى فيض من نور مجده . وكان يحكم العالم خضــوعا لارادة ابيه ومليــكه ولكن هناك فرق لانهائى بين الخــالق وبين اســمى مخلوقاتــه أى أن الابن ليس من جــوهر الأب homousios بل أقــل مرتبــة • أما النظرية المعارضــة فكان مؤيدها اثناسيوس شماس الاسكندرية فى عهد بطريركية الكسندر ثم أسقفها فيما بعد وعدد كبير من رجال الدين الشرقيين فذكروا ان الأب والابن والروح والقــدس من جوهــر واحــد ومن مــادة واحــدة Consubstantiallsm(٥٥) ولايمــكن تقديم احدهمــا على الآخر • وســافر أريوس الى فلسطين بعد صــدور قرار حرمان ضــده من البطريرك حيث عرض مذهبه على ايوزبيوس مستشار الامبراطور واسقف قيصرية الذى أعتنق مذهبه • ثم اتجه الى نيقوميديا وعقد

---

(٥٤) جيبون اضمحلال الامبراطورية ط ص ٦٢٥ .

انظر ملحق ٢ آخر الكتاب

مجمع فى ريمينى حضره أربعمائة من اسقفة الغرب وانتهى الأمر باقرار مذهب أريوس فاصدروا syondes تحت ضغط رجال البلاط من مؤيدى مذهبه برفع النفى عن أريوس وتأييد مذهبه ولكن اسقفية الاسكندرية رفضت القرار •

مجمع نيقية ٣٢٥ م :

لما اشتدت حدة الخلاف بين أريوس واتباع اثناسيوس اصدر مجلس كنسى فى انطاكية قرار بطرد أريوس ويوزبيوس اسقف قيصرية من الكنيسة فقرر قسطنطين التدخل وعقد مجمع كنسى • ولكن عيب هذه الطريقة هى تحويل الخلاف المحلى البسيط الى مشكلة عامة واختيرت مدينة نيقية كمقر للاجتماع بسبب اسمها الذى يعبر عن النصر(٥٦) •

وتولى قسطنطين رأسة المجمع وتدخل فى مناقشاته وكان ما يسعى اليه الامبراطور اصدار قرار جماعى يقضى على الخلاف ولايهم من يتأثر بالآخر أو من يدان وقد حضر المجمع اساقفة من الشرق والغرب وتوجد قائمة باسماء ٣٢١ اسقفا ولكن العدد الذى حضر يقرب من ثلاثمائة ولأول مرة بدأ يتردد اسم الامبراطورية المقدسة ؛ ولكن رجحت كفة مؤيدى مذهب الطبيعة الواحدة فقرر الامبراطور الانضمام الى جانب الأغلبية وهدد من يعارض بالنفى فانخفض عدد المعارضين من سبعة عشر الى اثنان جرى نفيهم وأجبر يوزبيوس أسقف قيصرية على تأييده ، ونفى أسقف نيقوميديا وطرد من وظائفه أما أريوس فقد نفى الى احدى مقاطعات اليريا وأطلق على اتباعه P·or phyricines وقررت عقوبة الخيانة العظمى على كل من يؤيد مذهبه • ولكن

---

(٥٦) انظر Gwatkin : Studies of Aranism:
Newmans : Arian of fourth Century:

كان لاريوس كثير من المؤيدين فى بلاط الامبراطور وفى حكومته بل أن أخته قسطنطينة كانت من مؤيديه فقرر الامبراطور تغيير اتجاهه وتأييد الاريوسية فاسترجع يوزبيوس وأعيد لكرسى الاسقفية وأعيد آريوس من منفاه وعومل بالاحترام وعقد مجلس فى أورشليم اعترف بمذهبه(٥٧). ولكنه توفى بطريقة غامضة فى اليوم الذى كان مفروضا فيه رد اعتباره ، وثارت الاقاويل واتهم أنصار المذهب المعادى بدسم السم له واتهم فيه اساقفة الاسكندرية وانطاكية والقسطنطينية وصدر قرار بنفيهم . وعقد مجمع فى صور حضره يوزبيوس ادان اثناسيوس بعد أن وجهت اليه اتهامات باضطهاد مخالفيه ، وجلد ست أساقفة ، وتحطيم كأس قربان ونفى اثناسيوس الى الغال بموافقة قسطنطين اذ اتهمه معارضيه لدى الامبراطور باعتراض وتعويق أسطول القمح السكندرى .

انشاء القسطنطينية :

بعد أن توج قسطنطين انتصاراته العسكرية بهزيمة ليسنيوس تفرغ لأعظم الأعمال الانشائية التى خلدته الا وهو انشأ القسطنطينية التى ظلت تحمل اسم منشأها لاحد عشر قرنا ، المدينة التى وصفته بسيدة الشرق ويقال أن قسطنطين حين تقدمت به العمر أخذ يدبر مشروعا تتمثل فيه قوة العرش والاوتقراط فى مكان أشد ثابتا وموقع أكثر ملائمة من روما(٥٨) . فقرر اختيار منطقة على تخوم أوربا وآسيا بدلا من روما التى لم يقم بزيارتها خلال حكمه الا مرات معدودة وانتى تعرضت لهجمات البرابرة وتقطنها أشد العناصر اعتناقا للوثنية وكان بها كثيرا من مؤيدى ليسنيوس ولقد رفض

---

(٥٧) Historical tracts of Athanasius p 294 - 95.

(٥٨) جيبون : اضمحلال الامبراطورية ط ١ ص ٦٠١ .

الامبراطور أقتراحا باتخاذ نيقوميديا عاصمة لارتباطها بذكر دقلديانوس(٥٩) •

ولاتجاه قسطنطين الى الشرق أسباب عدة منها ان عدد المسحيين أكثر كثافة فى الجزء الشرقى فالمسيحية بدأت فى بيت المقدس وانتشرت فى مدن الشرق وآسيا ثم انتقلت للغرب فيما بعد ، الى جانب توافر مصادر اقتصادية وبشرية فلم يتعرض الجزء الشرقى لما تعرض له الغرب من الغزوات ، فالعناصر الجرمانية سببت المشاكل للولايات الغربية ابتداء من ايطاليا الى بريطانيا ومع ذلك لم ينجو الشرق فى القرن الرابع من اندفاع بعض العناصر الجرمانية وخاصة القوط الشرقيين الى البلقان وأصبحت الحدود الشمالية والدانوب مصدر خطر للامبراطور قسطنطين كما كانت لدقلديانوس من قبل • وفى الشرق كانت هناك مشكلة ذات طابع خاص حيث تداخلت حدود الدولة الرومانية والساسانية وكل منهما سعى لضم حلفاء فى المنطقة وتعرضت الولايات الرومانية فى سوريا وفلسطين ومصر لكثير من المتاعب نتيجة لهذه الصراع ؛ ولقد اختلف الفرس عن الاعداء البرابرة الذين واجهتهم الامبراطورية فالفرس لهم حضارتهم الزاهرة التى لاتقل عن الحضارة الرومانية حتى أن المؤرخين الرومان ذكروا أن العناية المقدسة جعلت العالم يضىء بعينين مملكة الرومان والمملكة الفارسية(٦٠) • فكان لابد من اختيار عاصمة قريبة من قلب الخطر بحيث يسهل نقل القوات الى جانب الوضع الخاص للولايات الشرقية

---

(٥٩) انظر Millingen Van : Byzantine constantinople the walls of the city and adjoining historical sites, john Hearsey City of constantine p 1 - 5:
Liddell Byzantium and Istanbaul p 5.

(٦٠) Hussey : op cit p 35:
Millingen op: cit p 31:

حيث تسود حالة عدم الرضا فتلك الولايات كانت مركزا للنشاط العقلى والدينى وخاصة فى المدن الكبرى فى الاسكندرية وانطاكية فسكان الولايات الشرقيـة كسوريا وفلسطين ومصر كانوا يشـعرون بانهم شرقيين لا غربيين يونان لا روم (٦١) وكان الفرق واضحا بينهم وبين العاصمة روما فى عدة مظاهر أهمها اللغة والحضارة الى جانب نمو اللغة القومية التى ظهرت جنبا الى جنب مع عالمية الاغريق • ففى مصر مثلا أصبحت اللغـة الوطنية القبطية مستخدمة على نطـاق واسـع فى الحياة واللغـة اليومية قراءة وكتابة • فاتخاذ عاصمة شرقيـة اغريقيـة الطابـع أقـرب اليهم من روما كان ضروريا لاسـتيعاب الشرق(٦٢) •

ووقع الاختيـار على بيزنطة على البسفور لموقعها الفريد فهى على مثلث غير متساوى الاضـلاع يلتقى طرفه المنفرج الذى يمتد شرقا الى شواطىء آسيا بأمواج بسفور تراقيا ويصـدها ؛ ويحد الميناء الجزء الشمالى من المدينـة اما الجنوبى فتحف به مياه بحر مرمرة • اما قاعـدة المثلث فتواجـه الغرب وعندها تنتهى قـارة أوربا وهى محاطة بالماء من ثلاث جهات القرن الذهبى فى الشمال . البسفور فى الشرق ومرمرة فى الجنوب(٦٤) • ويحيط ببحر مرمرة بشواطىء آسيا وأوربا على الجانبين بين البسفور والدردنيل . وكان هـذا البحرمعروفا قديما باسم Propontis وتبلغ المسافـة بين مخرج البسفور الى مدخـل الدردنيل نحو مائة وعشرين ميلا(٦٥) ويعتبر البسفور والدردنيل بوابتى القسطنطينية يستطع من يسيطر

---

(٦١) Hussey : op cit p 36:

(٦٢) Hussey : op cit p 35:

(٦٣) جيبون : اضمحلال الامبراطورية ص ٤٩١ .

(٦٤) Hearsy : op cit p 14:

(٦٥) رنسمان : الحضارة البيزنطية ص ٣ .

عليهما أن يغلقهما فى وجه أى أسطول معاد ويفتحهما فى وجه السفن التجارية ومكن موقع المدينة قسطنطين من الاحتفاظ بالولايات الشرقية حيث أن قبائل المتبربرين فى البحر الاسود عجزت عن اقتحام هذا المنبع • والعصمة تشغل مركزا ممتازا الى جانب ذلك فهى تربط المواصلات بين آسيا وأوربا وكذلك تربط بين البحر الايجينى والبحر الأسود الى جانب كونها مركزا لتجارة عالمية ، ولقد اكتسب ميناء القسطنطنية منذ زمن سحيق اسم القرن الذهبى فان الانحناء الذى به يمكن مقارنته بقرن غزال ولفظ ذهبى دلالة الثروة التى تتدفق عبره من أقصى الأرض الى ثغر القسطنطينية الواسع والعمق الثابت للمياه فى الميناء يسهل عملية تفريغ البضائع عن الأرض مباشرة دون استخدام القوارب • ويمكن عند الاقتضاء وضع سلسلة متينة تحمى الثغر والمدينة من هجوم اى أسطول معاد(٦٦) •

وبيزنطة التى منحت اسمها للدولة الرومانية الشرقية كانت أصلا قرية صغيرة على البسفور وخلال الثلاث آلاف عام السابقة كانت عبارة عن مساحة من الأرض مقتطعة من الشاطىء الاروبى فى اتجاه مدخل البسفور ولقد عاصرت ثلاث حضارات وأربعة اسماء • ففى البداية كانت قرية للصيادين تسمى ليجوس وكان الاغريق قد استشاروا الهة دلفى عن أفضل موقع لبناء تلك المدينة فأشارت عليهم هذا الموقع بينه وبين البحر نصف ميل • والفضل فى تأسيسها لملاحى ميجارا ٦٥٧ ق•م ، ولقد سبق للميجاريين تأسيس مدينة خلقدونية على الشاطىء الآسيوى المقابل(٦٧) •

---

(٦٦) Zosimus op. cit 2 p 35.
Hearsey : op cit p 1-5.
Camb: Med: Hist Vol I.

(٦٧) Millingen, op cit p Lo.
Hearsey : op: cit p 5.
الحضارة البيزنطية ص ٣ •

وقد أصبحت بعد انشأها مركزا تجاريا هاما وفى القرن الخامس ق.م حين ضعف سلطان الاغريق شوهدت الغوت الفارسية فى طرقاتها وفى ٣٤٠ م ق.م حصرها فيليب المقدونى ولكن فشل حصاره ثم استولى عليها الاسكندر وجعلها معسكرا لجيشه المتجه الى الهند . وفى القرن الأول للميلاد أصبحت مستعمرة رومانية وقد وقفت مدينة بيزنطة بجانب Pescennius Niges فى حربه ضد سبتميوس سفريوس واستولى عليها سفريوس بعد عامين وخرب أسوارها . ولكن أعاد بعد ذلك تجديدها وأضاف اليها الهبدروم والحمامات والقصور وأصبحت ولاية رومانية(٦٨) . وتقدم القوط عبر أسوارها لنشر الذعر فى كل البحر الايجينى وشواطىء ايطاليا . وكانت من نصيب مكسميان فى التقسيم الربعى ثم استولى عليها قسطنطين فى حربه الأولى مع ليسينوس وكانت المرة الثانية والنهائية بعد هزيمة ليسنيوس فى ادريانوبل وكانت بيزنطة محورا للحرب ومسرحا للمعارك ولولا هزيمة الاسطول لما استطاع قسطنطين ان يطرده منها ولقد بدأ فى بناء المدينة فى نوفمبر ٣٢٤م بعد انتصاره على خصمه ليسنيوس وانتهى من بنائها فى ١١ مايو ٣٣٠م ويقال انه أطلق عليها روما الجديد ولكن اثروا ان يطلقوا عليها اسم القسطنطينية تخليدا لاسم مؤسسها(٦٩) .

ولقد اجتمع فى بقعة واحدة من الجمال والأمن والثراء ما كان كافيا ليبرر اختيارها . وقد كانت بيزنطة مقامة على تل واحد ولكن أدخل قسطنطين الى نطاق المدينة خمس تلال وأضاف خلفاؤه التل

---

(٦٨) جيبون : اضمحلال الامبراطوريه ص ٤٩٣ .

Hearsey : op: cit p: 6:

(٦٩) Sozomen . 11. 3 - Zosimus V. 24.

Hearsey : op cit p 6.

Millingen : op cit p 20.

السابع تشبها بروما • ويبلغ أقصى طول للقسطنطينية في المرتفع الشرقي الى القرن الذهبي نحو ثلاثة أمثال رومانية ويمتد عرضها من ... الى احدى عشر ميلا ولم يألوا قسطنطين جهدا في جعلها مدينة مترفة واستخدم ثروة وعبقرية اتباعه فقد انفق على اسوار القسطنطينية مبلغ يعادل مليون وخمسمائة ألف جنيه لبناء الأسوار والاروقة وقناطر المياه وجلب اعداد كثيرة من الصناع والعمال من جميع أنحاء العالم لتزيينها(٧٠) • ويشير جيبون ان الامبراطور اصدر تعليمات الى جميع الحكام في اقصى الولايات لانشاء المدارس وتعيين الأستاذه واغراء العدد الكافي من الشبان الناجحين الذين تلقوا تعليما متحررا ، ولقد جرد الامبراطور مدن آسيا واليونان من اثمن نفائسها حيث ازدانت بها العاصمة الجديدة فتمثال أبولو الضخم الذى صنعه فيدياس نقل الى العاصمة وغيرت ملامحه بحيث أصبح يحمل صورته واسبغت عليه كل صفات آله الشمس وتحمل احدى يديه صولجان والآخر كرة أرضيه • ويضع تاجا من الشوك كالمسيح وبذلك اتحدت فيه العقيدتان القديمة والحديثة ولقد ظل التمثال الى عهد الكسيوس كومنين ١١٠٥ م • ثم تماثيل اثينا ، والحجر الذى غسلت عليه مريم المجدلية أقدام المسيح ، فالمواطن من أبناء القسطنطينية الذى كان يسير كل يوم في شوارع مدينة لم يكن يستطيع نسيان مجد تراثه الهليني الغابر •

ولقد ازدانت المدينة أيضا بالمباني الضخمه ولقد أهتم بعمارة الكنائس وان كانت قد احتفظت بمعابدها القديمة واقيمت بعض المعابد للوثنيين الشعائر تشييد الكنيسة • وقدم قسطنطين ولائه

---

(٧٠) جيبون : اضمحلال الامبراطورية ص ٤٩٠ .

Ostrogorsky : op cit p 40:

لاله الحظ Tyche . وكان لها سناتو كسناتو روما حيث استدعى بعض أعضاء سناتو الرومانى لعاصمته(٧١) .

وأول الكنائس التى انشأت بها كنيسة القديسة ايرين وكنيسة الرسل القديسين وبعد قرن من تأسيسها ظهر فى وصفها كتاب ذكر أن فيها كابيتول ومدرسة وسرك ومسرحان وثمانية حمامات عامة ومائة وثلاثة وخمسون حماما خاصا واثنان وخمسون رواقا وخمسة مخازن للغلال وثمانية خزانات للمياه وأربع قاعات فسيحة لاجتماعات السناتو أو محاكم القضاء وأربعة عشر كنيسة وأربعة عشر قصرا وأربعة آلاف وثلاثمائة وثمانية وثمانون بيتا ، وقسمت المدينة الى أربعة عشر حيا ونلاحظ انهم لم يهتموا ببناء المسارح وحلقات الوحوش التى فقدت أهميتها حسب وضع القسطنطينية كدولة مسيحية(٧٢) . وان كان الاهتمام قد انتقل الى السرك وميدان سباق الخيل الذى اكتسب طابعا سياسيا فيما بعد للدور الذى لعبه كل من الزرق والخضر . وكانت المدينة متسعة وحصينة فاذا هوجمت عن طريق البحر تبقى على الامتداد قلاع أخرى غير معروفة على الامتداد وبقيت القسطنطينية أكثر من ألف عام صامدة لم يستطيع اقتحام أسوارها الا الحملة الصليبية الرابعة والعثمانيون وأول من استقر بها ثيودسيوس لأن قسطنطين مات فى نيقوميديا وقسطنطيوس وجوليان شغلا بحروبهما وجوفيان توفى قبل أن يصل للعاصمة . ولقد قطنت بها آلاف من الاسر النبيلة تشبها بالامبراطور حيث اقطعهم ضياعا وراثية فى بنطس وغيرها من مدن آسيا بشروط سهلة للملكية.

---

(٧١) رنسمان : الحضارة البيزنطية ص ٢٣ .

(٧٢)
Zosimus : V: P 25:
Hussey : op cit p 5:
Hussey : op cit p 12:
Maurice · Les Origine de Constantinople 282:

وظلت القسطنطينية مركزا تجاريا وسياسيا الى جانب دورها فى المجال الحضارى والدينى طوال قرون عديدة . ولقد ازدادت اهمية المدينة بينما قلت أهمية روما وقل عدد سكانها . وبعد ما لايزيد عن قرن أصبحت القسطنطينية اكثر سكانا من روما وفى القرن السادس أصبح فيها ما يزيد عن نصف مليون(٧٣) .

خلفاء قسطنطين :

توفى قسطنطين بعد فترة قليلة من الاحتفال الثلاثين بتوليته العرش : وقسمت الامبراطورية بعد وفاته بين أبنائه الثلاث قسطنطين قسطنطيوس قسطانز ولقد ولدا فى أعوام ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٠ م وهم أولاد فوستا ومنح كل منهم لقب قيصر أثناء حياته ونال قسطنطيوس . قسطانز ولقد ولدا فى أعوام ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٠ م وبريطانيا وقسطنطيوس الشرق وتراقيا اما قسطانز فقد حكم ايطاليا وافريقيا والليريا وحملوا جميعا لقب اغسطس وان كان حاكم العاصمة يتمتع بمكانة مميزة بعض الشىء .

ولقد بدأ حكمهم بسلسلة من المذابح الوحشية توضح الطابع الدموى لتلك الاسرة . فقام قسطنطيوس وهو أول من وصل الى العاصمة عند وفاة أبيه بالتخلص من جميع أقاربه الذكور فقتل اثنين من أعمامه وأولادهم السبع وزوج شقيقته بناء على تحريض بعض رجال البلاط الذين أوحوا للامبراطور بأن ضمان سلامة الامبراطورية يحتم التخلص من أى منافسة قد تحدث مستقبلا تهدد العرش الامبراطورى ، واستطاع التأثير على بعض العناصر فى الجيش التى تعالت صيحتها تنادى بالتخلص منهم فاستجاب الامبراطور بعد أن

---

(٧٣) Ostrogorsky : op cit p 44:
Maurice : Les Origines de constantinoplep 282:
Brehier : Le civilsation Byzantine p 81:

كان قد منح اقاربه الامان فتخلص منهم بلا جريمـة فلم يشـعر الامبراطور بفداحة فعلته الا عند موته فسعى لطلب المغفرة والرحمة(٧٤) والعلاقـة بين الأخوة تعكس نفس الطابع والنوعيـة فليس هنـاك مراعاة لرابطة الدم أو صلة الرحم(٧٥) ، فقسطنطين حاكم العاصمة سعى لضم افريقيا التى تخص أخيه قسطانز واستولى عليها فعلا ، فعرض قسطانز على أخيـه الآخر قسطنطيوس معاونته مقابل وعده بتسليمه القسطنطينية ورغم هذا التحالف فان قسطنطين طالب أخاه بعد استيلائه على افريقيا بتسليمه ايطاليا • وكان هذا ايذانا بنشوب حرب بينهم وفى ٣٤٠ عبر قسطنطين الالب واتجه الى أكويليا فى حين اتجه قسطانز الى ناسيوس فى داكيا وهزم قسطنطين فى معركة فى أكويليا ولكن ما لبث ان سقط فى فخ أهلكه • وبذلك انحصرت الامبراطورية بين قسطنطيوس وقسطانز الذى أصبح سيد بريطانيا والغال(٧٦) ، ورغم أن قسطانز حقق العديد من الانتصـارات على البرابرة ابتدأ من عام ٣٤٢ م فطارد الفرنجة وأجبر من تبقى منهم على عقد معاهدة سلام ، وفى ٣٤٣ م عبر من بولونيا الى بريطانيا وأخضع البكت والسكسون •

ولكن كان لقسطانز مساوءه فكان حاد الطبـع لا يأبه بالقانون ولا يتردد فى انتهاكه الى جانب ازدرائه الواضح للجيش فأدى هذا الى تجمع عناصر الثورة والتمرد ضده وبدأت الفتن فى بلاطه بقيادة أحد المقربين له وهو ماركلينوس وماجنتيوس قائد مجموعة جوفيان وماجنتيوس هذا بربرى الاصل • ولقد انتهز فرصة وجود الامبراطور

---

(٧٤) Vasiliev : op cit p 77: Ostrogorsky : op cit p 44:

(٧٥) Hearsey : op cit p 14.

(٧٦) Ostrogorsky : op cit p 67: Camb. Med. Hist, Vol p 57.

فى رحلة صيد فأعلن ماجنتيوس نفسه امبراطورا وهرب قسطانز الى اسبانيا وفى البرانس فى قرية تسمى قلعة هيلينا سقط فى أيدى مندوبى ماجنتيوس الذى تخلص منه بالقتل • ولقد تحسنت أحوال هذا القسم عن الامبراطورية تحت قيادة ماجنتيوس العادلة فانضمت اليه ايطاليا وافريقيا وبناء على نصيحة قسطنطينة شقيقة الامبراطور فان حاكم الدانوب Vetranios أعلن نفسه امبراطورا وأيده الامبراطور ، وأمر قسطنطين قوات بانونيا بالانضمام اليه ، وكذلك انتخب فلافيوس بوبوليوس قريب قسطنطين امبراطورا فى روما ولكن قتله ماجنتيوس بعد ثمانية وعشرين يوما(٧٧) •

ولقد انتظر ماجنتيوس اعتراف قسطنطيوس ، وأرسل سفارة لطلب عقد معاهدة بينهما فيتزوج ماجنتيوس شقيقة الامبراطور قسطنطينا فى حين يتزوج الامبراطور ابنته ولكى رفض الامبراطور وزوج شقيقته جاليوس قريبة • وتقدمت قوات الامبراطور لملاقاة المغتصب ولكن فاترونيوس انضم لماجنتيوس ضد الامبراطور ولكن عند التقاء الجيشين عاد وانحاز الى قسطنطيوس الذى عفى عنه ومنحه اقطاعا ، واستطاع ماجنتيوس احتلال بانونيا ، وأمام تلك الانتصارات وتجنبا لصدام لاتعرف عقبته قرر الامبراطور ارسال سفارة لماجنتيوس تعرض عليه ان يصبح امبراطورا مشاركا فى الغرب ، ولكن ماجنتيوس رفض لوثوقه من النصر وأرسل مبعوثا هو السناتور تيتانوس ينصح الامبراطور بالتخلى عن العرش ولم يستجب الامبراطور وحدثت المعركة الفاصلة فى ٢٨ سبتمبر ٣٥١ م فى مورسا فى نهر انسان وهرب ماجنتيوس ولكن ماركلينيوس أكمل الحرب هو وقوى الغال التى أبت الاستسلام وقتل عدد كبير منهم ، وبعد انتصار الامبراطور عفى عن كل من اشتركوا مع ماجنتيوس

---

(٧٧) Camb. Med. Hist. vol. I p 62.

الا من اشتركوا فى قتل أخيه . وقتل ماجننتيوس فى ليون وأصبح قسطنطيوس السيد الأوحد للامبراطورية وأثبتت تلك الحرب أمرا هاما هو أن الرومان ما زال ولائهم قوى لأسرة قسطنطين رغم عدم رضاهم عن بعض الأفراد . ورفضهم لارتقاء متبربر العرش الامبراطوري رغم عدم تمتعه به عن [illegible](٧٨) .

قسطنطيوس والفرس :

كان الفرس يمثلون العـدو الـدائم والقوى المراس اروما ثم لبيزنطـة(٧٩) . ولقد تولى فى تلك الفترة عـرش الامبراطوريـة الفارسـية سابور الثانى وهو من أقدر ملوكهم ولقد اشـتهر باسم سابور ذوى الاكتاف . لما حققه من انتصارات على القبائل اليمنية وترك لقسطنطيوس بوصفه حاكم الشرق أمر التصدى له وخاصـة أن قسطنطين الأول قبل وفاته كان قد أعد حملة لقتالهم(٨٠) .

ولقد بدأ الحرب الفارسية فى عام ٣٣٧ م بعد اجتماعه بشريكيه حيث اتجه الى نصيبين وأعاد تنظيم جيشه وأمد فرقه بزرد مدرعـة وطالب الولايات بزيادة امدادها للقوات المقاتلة وفى نفس الوقت عقد تحالف مع ارشاك الثانى ملك ارمينيا الذى كان قد فر من بلاده ولجأ الى ارومان بسبب الغزو الفارسى لبلاده وصحبه عدد من نبلائه وعبر الامبراطور نهر تجريز بثلاث جيوش وتركهم الامبراطور يمرون الى

---

(٧٨) chapot : La Frontiere de l'Euphrate p 169

(٧٩) Chesney : Expedition For the survey of the rivers Euphrates and Tigris Vol 5:

(٨٠) عن العلاقات الفارسية البيزنطية

Ammianus Marcellinus trans : H: Baynes:

Chapot : op· cit p. 340·

جبون : اضمحلال الامبراطورية جـ١ ص ٥٥٣

أن أصبحوا قرب سنجار وأصبح بينهم وبين الجيش الامبراطورى مسافة قصيرة • وبدأ القتال الحقيقى فى ٣٤٤ وكانت أفضل الفرق الامبراطورية غير موجودة ولذلك أمر الامبراطور جنوده بالانتظار وخاصة أن الفرس كانوا يسيطرون على منابع الماء ولكن العطش دفع الجند لعدم الاستجابة لأمر الامبراطور فهاجموا المعسكر الفارسى وحققوا انتصارا سريعا وفر سابور الى تجرير • ولكن الفرس عند الماء استطاعوا جمع شتاتهم واستعادة معسكرهم فان هزيمتهم الأولى اضطرتهم للهدوء فترة ثم معاودة الهجوم فهاجموا نصيبين أثناء ثورة ماجننتيوس وقاومهم أسقف المدينة ... واضطرهم للانسحاب(٨١)•

وتجدد الصراع مرة أخرى فى سنة ٣٥٠م رغم توقيع معاهدة صلح ٣٥٠م وتقدم الوالى الرومانى للتفاوض مع الفرس • ولكن سابور كان قد بيت النية على مهاجمة الأراضى البيزنطية ومهد لذلك بعقد اتفاقية مع ... وطلب من الامبراطور استعادة مناطق نهر العاص وارمينيا وهدده فى حالة رفض الامبراطور • القيام بعمل حربى • وكان القائد الرومانى الذى ... قد تجاوز مرحلة الشباب ... Ursicinaus ... موقف الرومان سوءا بفرار أحد القواد الرومان مع فرقته وانضم الى الفرس وتقدم سابور الى الأراضى سوريا واستولى على أمد وبعد أن نهب أراضيها عاد الى فارس فقرر قسطنطيوس الخروج بنفسه للحرب وأمر الفرق الموجودة فى الغال بالانضمام اليه لكن جوليان رفض فقرر الخروج ومحاسبة جوليان عند عودته وتقدم الامبراطور الى الرها وانتظر ليرى ما يقوم به سابور ، ولكن بلغته أنباء تراجع سابور فدعم تحصينات انطاكية

(٨٠) Chapot : op cit p 340-343
Ostrogorsky : op Cit 45-

وبلغته أنباء عن جوليان فاضطر لسحب قواته من آسيا والتوجه الى الغرب حيث وافاته منيته .

الموقف الديني :

اختلف أولاد قسطنطين في موقفهم الديني كما اختلفوا سياسياً . فقسطنطيوس كان من معتنقي مذهب أريوس وقسطنطين الصغير وقسطانز من مؤيدي نيقية بل أن اثناسيوس لجأ الى بلاط قسطنطين في الغرب ، وكان قد أبعد أثناء حكم والده قسطنطين الكبير ولقد سعى قسطنطيوس لنصر المذهب الاريوسي بمساعدة الاسقف يوزبيوس واجتمع في انطاكية تسعون أسقفا ممن صاغوا مذهب جديد أطلقوا عليه اسم Semi Arianism (٨٢) أى الشبيه بالاريوسية ووضعوا خمسا وعشرين قاعدة دينية لاتزال الكنيسة اليونانية الارثوذكسية تسير عليها الى اليوم . وكان مما نصت عليه أن الاسقف الذى يصدر مجلس أسقفى قرار بنفيه لايباشر مهام الاسقفية ثانية وكان المقصود به اثناسيوس وعين جريجورى فى أسقفية الاسكندرية بدلا من اثناسيوس الذى لجأ الى بلاط ميلان حيث قسطانز بناء على استدعاء الأخير له وفى محاولة للتوفيق بين شطرى الامبراطوريه عقائديا عقد مؤتمر فى سارديكا فى صوفيا على الحدود بين الدولتين وحضره أربعة وتسعون أسقفا ، ولكنه لم يستطع التوفيق بينهم فلقد تمسك كل فريق بعقيدته وظهرت فى المجلس مبادىء الخلاف بين الكنائس اليونانية والكنائس اللاتينية . ولكن قسطانز حاكم الغرب والأخ الأكثر قوة وسلطانا أجبر أخاه فى رسالة بعث بها اليه على اعادة اثناسيوس

---

(٨٢) Cwatkin : op: cit p 66:
Broglie : l'eglise et l'Empire p 23.
Newmans : op: cit p 30:

بقدومه على رأس أسطول ان لم يستجيب لذلك • وسارع قسطنطيوس الى كرسيه الاسقفى فى الاسكندرية وكان خطب مصحوبا بتهديد الذى كانت يشغله أمر الحرب خارجية قبول التهديد بدون ابعد وأرسل يعيد الاسقف لاثناثيوس يخبره بأنه سيعيد كل انصاره ويعيد لهم حقوقهم و ممتلكاتهم(٨٣) •

حتى أن هدوء الحركة أدت الى شطر الاريوسية فريقين معتدل تقرب من مذهب نيقيه حيث قال ان الأب والابن متشابهان وفى نفس مستوى وان لم يكونا من نفس المعدن . وفريق آخر أصر على مذهبه بقيادة اجرينوميوس وانكر أى تشابه . وان كان مصرع قسطانز غير الأمور(٨٤) •

ولقد منحت الحرب بين قسطنطيوس وماجنتيوس فرصة أمام الكنيسة الكاثوليكية للراحة وسعى كلا الفريقين لكسب اثناسيوس وكان لاستقبال اثناسيوس رسل ماجنتيوس اسوأ الأثر بالنسبة للامبراطور الذى سعى للانتقام منه وفى مجلس ارل وميلان ادين كهرطقى وبانتصار قسطنطيوس أعلنت الاريوسية كمذهب رسمى للدولة . وكان الامبراطور بعد انتخلص من شرور الحرب الاهلية قد تفرغ لتقرير أمور العقيدة • ولتحقيق الوحدة المذهبية أمر أساقفة الشرق بالاجتماع فى سلوقيا فى ايزوريا ولقد استمر المجلس أربعة أيام ولم يأتى بنتيجة • أما المجلس الغربى فعقد فى ريمينى ٣٥٩ م على شاطىء الادرياتيك واعترف المجمع بالعقيدة الاريوسية بعد نفى

---

(٨٣) Gwatkin : op: cit p 66:
Brogile : op: cit 23:

(٨٤) Vasiliev : op cit p 68:
Harnack : History of Dogma Vol 4 p 49.

الاساقفة المعارضين(٨٥) وأعلن المجلس عقيـدة التشابـه بين الابن والأب دون ذكر ما يفيد انهما من طبيعة واحدة وكذلك عقد مجلس فى ٣٥٩ مفى سرميوم أكد على قرارات المجلس السـابق ومع ذلك حدث انشقاق آخـر فى المذهب الاريوسى فان العدد المعتـدل مضى قدما حتى اقترب من مذهب نيقية ٠

وفى عهده دخل فرع من القبائل الجرمانية الى العقيدة المسيحية على مذهب الاريوسى وقام ولفلاس بترجمـة الانجيـل الى اللغـة القوطيـة(٨٦) ٠

أما بالنسـبة لموقف الامبراطـور من الوثنيـة فعند دخـول قسطنطيوس الى روما فى ٣٥٧ م أمر بازالة قوس النصر من السناتو وشعر الرومان ان هـذا ايذانا بأفول نجمهم ويقال انه اصـدر أمر باغلاق المعابد ومعاقبة من يتردد عليها وان كان يحوط هـذا الأمر الشك فقد استمرت المعابد قائمة فى عهده بل قام بزيارة لمعابد روما وأنعم على أعضاء السناتو بالقاب كهنوتية على حد قول سمياخوس ٠ وكانت الانقسامات المسيحية سببا فى تأخير هلاك الوثنية فكلا الجانبين المسيحيين تطرف فى معاملة الآخر ، وغلب عليـه عدم التسامح مما أبقى على وجود الحزب الوثنى وكان رعايا قسطنطيوس يتمتعون بنفس المزايا والامتيازات سواء فى الجيش أو الدولة ولقد انتعشت آمال الحزب الوثنى بظهور جوليان ٠

---

(٨٥) Baker, Nestorins and his Teaching p 6.
Henri Gregoire : The Byzantium church p 87.
Baker : op. cit. p 6.

(٨٦) جيبون اضمحلال الامبراطورية جـ٢ ص ٧٧
Harnack : op cit vol 4 p 4-9:

قسطنطيوس وجوليان :

كان على الامبراطور مواجهة العديد من المشاكل ففي جانب الاخطار التي احدقت بالامبراطورية على الحدود من جانب الفرس كانت هناك مشاكل المتبربرين في الغال ، وكان الامبراطور يخشى ان أرسل أحد قواده الى هناك ان يستقل بالولاية فقرر أن يلجأ الى احد أقربائه من أفراد الاسرة المالكة وبما أنه سبق له التخلص منهم عند توليته الحكم فلم يبقى الا على جاليوس وأخيه جوليان لضعف صحة الأول وصغر الثانى(٨٧) . ولكنه ما لبث ان تخلص من الأول بعد أن ولاه انطاكيـة لاتهامه بسوء الادارة والتعسف فلم يبقى الا جوليان ورغم معرفـة الامبراطور بميولة الوثنيـة فقد عينـه قيصرا ٣٥٥ م وزوجـه أختـه هيلينا نتيجـة وساطة الامبراطورة زوجته ، وخرج مع الامبراطور في حربه الالمان في الالزاس .

واتجـه الامبراطور الى الراين في حين أوكل أمر الغـال الى جوليان وأثبت جوليان مقدرة فحقق نصرا سريعـا في ستراسـبورج واستعاد الراين الأعلى وحرر بلاد الغال من البرابرة ، وقامت محاولات لتنصيبه اغسطس ولكن رفض لتخوفـه من اثارة ريبـة قسطنطيوس بسبب الدسائس التي تحاك ضده في البلاط(٨٨) .

---

(٨٧) Socrates Historia Ecclesiastica trans Hussey W. Y. 1891
Allard, Paul. julien l'Apostat 3 Vols Paris 1906,
Des jardins Abel: l'Empereur Julien (paris 1845) Rendall.
GH: The Emperor Julian (camb 1879).

(٨٨) Vasiliev op cit 77:
Rendall : op cit p 12:
Desjardin : op cit p 3.

ولكن تغير الموقف بسبب الحرب فى الشرق وكان الامبراطور قد نقل عاصمة الجزء الغربى من ميلان الى سرميوم لمواجهة البرابرة ولكن ما لبث أن تغير الموقف بسبب الحرب الفارسية حيث استدعى تحرك سابور واجتياحه للولايات البيزنطية خروج الامبراطور فطلب من جوليان الانضمام اليه فرفض جوليان • فقد رأى أن سحب القوات من الغرب يفتح الباب أمام البرابرة ويقضى على جميع الجهود السابقة للسيطرة عليهم وانضم اليه الجند الذين رفضوا ترك أسرهم عرضة لهجمات الالمان الى جانب اضطرارهم للقتال فى أرض تختلف عما الفوه وانتهى بهم الأمر الى اعلان جوليان أغسطسا ووصلت الأنباء تلك الى قسطنطيوس • وكان أمامه أمران اما الذهاب لاخضاع جوليان أو التوجه الى الميدان الفارسى • فانتصر ولائه لبلاده وقرر التوجه الى الرها وترك أمر جوليان لحين عودته •

أما جوليان فاتجه لمحاربة الفرنجة فى الراين أملا فى الاتفاق مع تربيه ولقد تمكن من هزيمة الفرنجة بسهولة ، وحاول فتح باب المفاوضة بلا نتيجة مع قسطنطيوس فقرر أن يعتمد على قواته وتأييدها خوفا من أن يناله نفس مصير أخيه وقرر جوليان أن يبدأ بالهجوم حتى لا يأخذ على غرة وقبل أن يستطيع الامبراطور سحب قواته فى آسيا ، فسيطر على الطريق الى الغرب بفضل قوات جوفيوس وجوليان واستولى على سرميوم بسهولة وأمام هذا التهديد قرر قسطنطيوس التوجه لملاقاة جوليان وخاصة بعد ان استتب الأمر فى الشرق(٨٩) • ولم يكن لدى جوليان القوات الكافية لمواجهة قوات قسطنطيوس وخاصة فى تراقيا حيث

---

(٨٩) Rendall; op: cit p TP.
Camb Med. Hist. vol 1 p 67.

الكونت Martianus وولايات الشرق الموالية لقسطنطيوس المسيحى واضطر جوليان للعودة الى الغال فى حين اتجه قسطنطيوس الى كاليا لقيادة الحرب ضده ولكن انقذت جوليان وفاة قسطنطيوس المفاجأة فى ٣ نوفمبر ٣٦١ م وبذلك أصبح جوليان سيد الامبراطورية بلا منازع ٠

جوليان امبراطورا :

تولى جوليان فى ١١ ديسمبر ٣٦٠ م عرش الامبراطورية بلا معارضة وأيده ايوزبيوس والفريق الامبراطورى وجميع قادة الجيش وحكام الولايات والشعب ٠ ولم يكن يتجاوز عند توليته الحادية والثلاثين ٠ وجوليان هو ابن يوليوس قسطنطيوس الشقيق الأصغر للامبراطور قسطنطين الذى قتل فى مذبحة ٣٣٠ م وكان جوليان وشقيقه جاليوس الوحيدان الذان بقيا على قيد الحياة بعد تلك المذبحة(٩٠) ٠

ولقد تلقى تعليمه الأول على يد Mardonius الذى كان من عاشقى الحضارة الكلاسيكية والفنون القديمة فنمى فى نفس تلميذه اهتمامه بكل هذا وفى ٣٤١ م أبعد هو وأخيه الى قلعة Macellum حيث عاشا فى أحد قصور قبادوقيا ورغم تلقيه العلم على يد مسيحيين فقد ظل على اعجابه بالحضارة الوثنية ، وأرسل أخاه الى انطاكية حيث منح لقب بروقنصل ، فى حين ذهب جوليان الى نيقوميديا حيث درس على يد عدد من المعلمين الوثنين أمثال Libanus ٠ واجتمع فلاسفة آسيا الصغرى حول جوليان ووجدوا فى [illegible] هذا الشاب وشخصيته

---

(٩٠) Camb. Med. Hist. vol. [illegible]

ما يجعله نصيرا للوثنية . ثم انتقل بعد ذلك الى اثينا حيث أشبع نهمه الى المعرفة والحضارة اليونانية الا أن اختاره قسطنطين قنصلا(٩١) .

وجوليان نموذج فريد بين الاباطرة الرومان فهو فيلسوف ومفكر تأثر بالحضارة الاغريقية ومنجزاتها ودرس على يد أفضل فلاسفة الاغريق وآدبائهم ، وكان يشعر بالصلة الوثيقة التى تربط الفلسفة والأدب بالعقيدة الوثنية فرأى أن انهيار الوثنية يعنى انهيارا للعالم الاغريقى بكل قيمة وفنونه فلم يكن موقفه من المسيحية نابع عن كراهية أو اندفاع شخصى بقدر ما كان خوفا على حضارة يحرص على استمرارها بل وبعثها(٩١) ، وكان لايرى فى المسيحية معجزة بل مجرد ديانة مقبولة للبعض ، وهذا دفعه لمحاولة بعث الوثنية على أسس وبطرق أكثر تنظيما ومجارة لعصره . وفى نفس الوقت اتخذ من المسيحية موقفا معتدلا ظاهريا فلم يلجأ الى وسائل الاضطهاد والقمع كما حدث فى عصر جاليريوس ودقلديانوس فلم يكن يأمن بالارهاب كوسيلة لتحقيق النظريات أو حل المشاكل ولكن ترك العقيدة تقضى على نفسها وترك انصارها يبذرون بذور الشقاق والخلاف بأيديهم عن طريق تركهم يتبادلون الاتهام والخلاف والخطوط العامة لسياسته تتمثل فى أمور ثلاث :

أولا : محاولته استعادة الوثنية لمكانتها الأولى .

ثانيا : كان يطمع فى اقامته امبراطورية عالمية تماثل أمبراطورية الاسكندر وكان يشعر باحتياج الشعب لرؤية ماركوس أوريليوس آخر على العرش .

---

(٩١) Camb. Med. Hist Vol I p. 57.
Vasiliev : op cit p 77.
Rendall; op cit p 15.

ثالثا : سعيه لايجاد جهاز ادارى منظم للنهوض بالبلاد والقضاء على الرشوة والفساد التى يعزوها لبطانة السيئة المحيطة بقسطنطيوس(٩٢) .

جوليان والوثنية :

كان جوليان لايخفى اعجابه بالوثنية وحضارتها منذ حداثة سنه ونصبه الفليسوف الوثنى مكسميانوس سرا فى مدينة افسوس عضوا فى مدرسته . ومع ذلك فان ارتداده لم يكن يعرف به الا عددا من المقربين له . ويقال أنه ربما ربط بين العقيدة المسيحية وقسطنطيوس الذى كان مسئولا عن مقتل أباه وأخاه فمن هنا ارتبطت المسيحية فى ذهنه بالاضطهاد الى جانب الخلافات المذهبية بين انصارها دفعه الى أن يجد فى دين آبائه الملاذ .

ولقد اضطر فى عهد قسطنطيوس الى حضور الاحتفالات الرسمية . ولكنه كان حين يعود لقصره يتعبد فى المعابد الخاصة بجوبتر التى أقامها هناك ، وادعائه المسيحية زاده كراهية للعقيدة ولقد ألف عددا من الكتب للرد على المسيحية . وقام كيرلس أسقف الاسكندرية بنسخ بعضها للرد عليها ، ولذلك ما كاد يتولى العرش حتى ظن الفريق الوثنى انه سيقوم بسلسلة من المذابح والاضطهادات ضد أعداء الهته(٩٣) .

ولكن الامبراطور كان يؤمن بعدم جدوى الاضطهادد . بل أنه رأى ان الاضطهاد يرفع الضحايا الى مصاف الشهداء ، ولقد بدأ

---

(٩٢) Ostrogorsky; op cit p 57.
Hussey : op cit p 22.

(٩٣) Vasiliev : op cit p 70.
Hussey : op cit p 22.

عهده باصدار مرسوم كان ينص على التسامح وحرية العقيدة وأمر بفتح جميع المعابد الوثنية التى سبق اغلاقها وألغى كل القوانين التى اعتبرها تعسفية والتى أصدرها قسطنطين وقسطنطيوس تجاههم . وأعلن هو أنه حبر لأعظم pontifex Maximus وأمر بتقديم الذبائح للآلهة وعين طائفة من الخلاصة فى مختلف الولايات وقام بتشييد العديد من المعابد وأغدق على الوثنيين كثير من المزايا وسعى لاقامة مؤسسة دينية تقف أمام الكنيسة ونصح رجال الدين الوثنيين بأن يتجاوز دور رجل الدين الوعظ الى ايضاح ما تقدمه العقيدة للنفس(٩٤) . ولقيت دعوته أستجابة فقد كان من البرابرة سكان فى الجيش عدد كبير منهم وكتب الامبراطور منشورا الى انطاكية يوضح سياسته(٩٥) .

وبدأ يتخذ خطة مدروسة للقضاء على المسيحية بالوسائل السامية وعن طريق أيجاد الخلافات . فأصدر أمرا باعادة جميع الأساقفة الذين نفاهم الامبراطور السابق ولقد دعاهم لقصره وشاهد صدامهم العنيف ومناقشاتهم وطلب لهم أن يعيشوا فى سلام ولكن كما قال ايميانوس أن هذا تسامحا مصطنعا من جانب الامبراطور نابع عن رغبته فى اثارة الانقسام وتقويض أسس المسيحية . ونقل الى المعابد المنح السخية التى سبق أن كانت تحصل عليها الكنائس وتغاضى عن جميع المزايا التى سبق لهم الحصول عليها . وأعاد فرض الضرائب والخدمة المدنية وسن قوانين تمنع الهبات الضخمة التى كانوا يحصلون عليها . وحرم على المسيحين تعلم النحو

(٩٤) Ostrogorsky : op cit p 47 :

جيبون : اضمحلال الامبراطورية ج٢ ص ٤٤

(٩٥) Ammianus Marcellines trans. J Baynes p 195.

Bidez : la vie de l'empereur julien (Paris 1950).

والبلاغة وقال أن من يحتقروا ديانة اليونان لايحق لهم أن يتمتعوا بمزايا علومهم وأطلق عليهم لقب الجليليين تحقيرا لهم . وقال أن عليهم الاكتفاء بدراسة الانجيل . وكان الأساتذة ينتخبهم الحكام وكذلك كان الأمر فى مهنة الاطباء وأساتذة الفنون الحرة كان التصريح به مرجعه للامبراطور . ولقد ترتب على هذا استقالة المدرسين المسيحيين وفتح المجال أمام الوثنيين ، وتقررت الكتب الوثنية على الطلبة فامتنع عدد كبير من المسيحيين عن ارسال أبنائهم وكان هذا ما يهدف اليه جوليان وهو ايجاد الفرق بين الوثنية المثقفة والمسيحية وعودة الكنيسة الى حالة من البدائية وليتحول المسيحين اجيل من انجهلاء المتعصبين وكذلك أبعد أغلب المسيحين من وظائف الدولة والجيش (٨٦) .

ورغم أن الامبراطور لم يخرق قانون التسامح الذى أصدره فانه كان يتغاضى عن مواقف الوثنيين تجاه المسيحيين . فحينما قام أهل الاسكندرية بقتل الاسقف جورج الكبادوكى اكتفى بارسال رسالة تأنيب الى أهلها التمس لهم فيها العذر وعلى كل فان جورج كان مكروها من المسيحيين والوثنيين على حد السواء ، ولقد أمر الامبراطور بتعويض الوثنيين عن معابدهم بل أمر أن تهدم الكنائس التى اقيمت على اطلال المعابد ومع ذلك فان الامبراطور لم يحقق أمله فى بعث الوثنية وكانت حركته اللهب الأخير فى شعلة الوثنية وكانت تلك الصحوة قصيرة كحياته وظل الجزء الشرقى على تمسكه بالمسيحية .

---

(٨٦) Rendall : op cit p 515 :

جيبون : اضمحلال الامبراطورية جا ص ٥٥٣

Bidez : op cit p 76 :

وفى مجال الاصلاح الادارى بدأ برجال البلاط المحيطين بالامبراطور السابق وعزل العنصر الفاسدة وجعل نفسه المثال لحكام الولايات . فأخضع نفسه لقوانين صارمة وكان يرى أن على الحكم أن يطهر نفسه من جنبها الدنيوى ويثقف عقله ويتبع العدالة . وكان يملى رسائله على قواده وحكامه يوميا واعتاد مناقشة السناتو وكان يجلس فى جانبه ولاته البريتوريين ليضمن سير العدالة . وكان يفرق بين دور القاضى والمشرع ويطالب بالعدالة ولكن الحرب مع فارس لم تتح له فرصة المضى شوطا بعيدا فى اصلاحاته(٩٧) .

الحرب مع الفرس :

قرر الامبراطور خوض الحرب ضد فارس رغم نصيحة مستشاريه بالا يقدم على حرب مع سابور . فوصل الى انطاكية ٣٦٣م ولكن أهل انطاكية أحرقوا معبد دافين ؛ فأثاروا غضب الامبراطور عليهم ثم اتجه بعد ذلك الى هيرابوليس عبر الفرات . ويقال انه عهدو لبروكبيوس بالعرش فى حالة وفاته . وعمد الامبراطور الى وضع خطة حربية للتمويه على الفرس فقد قام بتخزين القمح على طول الطريق التجريز ليوهم عدوه بأنه سيتخذ هذا الطريق فى حين انه قرر اتخاذ طريق الفرات الى قسطمونى (المدائن) وكان فى نفس الوقت قد أمر أسطوله بمعاونة القوات البرية ، وكذلك أمر كل من بروكبيوس وسبتانوس ان يتقدموا ببعض الفرق عن طريق تجريز للدفاع ولحماية ولاية الشرق من الهجوم الفارسى فى حين اتجه هو الى قلب الدولة الفارسية(٩٨) .

---

(٩٧) Ammianus Marcellinus op. cit XVI.

(٩٨) Camb : Med Hist Vol I p 82.

خرج سابور على رأس جيشه لملاقاته ولكن جيش جوليان يبلغ ٦٥ ألف مقاتل وانضم إليه الأسطول الذى يقوده القائد قسطنطيوس. عند ذلك قرر جوليان أن يهاجم العاصمة نفسها والا يهاجم القلاع التى يستغرق فتحها وقتا ورغم قطع الفرس للاهوسة وتدمير بعض الغرق فان الامبراطور تقدم وهزم جيشا فارسيا وأجبرهم على التراجع داخل أسوار المدينة وعرضوا على الامبراطور السلام ولكنه رفض تشبها بالاسكندر فقام الفرس باحراق الاقاليم امامه.

فى Maurang تقدم جيش فارسى تحت قيادة اثنان من أبناء الملك الفارسى وعدد من مقاتليه لمنع الامبراطور من التقدم للعاصمة واستطاع الامبراطور صد الهجوم، وعقدت هدنه لمدة ثلاث أيام عانى فيها الجيش من نقص الامداد ولكن سمع أن هناك هجوم على مؤخرة جيشه فذهب لتفقد الأمر بنفسه ثم استدعى للدفاع عن المقدمه ولكن أصاب سهم لايعرف مصدره ذراع الامبراطور الذى ما لبث أن توفى. واختلف الروايات عن مصدر السهم واشيع ان مسيحى متعصب هو الذى اصابه ورغم ان جوليان اقترن فى الأجيال التاليه بلقب المرتد فاننا لايمكن بأى حال أن نضعه فى مصف الضعاف(٩٩).

جوفيـــان :

لم تمضى على وفاة جوليان ساعات حتى اجتمع قادته لاختيار خلف له للوضـع الحرج الذين كان فيه الجيش لاحاطـة الفرس بهم وتم اختيار جوفيـان قائد الحرس وكانت اخلاقـه على النقيض من جوليان فكان يميل الى الفكاهة محبا للخمر والنساء ذو تعليم متواضع

---

(٩٩) Ostrogorsky; op cit p cit 7:
Camb: Med-Hist Vol 1 p 80:
Hussey : op cit p 23:

وتسرب نبأ مقتل الامبراطور الى الفرس فسارع سابور بالهجوم على الجيش الامبراطورى بنفسه وفى نفس الوقت هاجم الجيش العرب حتى ابى جوبيان ان يجمع لهم الجزية اذ انضموا اليه وحمت عمل الفريق الامبراطورية . واستطاع البيزنطيون صد الهجوم ولكن عود الفرس الهجوم الذى استمر أربع ايام عانى جنود من الجوع والعطش وارسل سابور يعرض السلم ووافق جوفيان وبعد اربع ايام من المفاوضات عقد صلحا لمدة ثلاثين عاما وكان يقضى باستعادة الفرس للولايات الواقعة فيما وراء دجلة والتأكيد على مدينتى نصيبين وسنجار والتعهد بعدم التدخل فى شئون ارمينيا وتركها للفارس ، وكانت هذه الشروط المهينة مثار غضب الجميع حتى أن أحد الجنود صاح انه يفضل أن يقاتل عشر مرات على قبول تلك الشروط وكان دافع الامبراطور لقبول تلك الشروط المهينة الاحتفاظ بقواته سليمة الا ان يصل الى العاصمة ويستطيع مواجهة أى مغتصب قد يتصدى له ولقد بكى أهل نصيبين وتضرعوا الى الامبراطور الا يسلمهم للفرس ولكنهم اصروا على تمسكه بالمعاهدة ولقد رفض اسناتور الرومانى قبول تلك الشروط المهينة(١٠٠) .

جوفيان والمسيحية :

كان أول ما قام به جوفيان بعد توقيع تلك المعاهدة المخجلة وبعد خروجه من نصيبين رفع علم الصليب Labrum بعد أن كان جوليان قد ازال اسم المسيح منه وأرسل منشورا الى الحكام

---

(١٠٠) Camb. Med. Hist. Vol. I p. 25;
Ostrogorsky op. cit. p. 47;
Hussey : op. cit. p. 23.

يقر الديانه المسيحية ويلغى مراسيم جوليان واعاد ما للكنيسة من امتيازات ونظر المسيحيون بعين الترقب الى الجانب الذى سينحاز اليه الامبراطور بين المذاهب المسيحية المتصارعة ولكنه نصح أصحاب الفئات المسيحية المختلفة بالتوفيق وترك الخلاف ثم أعلن ميله الى مذهب نيقيه وأعادته اثناسيوس الى بطريركته فى الاسكندرية وكان جوليان أمر بنفيه •

ولكن لم يستمر حكم جوفيان طويلا • فقد وجد ميتا فى فراشه ١٦ فبراير ٣٦٤ م بعد حكم دام ما يقرب من ثمانية أشهر وقيل أنه اختنق بموقد فحم ورويت قصص أخرى ولكن الارجح انه مات ميتة طبيعية وأصبح العرش خاليا للمرة الثانية ولكن الجيش فى نيقيا اختار فالنتيان كامبراطور •

فالنتيان ٣٦٤ — ٣٧٥ — فالنز ٣٦٤ — ٣٧٨ :

تولى فالنتيان عرش الامبراطورية خلفا لجوفيان(١٠١) ، وفالنتيان فلاح من اقليم بانونيا اشترك فى الجيش وأصبح قائدا فى بريطانيا وعمل تحت امرة جوليان ولكن اختلف معه جوليان بسبب تمسكه بالمسيحية وعزله ولكن لم يلبث أن أعاده • وكان فالنتيان يسعى لأن يتولى أمر الامبراطورية منفردا ولكن الجيش طالب بامبراطور مشارك فقرر أن يتخذ من أخيه فالنز شريكا له وخاصة أن أخاه لم يكن من ذوى الطموح فحكم فالنتيان الغرب وتولى فالنز الشرق •

---

(١٠١) رغم ان فالنتيان وفالنز لاينتسبان الى اسرة قسطنطين فلقد اضفتهم ولم اجعل حكمها اساس اسرة جديدة لان حكمها لايتجاوز عهدها وعهد ابى فالنتيان جراشيان ولا يمثل سمة بارزة فى التاريخ البيزنطى .

ومع ذلك فان وجهات نظر الأخوين تجاه السياسة العامة وأمور العقيدة اختلفت فكان فالنز اريوسي وفالنتنيان من أتباع مذهب نيقية وأدى هـذا الى ضعف الصلة بين القسمين . وتمثل فى الفتنة التى قامت ضد فالنز فور توليه العرش والتى تزعمها بركبيوس القائد السابق فى الجيش الذى كلف بحراسة جثمان جوليان الى طرسوس فاستغل فرصة عدم وجود الامبراطور بالعاصمة وبدأ يتودد للشعب عن طريق اغرائهم بالمال وانضم اليه عدد لا بأس به من جنود الجيش فى جانب الطبقات الشعبية وتقدم الى نيقيا ولم يحاول فالنتنيان ان يمد يد العون الى أخيه بل ركز جهوده على حدوده الغربيـة وترك فالنز يواجه [illegible] منفردا(١٠٢) ومع ذلك فان فالنز استطاع اخماد تلك الفتنة فى [illegible] نيتوبوليس فى ٢٦ مايو عام ٣٦٦ ولم تكن تلك الا أولى المشـاكل التى واجهت امبراطور الشرق(١٠٣) فقد واجهته المشكلة الدائمة وهى مشـكلة الفرس .

الامبراطورية والفـرس :

كان سلام جوفيان قائما تلك السـنوات وفق المعاهدة السابقة والتى كانت تنص على ان توجيه سياسة ارمينيا وفقا لرغبة الشاهنشاه وحرمت بيزنطة من أى تدخل ولم يكن منتظرا أن ترضى بيزنطة بهذا

---

(١٠٢) Alfoldi; Valentinien I er Le dernier des grand pannoniens (Revue d'hist. Comparée 4 (1945) P 8 - 20.

(١٠٣) ostrogorsky : op. cit p 48. Alfold Valentinien p 8 - 20

الموقف(١٠٤) فلم تكف طوال تلك المدة عن ذرء الفتن وانتهى الأمر بانتصار فالنتيان فى معركة Bayavan وعقد سلام فى نهاية صيف عام ٣٧٥ م ، وعاد سابور الى قسطمونى وغفز الى انطاكية •

أما فالنتيان فكان فى تلك الأثناء مشغولا بمشكلة افريقيا وقبائل الكوادى والسرمشيين الذين عبروا الحدود الى الغال ولكنه توفى فجأة فى ١٧ نوفمبر عام ٣٧٥ م بعد عقد سلام مع الماركوماني وتولى خلفه له ابنه جراتيان ، وعد عده البيزنطيون فيما بعد من أقدر أباطرتهم المحاربين •

فالنز والجرمان ومعركة ادريانوبل :

تحول خطر الجرمان فى عهد فالنز الى مشكلة ملحة تهدد أمن الامبراطوريــة اذ تحول هجومهم من مجرد غزوات للسلب والنهب الى محاولة للاستقرار ؛ ولقد واجه فالنز خطر القبائل القوطية حيث ضغطت قبائل الهون على القوط الغربيين مما اضطرهم لطلب الدخول فى أراضى بيزنطـــة ؛ وســـمح الامبراطور فالنز لهم بالعبور ليكونوا ستارا يحمى الحدود الرومانية من خطر الهون ، فعبر ما يقرب من مليون ومائة ألف محارب واستقروا فى عام ٣٧٦ م على الضفة

---

(١٠٤) Baynes : Rome and Armenia in the fourth Century, P 625 - 643.

اليمنى من الدانوب وأعتبر القوط متعهدين بالنسبة للامبراطورية فى مقابل تقديم مساعدة عسكرية(١٠٥) •

وتقدم القوط الشرقيون الى الامبراطور بطلب مماثل للاستقرار داخل الامبراطورية ولكن رفض طلبهم •

وفى عام ٣٧٧م قام القوط الغربيون بثورة ضد الامبراطور ونهبوا الأرضى المجاورة فهاجموا Scupia شمال وجنوب البلقان فى نيقوبولس وبيرويا • وانضم اليهم القوط الشرقيون والهون واللان واجتاحوا تراقيا وامتدت غاراتهم الى مقدونيا • وكان على الامبراطور ان يحسم الأمر بنفسه فعاد من الجبهة الفارسية ووعد جراتيان بالقدوم بنفسه لمساعده فالنز ؛ ولكنه تأخر فى الوصول ووصلت رسالة منه الى الامبراطور يطلب تأخير الاشتباك لحين حضوره • ولكن تحت ضغط قواده واستجابة لنصائحهم وبعد أن بلغه أن قوات الجيش المعادى لا تتجاوز عشرة آلاف • قرر فالنز الهجوم • وفى معركة أدريانوبل فى ٩ أغسطس عام ٣٧٨م انتصر القوط الشرقيون المدعمين باللان ؛ وقتل ثلثا الجيش الامبراطورى وسقط فالنز صريعا فى المعركة مع قواده سبستيان وتراجان ، وكان جراتيان فى طريقه الى فالنز فلما سمع بنتائج المعركة تراجع الى سرميوم(١٠٦) •

---

(١٠٥) Ostrogorsky : op. cit. P 47.
Camb. Med.. Hist. Vol. I p 232.

(١٠٦) Vasiliev. op. Cit. P 87.
Ostrogorsky : op. cit. p 46.

ويذلك انتصر البرابرة فى أول معاركهم الفعلية ضد الامبراطورية وقتلوا امبراطورا رومانيا وقتــل ثلثا جنوده ونهبوا معسكره(١٠٧) وكان من الطبيعى ألا تجد قواتهم أى مقاومة فى طريقها لبقية أراضى الامبراطورية وحاولوا الاستيلاء على قلعة أدريانوبل ولكن منعها من السقوط دفاع القوات العربيــة من الغساسنة عنها ، وبعد ذلك اتجهوا الى سالونيكا ولكن انقذها الكونت ثيودسيوس الذى اختير فيما بعد امبراطورا مشاركا معجراتيان ، ومع ذلك اتجه القوط الى القسطنطينية فقد كانوا يريدون مفاجأة العاصمة ووصلوا الى أسوار القسطنطينية ولكن وجدوا أن حصــار العاصــمة سيكلفهم ما لا طاقــة لهم به فتراجعوا الى تراقيا ثم هاجموا مواشيا واليكريوم ، ولكن جراتيان كان مشــغولا فى حروبــه مع الألمــان فى الراين ومع الفرنجــة والوندال الذين اســتطاع أخيرا الانتصــار عليهم ، وترك أمر القوط للامبراطور ثيودسيوس الذى اختاره كامبراطور مشارك فى ١٩ يناير عــام ٣٧٩ م(١٠٨) .

---

(١٠٧) Lot : Les Invasions Germaniques.

جيبون : اضمحلال الامبراطورية الرومانية ج ٢ ص ٩٨ .

(١٠٨) Bury : Later Roman Empire, P. 98.

الفصل الخامس

أسرة ثيودسيوس الأول

كانت توليته نقطة تحول هامة فى تاريخ الامبراطورية البيزنطية سواء فى الجانب العلمانى أو الدينى ، فلقد شاهد عهده أعنف هجمات القوط والقبائل الجرمانية عامة ، حتى تأكد له أن هزيمة القوط بقوة السلاح مستحيلة ، وأن الاستقرار السلمى هو الحل العملى ولقد استتبع هذا نتائج بعيدة المدى ظهرت فى عهد خلفائه وأهمها : تغلغل القوط فى الجيش وامتزاجهم بالبيزنطيين وسيطرة عدد من قادتهم على الأباطرة وتوجيه أمور الدولة السياسية والحربية مما أدى الى اشتعال العداء ضدهم فى القسطنطينية ، الى جانب أن عهده شاهد انقسام الامبراطورية قسمين شرقى وغربى تولى كل منهما امبراطور وان كان هذا داخل اطار الامبراطورية الموحدة(١) ولكن بدأ يتضح انفصال الشرق عن الغرب حيث استطاع الشرق استيعاب واحتواء العناصر الجرمانية فى حين سقط الغرب أمام جحافلهم وفى عهده اعترف بالمسيحية كديانة رسمية للدولة وحرمت الوثنية ، ومن أجل ذلك حصل من الكنيسة على لقب ثيودسيوس العظيم .

وثيودسيوس كان قائدا فى سواسيا ثم نفى لأسبانيا وأعاده جراتيان وحيث التقى فى ٣٧٨ م بالسرماشيين وهزمهم وطردهم من بانونيا وكانت انتصاراته يتناسب توقيتها مع سلطة [illegible]

---

(١) Hussey : op. cit. p 14.

جيبون : اضمحلال الامبراطورية الرومانية ص ٢ هـ ٦٨ .

Vasiliev : op. cit. P 78.

فأختير امبراطورا واتسعت الأراضي الخاضعة له باضافة داكيا ومواشيا العليا ومقدونيا وأخيرا اليريا الشرقية .

ولقد أصبحت مشكلة الهجرات الجرمانية أهم ما يواجه الامبراطورية البيزنطية حيث تفرغ لها كلا الامبراطورين جراتيان ضد الفرنجة والوندال وثيودسيوس ضد القوط . وقد حقق ثيودسيوس نصرا فى مواشيا عام ٣٨٠ م(٢) .

وحين استؤنفت الحرب تقدم القوط الغربيون فى عام ٣٨٠ م فى الاتجاه الجنوبى الغربى الى مقدونيا فى حين ركز القوط الشرقيون واللان والهون هجومهم على الشمال الغربى ضد بانونيا . ولكن عند التقاء قوات ثيودسيوس بجيوش القوط الغربيين حاقت به الهزيمة واجتاح القوط مقدونيا وتساليا وابيروس واخيا ، وأسرع جراتيان ، بمساعدة ثيودسيوس ، وفى البداية أرسل قواده اربوجاست وبوتو الى الشمال لصدهم وذهب هو لسرميوم ولكن قائد القوط الغربيين Fritigern أجبرهم على التراجع الى مواشيا السفلى . وأمام هذا الخطر اضطر جراتيان لعقد تحالف مع الاعداء قبل أن تدمر أراضيه وتنازل عن بانونيا ومواشيا العليا الى القوط الشرقيين وحلفائهم واستقرار البرابرة على الحدود الشرقية منح الامبراطورية السلام فى الغرب . وأتبع ثيودسيوس نفس السياسة فى الشرق ولكن على نطاق واسع وهى التى عرفت باسم Foedous ففى عام ٣٨١ م أقام ثيودسيوس احتفالا بمناسبة شفائه وتعميده ودخوله

---

(٢) Ostrogorsky : op. cit. P 40.
Hussey : op. cit P 14.
Bury : op. cit P 8.

(٣) Camb : Med. Hist Vol I p 236 .
Leotard . Essei Sur la condition des etablis dans l'Empire romain

القسطنطينية وكان ثيودسيوس محبوبا من الشعب لانه أرثوذكسى فى حين أن فالنز لم يكن يحظى بأى شعبية لأريوسيته . ووصل فى تلك الأثناء زعيم القوط أثناريخ وأتباعه وطلب السماح لهم بالبقاء داخل الامبراطورية واستقبله ثيودسيوس بالترحاب وحدثت مفاوضات انتهت بعقده معاهدة ٣ أكتوبر عام ٣٨٢ م قضت بالسماح للقوط بالاستقرار كمعاهدين فى مواثيا السفلى ولقد بدا كأن كلا الفريقين استفاد من تلك الاتفاقية ، وأنها حققت السلام المرجو للامبراطورية ولكن مع المدى الطويل لم تحقق ما يرجو الطرفان ، فلقد حصل الجرمان على حق التشريع المحلى واختيار أمرائهم والمقاطعات التى يحصلون عليها لا يدفعون عنها جزية بل على الرومان أعانتهم بأموال تدفع سنويا ومنحوا اعفاء من الضرائب وحصل جنودهم على مرتبات عالية وفى مقابل ذلك كان عليهم حماية الحدود واعداد فرق يقودها قادة منهم وبعضهم دخل فى الخدمة المباشرة للامبراطور وفى القرن الرابع والخامس أصبحت قوات الامبراطورية غالبيتها من العناصر المتبربرة .

اما بالنسبة للامبراطورية فانها تعتبر سلاحا مؤقتا فمن الصعب على الامبراطورية تهذيب تلك العناصر وتحويلها لأداه طيعة وجعلهم يشعرون بالولاء للامبراطورية فان الروح العسكرية النظامية كان من الصعب غرسها فى نفوسهم ، بل على العكس استغلوا تلك الفرصة للتوسع على حساب الامبراطورية فاقتطعوا معظم الدانوب ما عدا دوبرودزا الى جانب ان القوط احتفظوا بوثنيتهم والجزء الذى اعتنق المسيحية كان على المذهب الأريوسى فلما أصدر الامبراطور قانونا ضد الهراطقة وعزل الأساقفة الاريوسيين من الكنائس لم يدم السلام طويلا ، وخاصة أن عددا من القبائل القوطية القاطنة فى الدانوب طلبت من الامبراطور أسوة بمواطنيهم الدخول

للامبراطوريه والاستقرار فيها ولكن رفض طلبهم وقد قاد شراب تراقيا بمنعهم من عبور النهر وانتصر عليهم(٤) .

ولقد نتج عن هذا النظام زيادة نفقات الدولة ومعظم المزارعين اقتصاديا تحملوا أعباء مالية لا يستطيعونها وكان هذا سببا دفعهم لأن يضموا انفسهم تحت حمايـــة كبار الملاك وتنازلوا عن حريتهم لساداتهم مقابل ما تحملوا عنهم من أعباء وعند نهاية القرن الرابع أصبح هذا الوضـــع شائعا .

المسيحية كديانة رسمية :

ظلت القسطنطينية خضعة لمدة أربعين عاما لمذهب الاريوسى الى أن تولى ثيودســـيوس ، ولقد عمد ثيودســـيوس فى سالونيكا عام ٣٨٠ م واختار أسقفا أرثوذكسيا هو جريجورى نازيانزن وتلى ذلك اصداره مرسوما يأمر أتباعه بقبول العقيدة الصحيحة وهى التى أقرها مجمع نيقية والتى وافق عليها آباء روما والاسكندريـــة ، وأمر بتسليم الكنائس الاريوسية فى القسطنطينية للارثوذكس ومنع الهراطقة من تملك أماكن دينية فى العاصمة ، وعقد مجمعا فى عام ٣٨١ م فى القسطنطينية وترأسه ميلتيوس أسقف أنطاكية ولقد أطلق على هذا المجمع لقب مجمع مسكونى بعد سبعين عاما ولم يعترف به فى الغرب الا فى القرن الخامس وذكر المجمع أن (الابن) من نفس جوهـــر (الأب) وكان من قرارات ذلك المجمع أن بطريرك القسطنطينية يلى أسقف روما فى المكانة ، ولكنه منع الكنيسة من حق ايواء المذنبين لماترتب

Vassiliev : op. cit p 87.

Vinogradoff : Social and Economic conditions p 542.

جيبون : اضمحلال الامبراطورية جـ ٢ ص ٩٩ .

السيد الباز العريني ـــ الدولة البيزنطية ص ٣٧ .

على هذا الحق من مساوىء وحرص أن يكون الامبراطور المتحكم الوحيد فى شئون الكنيسة(٥) • وعقد مجمع بعد ذلك بعامين أصدر قرارات ضد الهراطقة ، ولقد بدأت فى عهدة فترة اضطهاد للوثنيين وتدمير لمعابدهم وكانت المناصب الكهنوتية فى الامبراطورية من عهد نوما الى عهد جراتيان تتوارثه عدة هيئات فألغيت جميعها واعتبر ثيودسيوس تقديم القرابين عمل اجرامى سيىء • ولقد أمر حاكمه البريتورى فى الشرق الكونت جوذينوس وقائد جوفيوس وهما ضابطان برتب رفيعة فى الغرب باغلاق المعابد والاستيلاء على أدوات العبادة ومصادرة الاملاك الموقوفة عليها لصالح الامبراطور والكنيسة والجيش وقام الرهبان ورجال الدين بتوفير أغلب الأماكن الدينية • ففى سوريا سوى ثيودر أسقف افاميا الأرض بمعابدها الفخمة وكذلك فعل أسقف تور فى الغال ، اما معبد فينوس فى قرطاجة فقد حول الى كنيسة ودمر معبد سرابيس فى الاسكندرية ونهبت المكتبة(٦) •

ثيودسيوس امبراطورا منفردا :

اثارت سياسة جراتيان التذمر بين القوات الرومانية اذ أن جراتيان لم يكن يتمتع بمواهب القائد العسكرى فثار عليه مكسيميوس فى بريطانيا وهزمه قرب ليون قبل أن يخف ثيودسيوس لنجدته واغتال مكسيميوس جراتيان فى ٢٥ أغسطس عام ٣٨٣ م ولكن رفض ثيودسيوس الاعتراف به وهزمه ثم قتله وولى فالنتيان

---

(٥) Bury : op. cit p 349.
H. Gregoire : The Byzantine Church, p 94.

(٦) جيبون : اضمحلال الامبراطورية جـ ٢ ص ١٤٣ .

(٧) لم يكن جراتيان تستهويه الأمور السياسية فضل قضاء وقته فى الرياضة وصيد الوحوش .

ولكن ثار عليه أربوجاستس أحد قواد جراتيان وتخلص من فالنتنيان بخنقه وأدعى أن الامبراطور تخلص من حياته ليأســه(٨) ولما كان فرنجى الأصل لا يستطيع ان يلى العرش ، فكر أن يحكم مستترا وراء اسم أحد الرومان فاختار أمين سره الخاص الذى رفعه الى منصب رئيس الديوان وهو Eugenius • ولقد سارع اربوجاستس بارسال سفراء ثيودسيوس ليحصل على تأييده لارتقاء يوجينيوس العرش كأغسطس مشــارك • وكان من الطبيعى أن يرفض الامبراطور تأييد المغتصب وخاصة أنه كان زوجا لشقيقة فالنتيان ولكنه أعاد الرســل باجابات مبهمــة فى حين أعد العدة للقتــال وتولى قيــادة جيشــه كل من ستليكو وتيماسيوس وضــم الجيش اخلاطا شتى من جرمان وعرب وحدثت المعركة الفاصــلة فى المنطقة بين Aemona واكوليا وعلى ضــــفاف نهـــر فريجيــدوس فــكان جيش أربوجــاستس فى الســـهل أما جيش الامبراطــور فــكان يعســكر على ربوة مرتفعــة وبــا أرســل أربوجاستس قــوات لاحتــلال الممرات انضمت الى الامبراطور وانتهت المعركة بانتصار الامبراطور ومصرع عشرة آلاف من القوط وجنود الغال ومصرع يوجنيوس الذى قتله جنود ثيودسيوس وانتحــار أربوجاستس وبذلك أصــبح ثيودسيوس الحــاكم الوحيد للامبراطورية •

ولقد نفى عدد من أنصارهما الى الولايات الغربية نتيجة لشفاعة القديس امبروز أسقف ميلان ، بل أصــدر أيضـــا عفوا على وزراء الامبراطور المغتصب بعد أن جردهم من وظائفهم واعتبر انتصـــاره

---

(٨) عند وفاة فالنتيان الأول كان جراتيان بعيدا عن العاصــمة فى Trier فاختار القواد اخاه الطفل فالنتيان الثانى امبراطورا ولكن عند وصول جراتيان الى العاصمة سيطر على الدولة واختفى اسم فالنتيان الثانى الى ان تولى عام ٣٨٣ حيث ظــل فى اللبريا تحت وصــايه أمه جستينيا .

انتصارا للمسيحية ولكن تلك الحروب أثرت على صحته ولقد توفى بعد عدة أشهر وهو لم يتجـاوز الخمسين عاما فى ١٧ من شـهر يناير عام ٣٩٥ م (٩) •

خلف الامبراطور ولداه اركاديوس وهنريوس وبرغم أن الامبراطور جاء من عائلة أو عشيرة من أقصى الغرب ولكنه عرف أهميـة الشرق وكان مثل كل من قسطنطين الأكبر الذى وضع ابنه الأكبر حاكما على بريطانيا وغاليا وفالنتيان الذى احتفظ بالغرب لنفسه وأعطى الشرق لأخيه الأصغر • فثيودسيوس(١٠) جعل ابنه الاكبر اركاديوس الذى كان يلي أمر القسطنطينية أثناء خروج والده لقتال يوجينيوس حاكما للشرق وجعل الغرب لهنريوس وولاية داكيا المتنازع عليها هى ومقدونيا ضمهما الى الشرق وأصبحت جزءا من ولاية اليريا مع سالونيكا كمركز لها(١١)• وأخذ بانونيا وضمها الى الغرب فالأحداث التاريخية أعادت رسم الحد الفاصـل بين الشرق وبيزنطة وروما • وهـذا التقسيم لم يؤد الى تغيرات جذريـة فرغم تقسـيم الدولة قسمين فانه لم تكن هنـاك امبراطوريتان بل امبراطورية واحدة مقسمة تحت حكم اثنين من الأباطرة والقرارات تصدر غالبا باسم كلا الامبراطوريين وقرارات كل منهما تنفذ فى الشطر الآخر فاذا مات أحد الأباطرة وترك العرش فمن حق الآخر أن يخلفه ولكن فى التطبيق العملى لم تكن هناك رابطة قوية بين

---

(٩) Ostrogorsky : op. cit. p 49.
Demougeot : De l'unite a la division de l'Epmire Romain. p
Vasiliev : op. cit p 92.
395. 410.

(١٠) Grumel : l'Ilyricum de La mort de valentinien l'er a la mort de Stilicon 5.

(١١) Ostrogorsky : op. cit., P 49.

الشطرين واتخذت الأحداث فى كل من الشرق والغرب اتجاها مخالفا وغالبا ما كانت تلك العلاقة أبعد ما يكون عن الود والصداقة(١٢) ٠

ولقد كان هناك خلاف فعلى بين خلفاء ثيودسيوس أو بمعنى أصح من يتولى الحكم باسمهما ٠

اركاديوس Arcadius ٣٩٥ ــ ٤٠٨ : هنريوس Honorius ٣٩٥ ــ ٤٢٣ :

حكم اركاديوس الشرق وهنريوس الغرب ولكن الادارة الفعلية كانت فى أيدى رجال البلاط ويقال ان ثيودسيوس هو الذى سعى لايجاد هؤلاء الحماة لصغر سن أولاده فاركاديوس لم يكن يتجاوز السابعة عشرة وهنريوس التاسعة(١٣) ولقد سعى ثيودسيوس لأن يكون هذا الوصى أو الحامى لابنه على صلة بالأسرة ، و لقد فوض ذلك للقائد stilicho وهو ضابط من الوندال رفعته مواهبه العسكرية وما أداه من خدمات فى ايطاليا وزوجه من قريبة Sererta وجعله يشرف أثناء حياته على اركاديوس ، اما هنريوس فكان يدير أمره الوالى البريتورى Flavius Rufinus مواطن فى اكوتين ، وكان الرجل واسع الأطماع حتى قيل انه كان يطمع فى عرش الامبراطورية نفسها كشريك لاركاديوس ٠ وكان من الطبيعى أن ينشب الصراع بينه وبين ستليكو الذى سيطر على الامبراطور الغربى ٠ وكان يحقد عليه لزواجه من قريبة الامبراطور فسعى لزواج ابنه Eucherius

---

(١٢) ولد اركاديوس عام ٣٧٧/٣٧٨ م وكان قنصلا منذ عام ٣٨٥ م اما هنريوس فولد فى عام ٣٨٤ م ٠

(١٣) Demougeot : De l'unite ala Division de l'Empire Romain P 93.

من شخصية الامبراطور جالا بلاسيدا وترويج الامبراطور ابنته(١٤) ولكن ظهر له عدو في البلاط هو الخصى Eutropius الذى أخذ يحيك المؤامرات ضد روفينوس ثم زوج الامبراطور من فتاة فريدة الجمال هى ابنة بوتو الفرنجى الذى كان أحد ضحايا روفينوس والذى كان قائدا للجند وأقوى رجال ايطاليا أثناء حكم فالنتيان الثانى، وكان هذا الزواج ضربة لهيبة روفينوس ولكنه ظل يحتفظ بوضعه(١٥).

ولقد أثبتت سياسة ثيودسيوس فشلها فقد استغل القوط ضعف الحكام فقاموا بقيادة ملكهم المنتخب الرك الذى كان أحد قواد ثيودسيوس واجتاحوا تراقيا تعبيرا عن غضب الرك لعدم حصوله على لقب Magister Militum وتقدموا الى القسطنطينية فى نفس الوقت الذى اندفع فيه الهون الى القوقاز وآسيا الصغرى وسوريا فهددوا انطاكية وصور • واضطر روفينوس الى الذهاب لمعسكر القوط للمفاوضة ووافق القوط على التراجع الى مقدونيا وبعد اشتباك مع القوات المحلية فى بينكوس اتجهوا الى تساليا •

ولكن ستليكو الذى كان يرغب فى خلع روفينوس وضم شرق اليريا الى الامبراطورية الغربية أدعى التدخل للوساطة ، وكانت المشكلة ترجع أصلا الى عام ٣٧٩ م فولاية اليريا التى تضم اليونان وثلث البلقان كانت خاضعة للجزء الغربى ولكن جراتيان ضمها لشريكه ثيودسيوس وأصبح الخط الفاصل عند Singidun ويتجه غربا الى نهر سيواس ثم الى الجنوب الى درنه وينتهى فى Scutari

---

(١٤) Grumel : op. cit: P 5:

(١٥) Bury : op. cit p 5:
Dmeougeot : Note Sur la politique Orientale de Stilicho. P 2:

وبذلك انتقلت ادارتها الى الجزء الشرقى ولكن ستيلكو ذكر أن الامبراطور يرغب فى أن يعاد التقسيم الأول الى الغرب وكان هدفه بسط سلطانه على مناطق جديدة فى الامبراطورية ، واضعاف نفوذ روفينوس وخاصة أن أفضل جنود الامبراطورية كانوا من البلقان من القرن الرابع الى السادس(١٦) .

وكان من الطبيعى ألا يسلم روفينوس بتلك الطلبات بدون قتال وقاد ستيلكو جيشه عبر ابيورس الى تساليا وقاتل القوط الغربيين ولكن روفينوس خشى أن يحقق ستليكو انتصارا منفردا على القوط وبتأثير منه أصدر الامبراطور أمرا منفردا بأن يترك ستليكو القيادة الى قيادة شرقية وأن يأتى بمن معه الى القسطنطينية . وكان ستيلكو قد وصل الى وادى تيبيوس وشعر آلرك بعجزه أمام قوات الإمبراطورية فأبدى خضوعه وطالب ستيلكو ضم اليريا وكان من الممكن أن ينتصر على آلرك ويحقق ما يريد ، ولكنه فضل الاستجابة لأمر الامبراطور اركاديوس بالانضمام للجيش الشرقى وربما يرجع هذا الى ان زوجته وابناءه كانوا بالقسطنطينية ومن الممكن اتخاذهم رهائن وأعطى القيادة لجانياس القوطى ولكن تفاهم ستليكو مع جانياس ضد روفينوس وذهب جانياس الى القسطنطينية وكان من المفروض أن يخرج الامبراطور وحاشيته لتلقيه وفق التقاليد فى ساحة مارتيوس فى الهبدروم ويقال انه أراد أن يجعل من نفسه امبراطورا مشاركا ولكن تخلص الجنود منه بالقتل فى ٢٧ نوفمبر ٣٩٥ وحملت جثته وطيف بها فى شوارع القسطنطينية دلالة على ما كان يكنه له الاهالى من كراهية . ولقد خلفه الخصى اوتروبيوس كمستشار للامبراطور وكان

---

(١٦) Bury : op. cit P 107:
Camb : Med. Hist: Vol I P 268:

لا يختلف عن روفينوس فى جشعه وسـوء سيرته ويعتبر حكمه من أسوأ الفترات فى التاريخ البيزنطى فقـام ببيع الوظائف واستعان باثنين من المستشارين أحدهما غزل صوف والآخر طبـاخ ولجشعه للمال قام بمصـادرة كل ذى ثروة أو من يختلف معه ولم يستثنى من هـذا Abundantius الـذى كان له عليـه فضـل كبير و Timasius الذى كان قـائدا عاما فى الشرق • وكان من خروجه أن يكون على علاقة طيبة مع ستيلكو ليدعم وضعه : ولكنه كان كريفينوس يخشى أطمـاع ستيلكو واضـطر ستيلكو للتراجـع للغرب وترك الشرق تحت رحمة الرك وقواته التى اجتاحت ثرموبلاى وبيوتيا وطيبة ودخل اثينا وهاجم كورنثه وارجوس وخـلال أعوام ٣٩٥ ــ ٣٩٨ أصبحت شبه جزيرة البولبونيز تحت رحمته •

وفى ربيع ٣٩٧ م أعد ستيلكو قواته للتصـدى للقوط وانقاذ الامبراطورية فابحر من ايطاليا وحاصر القوط فى اليس فى كورنثه ولكن الاخطار التى أحاطت بالغرب اضطرته للتراجع وان كان قد عقد اتفاقا تراجـع بمقتضـاه الى اليس وتفاهم اتروبيوس نيابـة عن اركاديوس مع القوط حيث منح الرك لقب قائد جند اليريا(١٧) •

ولقد حاول اتروبيوس منع المؤامرات ضده باستخدام وسائل العنف والقهر فاصـدر مرسوما بتوقيع عقوبة الاعدام على كل من يتآمر مع الجنود أو مع البرابرة ضده أو ضد مساعديه وفى تلك الأثنـاء ثار عليـه القوط الشرقيون بزعامـة تريبجيـد Tribigild وجانياس رئيس المستعمرات القوطية فى فريجيا • وفى نفس الوقت قرر ستيلكو الاتجاه الى بلاد اليونان بجيش فأعلنه اوتروبيوس عدوا

---

(١٧)
Bury : op. cit P 120.

عاما عن طريق الضغط على الامبراطور والسناتو وبتحريض من الامبراطورة أوديكسيا زوجة اركاديوس وخاصة أن هناك مشاكل عديدة تواجه الامبراطورية وهناك شبكة حضرية والنبيه واجتياح الهون لتراقيا الذى أورد تفصيلا عنه بتقديس حجويه ثم محاولة الملك الفارسي ضم خمسة استربيت شمس تجريز ونفى أوتروبيوس الى قبرص ولكن جانياس تخلص منه بقتله • وأعلنت أوديكسيا أوغسطا فى أول يناير ٤٠١ ولكن ما لبث أن نشب خلاف بينها وبين جانياس القوطى فقد كان هناك صراع بين الاخوين أوريليان وتيفوس على منصب والى الشرق وأيد جانياس Typhos ولكن تغلب أوريليان • وعد هذا تأييدا للحزب المعادى فى القسطنطينية وكان هذا التصرف دافعا لجانياس القوطى أن يسفر عى وجهه الحقيقى ، فالتقى مع تريباجيلد على شواطىء البلبونيز وطلب مقابلة الامبراطور الذى التقى به فى خلقدونيا ومنح لقب قائد عسكرى وأمر أن يسلم اليه أوريليان وستورنينوس وهما صديق الامبراطورة كرهائن(١٨) ، وعزل أوريليان ثم قتل • ولكن ذهب البطريرك اليه لانقاذ حياة الرهائن غلم بقتلهم ولكن أنزل بهم عقابا شديدا ثم دخل القسطنطينية بجيشه وظل هناك سته شهور حيث تمادى فى تصرفته مما أثار عليه غضب الامبراطور والكنيسة والشعب ، حين حاول الاستيلاء على بعض الكنائس لصالح الاريوسيين ولكن رفض البطريرك وأركاديوس طلبه وأعتقد أهل القسطنطينية أن القوط سيهاجمون القصر الامبراطورى وأمام الخوف من غضب الشعب فأن جانياس ترك العاصمة وأقام فى احدى الضواحى وأمر رجاله بأن ينضموا اليه والجزء الأكبر ترك المدينة وقام أهالى المدينة بقتل البرابرة

Bury : op. cit p 133.
Ostrogorsky : op. cit. p 50. ١٨

بكل سلاح وجدوه تشفيا من غضبهم وأغلقت الأبواب على القوط الذين بقوا فى العاصمة وقام الأهالى بذبحهم وكان عددهم يبلغ عدة آلاف وأعلن اركاديوس جاينس عدوا عاما ، وأرسل حرسه لمعاونة الشعب فى التخلص من القوط وهرب القوط الى الكنيسة التى أعطاها البطريرك لمن اعتنق الأرثوذكسية منهم وأحاط بهم الجند وحطم الأهالى سقف الكنيسة و ألقوا عليها خشبا مشتعلا فأحرقتهم وفشلت ثورة جاينس وتريبجيلد(١٩) واضطروا للتراجع الى آسيا وتراقيا ، ولكن وضع فرومن أسطولا فى طريقهم فغرق عدد كبير منهم وهرب جاينس عبر الدانوب حيث قتله أحد قادة الهون وأرسلت رأسه الى الامبراطور فى يناير ٤٠١ .

وإذا كان شعب القسطنطينية قد استطاع التخلص من العناصر الجرمانية فان القضاء على القوط قد أدى الى ترك الشرق بلا قوة فعلية تدافع عنه فاجتاح الايسوريون آسيا الصغرى وسوريا وأخذوا سلوقية وعبروا لقبرص .

الامبراطورية والكنيسة (حنا فم الذهب) :

أصبحت الامبراطورة أودكسيا صاحبة النفوذ الأولى فى الدولة ولم يكن هناك من يجروء على معارضتها لسيطرتها على زوجها ضعيف الشخصية ، الوحيد الذى تصدى لها كان حنا فم الذهب وكان قسيسا فى انطاكية ثم أعجب اتروبيوس بعظاته أثنـاء زيارته الى المدينـة فاستدعاه الى القسطنطينية حيث أصبح بطريركا فى ٢٦ فبراير ٣٩٨م .

وكان حنا فم الذهب متشـددا فى عقيدته يرفض الترف الذى تعيش فيه القسطنطينيـة وكان ينذر بانحـلال المجتمع المسيحى اذا

(١٩) Camb. Med. Hist vol I p 566.
Demougeot : op. cit p 30.

استمر فى أوضاعه تلك(٢٠) ، ووجه عظاته ضد الأغنياء والحكام والوزراء والخصيان المقربين وسيدات البلاط بل سب الامبراطورة وهاجمها ووصفها بأنها Herodis, Jezebel وهما ملكتان اشتهرتا بسوء السلوك والخبث وخاصة بعد البذخ الذى انفق على حفل تتويجها العسط ولم تكن الامبراطورة تستطيع ان تواجهه منفردة فلجأت الى مساعدة أسقف الاسكندرية وبعض رجال الدين الذين سبق له مهاجمتهم الى جانب عدد كبير من الرهبان • وحضر ثيوفيلوس أسقف الاسكندرية وعدد من رجاله من مصر وسوريا وآسيا(٢١) • وعقدوا مجمع تحت رعاية الامبراطورة وزوجها سنة ٤٠٣ م ووجهت اليه قائمة من الاتهامات •

وقد رفض حنا المثول أمام المجمع حيث اتهم ببيع المرمر المخصص لكنيسة القديس انثاسيوس كذلك اتهم بالاساءة لبعض رجال الكنيسة ، ثم بعض التهم الشخصية التى تمس سلوكه كاستقباله امرأة ثم عزله لبعض اساقفة وتعيين غيرهم دون ابداء أسباب • وأرسل قرار ادانته الى الامبراطور الذى وقع عليه وقرر عزله ونفيه الى البحر الأسود • ولكن الشعب ثار وأعلن تاييده للبطريرك فقد أحاط أهلى القسطنطينية بكنيسة ايا صوفيا ورفضوا تسليم البطريرك وقاوموا الجند لمدة ثلاثة أيام وخطب فيهم حنا وقال فى خطبته : ان الامبراطورة لقبتنى بالرسول الثالث عشر واليوم تنعتنى بجوديا(٢١) • ولم يستطع الجند القبض عليه وترحيله الى Euxine الا خلال الليل • ولما اكتشف الشعب سفره انفجرت ثورة شعبية

---

(٢٠) Hearsey : op. cit p 31.

(٢١) جيبون : اضمحلال الامبراطورية ص ج ٢٣١ •
Bury : op. cit p 154.

أجبرت الامبراطورة على اعادته بعد أيام ولتبرير موقفها أمام الشعب
[illegible] ية نفيه على مستشاريه وذكرت أنها مخلصة لتعاليمه ولا تنسى
تعميده أولادها . وذكرت أنها رجت الامبراطور العفو عنه « لقد فقدنا
[illegible] أعده لنا [illegible] الامبراطورية » (٢٠) ولقد سعى
الامبراطور [illegible] مركزه بعقد مجمع دينى . ولكن ما لبث أن تجدد
[illegible] الامبراطورة حين أقام الوالى Simplicius صورة فضية
للامبراطورة فى منتصف (Augusteum) المواجه للكنيسة وأقيم
حفل دان يتضمن موسيقى ورقصا مما اعتبره البطريرك عودة
لوثنية واحتج على هذا فاعتبرته الامبراطورة تصرفا موجها اليها
شخصيا فتآمرت ضده مع أعدائه ، وخاصة أسقف جبيل سفريان فعاد
[illegible] لمهاجمتها ووصفها بهرودا التى تريد رأس يوحنا المعمدان .
وطلب حنا عقد مجمع عام وقبلت الامبراطورة لأنها أرادت جمع
معارضيه . وأرسل أسقف الاسكندرية أتباعه وطلب منهم المعارضة
على أساس قرارات مجمع انطاكية ٣٤١ وهو يتضمن أن أى رجل
دين صدر ضده قرار بعزله من مجمع دينى لايحق عودته ثانية الى
العمل . وعقد مجمع ٤٠٤ وبعد شهرين حرم أثناءهما من ممارسة واجباته
الدينية بوصفه أسقفا معزولا صدر قرار بنفيه ، وخاصة بعد اشتعال
النيران فى كنيسة آيا صوفيا وعدد من المبانى وأرجع هذا الى
حنا فم الذهب(٢٣) . وظل حنا ثلاث سنوات فى كوزيكوس ثم
نقل الى Arabissus ثم الى لينتوس حيث توفى فى
١٤ سبتمبر ٤٠٧ م وما لاقاه حنا من معاملة تسببت فى خلاف بين
القسطنطينية ورافنا ، واجتمع مجمع فى ايطاليا أيد حنا ثم طلب البابا

---

(٢٢) جيبون : اضمحلال الامبراطورية جـ ٢ ص ٢٣١ .

Tozer : The church and the Eastern Empire.

(٢٣) انظر Adeney : The Greek and Eastern Church.

بعقد مجمع عالم فى سالونيكا ، وكتب هنريوس تحت تأثير البابا انوسنت عدة رسائل الى اركاديوس يذكر فيها أن أمور الكنيسة يجب أن ترجع لرجال الدين لا للأباطرة ولكن الوسل عوملوا معاملة سيئة ونفوا فى أحد سجون تراقيا فترة ثم أعيدوا لايطاليا فى ٤٠٦ ولم يحاول هنريوس أو انوسنت التدخل ثانية وترك حنا فم الذهب مصيره . ولم تتمتع أودكسيا بثمرة انتصارها اذ توفيت بعد ٤ أشهر فى ١٦ أكتوبر ٤٠٤ . وبعد وفاتها انتقل تصريف أمور الدولة الى الوالى انثاميوس ولكن الامبراطورية لم يكن لديها القوة الكافية لمواجهة المشاكل العديدة فهناك القبائل الليبية الايسوريون الذين اعتادوا اجتياح أراضى الدولة .

ولقد انتعشت آمال ستيلكو فى السيطرة على الجزء الشرقى باتفاقه مع ارك ملك القوط ضد الشرق وأغلق الوالى الميناء ضد السفن الشرقية . وقام الرك بدوره باجتياح ابروس ولكن قام مغتصب ضد هنريوس يدعى قسطنطين واتجه الى الغال فاضطر ستيلكو الى تأخير حملة الشرق وأدى هذا الى ترك الولايات الشرقية لالرك وتوفى أركاديوس فى أول مايو ٤٠٨ وترك ابنا هو ثيودسيوس ولم يكن يتجاوز السابعة وكان شريكا لأبيه فى الحكم ورأى ستيلكو أن الوقت مناسب لاعادة مشروعه القديم بارسال الرك الى الغال واتجاهه هو الى القسطنطينية كممثل لهنريوس ولكن الفريق المعادى دبر مؤامرة أثارت عليه الامبراطور فقتل فى ٤٠٨ . وأعيد فتح الموانى مع الشرق واستعاد الغرب علاقات الودية به(٢٤) .

---

(٢٤) جيبون : اضمحلال الامبراطورية ص ٢ ج ١٦٨ .
H. Gregoire : The Byzantine Church p 96.
Camb. Med. Hist. Vol I p 462.

ثيودسيوس الثانى :

... عرش الامبراطورية فى السابعة وكان من حق هنريوس ان يطلب الوصاية على ابن أخيه ولكن ضعفه جعله يتغاضى عن هذا الطلب اما رعاية الامبراطور فكانت فى يد الخصى انتيوخس وادارة أمور الدولة كانت فى يد انثيميوس والى الشرق وكانت فترة حكمه من الفترات التى نعمت فيها الامبراطورية بالهدوء • وطوال فترة حكم ثيودسيوس كان خاضعا للوصاية سواء مباشرة أو غير مباشرة •

ففى الفترة الأولى خضع لانثيميوس وفى الفترة الثانية خضع لسيطرة اخته التى حصلت على لقب أوغسطا وهى فى السادسة عشرة، ولقد حكمت الامبراطورية ما يقرب من أربعين عاما وبعد وفاة أخيها حكمت تحت اسم زوجها مارقيانوس ولقد فضلت بولكريا حياة العفة والعذرية •

وكان ثيودسيوس معتدلا عفيفا لكنه ضعيف الشخصية محجوبا عن العالم الذى حوله بستار من الأشخاص وكان يهوى البحث محاطا بحاشية من النساء والخصيان وفى فترة من الفترات خضع لتاثير زوجته أودكسيا . ولكن ما لبث أن استعادت بوليكريا سلطانها • أودكسيا كانت ابنة الأستاذ بيان وثنى وشخصية هذه الملكة توضح الوسيلة التى تعايشت بها المسيحية جنبا الى جنب مع العلوم القديمة فضلا عن المحافظة على التراث الحضارى لمدنيتها الأولى حيث كانت من أتباع الدين الجديد أيضا(٢٥) •

---

(٢٥) Vasiliev , op. Cit., p 97.

انظر ايضا

Mommsen, Hist. of Rome. Eng. Trans.

انثيميوس ٤٠٩ — ٤١٤ م :

فى الفترة الأولى من حكم ثيودسيوس التى تولى فيها انثيميوس نعمت البلاد بفترة سلام فانتهى خطر الغرب بموت ستيلكو • أما الجانب الشرقى أو المشكلة الفارسية فقامت علاقات سلام • ولم تحدث اختراقات ايسورية لأراضى الامبراطورية بل وجدوا أنه من الممكن ارسال قوة الى الغرب لمساعدة هنريوس ضد الرك وحاربوا الهون بقيادة الدون وطردوهم عبر الدانوب • ودعم انثيميوس الاسطول فى الدانوب ٤١٢ م ، وخفض الضرائب فى اليريا والشرق وأعاد تحصين المدن ، وتنظيم امداد القسطنطينية بالمؤن والجند • ولكن العمل الذى خلد انثيميوس هو بناء السور الغربى للقسطنطينية من propontis الى القرن الذهبى • ولكن فى ٤١٤ توفى انثيميوس وتولت بوليكريا السيطرة على أخيها(٢٦) •

بوليكريا :

لم تكن بوليكريا قد جاوزت السادسة عشرة حين تولت الاشراف على أخيها وكان طبيعيا أن تضطرب أمور الدولة ويعاد الاضطهاد وبيع الوظائف وثارت الفتن فى الولايات وخاصة فى الاسكندرية التى وصل تعدادها الى ٦٠٠ ألف ولم تهدأ فيها الاضطرابات حتى وصفها الرومان بأنها أكثر ولاياتهم شغبا ، وأن أهلها حادى الطباع لايمكن السيطرة عليهم بسهولة • فنشبت الصراعات بين السلطة ومواطنى الاسكندرية وبين المسيحيين والوثنيين واليهود وبين الأسقف Cyril والادارة البيزنطية فنتجية لازدياد الشعور المعارض للوثنية صدر قانون ضد الوثنيين فى ٧ ديسمبر ٤٠٨ يمنعهم من تولى

---

(٢٦) Hearsey, City of Constantine p 39.

الوظائف العليا فى الجيش ، وثار الكونت Plintha فى فلسطين ٤٠٨م وهوجم الوالى انثيميوس فى ٣٠ فبراير ٤١٩ م الى جانب نشوب الاضطرابات فى مدن الشرق الأخرى . وفى أرمينيا جعل يزدجرد أخاه ملكا واستعدت الفرق الرومانية(٢٧) .

ولا نستطيع أن نضع خطا فاصلا يحدد نهاية حكم بوليكريا ؛ فلقد ظلت مسيطرة فى الخفاء تعمل وكان يعاونها وزيرها Monaxius ولما بلغ الامبراطور العشرين قررت اختيار زوجة له فاختارت له Athenais وهى امرأة جميلة وذكية قدمت للقسطنطينية لنزاع بينها وبين اخوتها على تركة ولجأت الى بلاط بوليكريا وكانت وحيدة بلا أصدقاء وأعجبت بها بوليكريا لثقافتها وجمالها فقررت أن تزوجها لثيودسيوس وفعلا تم الزواج بعد اعتناقها المسيحية وحملت اسم أودكسيا فى ٤٢١ م . وكانت أودكسيا أديبة ولها أشعار ودراسات . ويعود الفضل اليها فى احياء جامعة القسطنطينية . ولم يكن من المنتظر ان تتقبل أودكسيا سيطرة أخت زوجها بسهولة بل سعت الى التخلص منها والانفراد بالأمر وحققت ما أرادت رغم أن بوليكريا انتصرت فى مجمع افسوس ٤٤١ ولكن تلى ذلك ضعف تأثيرها واضطرتها مؤامرات البلاط الى ترك القصر ، وأصبح تدبير الأمور موكولا الى أودكسيا التى عينت Cyrus كحاكم للشرق ووال للمدينة ولم يكن كيرس مسيحيا بل هايينيا وهو أول من اصدر قرارات باليونانية . وكان شاعراً ومثالا وأهتم بتجميل العاصمة وتزيينها وتجديد مبانيها حتى قال أهالى القسطنطينية اذا كان قسطنطين قد بنى المدينة فان كيرس

---

(٢٧) جيبون : اضمحلال الامبراطورية ص ٢ ج ١٦٨ .

Bury : op. cit p 219.

Ostrogorsky : op. cit p 51.

قد جددها ، ولكن لم تلبث أن استعادت بوليكريا وضعها نتيجة لتآمرها مع الخصى Chrysophius ضد الامبراطورة وتخلصوا من أعوان أودكسيا كيرس وويليبوس الذى اتهم بأنه على علاقة بالامبراطورة فأرسل الى قبادوقيا حيث قتل هناك ٤٤٤ بناء على رغبة الامبراطور أما الامبراطورة فانسحبت من العاصمة وذهبت الى أورشليم ٤٤٣ م حيث عاشت هناك الى وفاتها منصرفة لبناء الكنائس والأمور الدينيـة(٢٨) .

اما الفترة التالية فكان التأثير الفعلى فى يد الخصى Chrysophius وشهدت هذه الفترة فى الشرق حروبا مع فارس ، وفى الغرب مع الرك وبعد مصرعه مع الهون بقيادة اتيلا فقد هاجم الهون تراقيا . كذلك هزم البيزنطيين على يد القوط ٤٤٧ م واضطروا لمصالحتهم حيث منحوا القوط شروطا مجزية وجزية . وهدد الايسوريون المناطق المجاورة للقسطنطينية فدعوا للدخول القسطنطينية بقيادة رئيسهم زينون Zenon الذى منح لقب Magister Militeum . وبدأ الفرس فى اعداد حملة ضد بيزنطة . اما ليبيا فقد ثارت قبائل الحدود وهدد الوندال البحر الأيونى وكان على المجموعة التى تحكم باسم الامبراطور مواجهة هذه المشاكل، ولكن توفى الامبراطور مجأة فى ٢٦ يونيو ٤٥٠ م نتيجة لسقوطه من على حصان وترك اختيار خليفته للاوغسطا بوليكريا التى وقع اختيارها على مارقيان(٢٩) .

ولقد شاهد عهد ثيودسيوس اخطارا واجهت الامبراطورية فى شطريها الشرقى متمثلا فى الحرب الفارسية والغربى ممثلا فى ازدياد خطر الجرمان كما شاهد انجازات حضارية هامة كانشاء

---

(٢٨) Bury : op. cit p 228.
Hearsev : op. cit p 39.

(٢٩) John of Nikiu : Chron. trans Zotenberg. p 29 - 33.

الجامعة واصدار المجموعة القانونية ، ولقد عانى كما عانى الاباطرة من قبله من المشكلة الدينية حتى بلغت صراعاتها الذروة فى عهده .

الحرب الفارسية :

فى عهد ثيودسيوس تحطم السلام السابق ابرامه مع فارس ورغم أن حكم يزدجرد فى بدايته اتسم بالتسامح تجاه المسيحيين ولكن تغيرت تلك السياسة عند نهاية عهده نتيجة لتصرفات بيزنطية وأساقفتها مما اضطره لاتخاذ موقف مضاد ، ففى هذه الفترة بدأت ارمينيا تتخذ طابعها المسيحى وكتبت أبجديتها وترجم الأنجيل الى اللغة اللاتينية وأخذت بيزنطة تعمق الشعور الدينى لدى المسيحيين فى شطرى ارمينيا سواء القسم الخاضع لفرس أو بيزنطة تسعت الى اقامة الكنائس المسيحية الى جانب تدخلها لنصرة المسيحيين المضطهدين فى ارمينيا فأدى هذا الى تجدد العداء وخاصة بعد هرب عدد من المسيحيين للأراضى الرومانية ورفض الامبراطور تسليمهم وبعد وفاة يزدجرد ٤٢٠ م بدأت سلسلة من المذابح تجاه المسيحيين قام بها بهرام الخامس وأرسلت بيزنطة قوات بقيادة Ardaburus حيث التقت بالقائد الفارسى نارسيس فى ارزنجان(٣٠) ، وفى سبتمبر ٤٢١ م تراجع نارسيس الى نصبين وتقدم اردبايروس الى اميديا ثم حاصر نصبين وذهب بهرام بنفسه لرفع الحصار وأرسل الفرس المنذر ملك الحيرة لمهاجمة أراضى سوريا ولكن غرق عدد من العرب فى الفرات والباقى حاقت بهم الهزيمة . وعند اقتراب الشاهنشاه تراجع القائد الرومانى وعبر الحدود واستمر

---

(٣٠) Vasiliev : op. cit p 98.
Ostrogorsky : op. cit p 5.
Christensen : Iran Sous Les Sassanides p. 280 - 281.

القتال لمدة شهر وشعر سيودسيوس أن الحرب لن تأتى بنتيجة حاسمة ففضل التفاوض ، ولكن بهرام أراد نصرا أولا ليحصل على شروط مجزية من الرومان فأمر جيشه بالقتال واحتفظ بسريرا عنده الى أن تنتهى الحرب • ولكن انتصر الرومان فاضطر بهرام لفتح باب المفاوضات من جديد وقرر الطرفان ايقاف الاضطهاد وعقدوا صلحا لمدة مائة عام فى ٤٢٤ م وكان مما تضمنه الصلح عدم استغلال العرب الخاضعين لكلا الطرفين فى العدوان • ولم يدم هذا السلام طويلا اذ بنى الرومان فى ٤٣٨ م قلاع ثيودبوليس فى أرمينيا ولما تولى الشاهنشاه الجديد يزدجرد الثانى قرر استغلال أوضاع الامبراطورية السيئة فى الغرب فعبر الحدود عند نصيبين(٣١) وهاجم عددا من المدن فى سوريا فى حين اجتاحت قوات أخرى أرمينيا الرومانية ٤٤١ م ولم يكن لدى الرومان جيش كافية لايقافهم فحصلوا على صلح لمدة عام فى مقابل مبلغ من المال والوعد بتسليم بعض المسيحيين الهاربين واللاجئين لبيزنطة • وحدثت مشاكل مع الافثاليين انتهت بصلح من شروطه ألا يقيم كلا الطرفين قلاعا بالقرب من الحدود • وكانت آخر أعمال بريتور الشرق كيرس صديق الامبراطورة أودكسيا امداد الحدود بالسلاح والخيل ٤٤١ م •

بيزنطة والامبراطورية الغربية :

بعد وفاة ستلبكو ترك الغرب بغير شخصية قادرة توجه سياسته وتتولى القيادة فأصبح الطريق أمام الرك مفتوحا لايطاليا وخاصة أن بعض العناصر المتذمرة دعته لغزو ايطاليا • فقد تلى مصرع ستليكو قيام الفرق الامبراطورية بقتل عدد كبير من الفرق المساعدة

---

(٣١) Christensen Iran Sous Les Sassanides p. 280 - 281.

المكونة من البرابرة وترتب على هذا أن حوالى ثلاثين ألف من القوات ذات الأصـــل الأجنبى انضمت الى الرك • وكان تدبير أمور الدولـــة فى يد Olympius وقرر الرك حصـــار روما ولم يقـــدم الامبراطور هنريوس مساعدة قوة محدودة وظل فى عاصمته رافنا • ولقد حاصر الرك روما ثلاث مرات ابتداء من ٤٠٨ م واجتاح فى طريقه كريمونا بانونيا وأرمينيوم وقد قتلت سيرنا زوجة ستليكو وقريبة الامبراطور لاتهامها بالخيانة ومعاونة القوط • ولقد عانى الرومان من الجـــوع وأرسلوا وفدا للتفاهم معه وأخبروه أنهم يسعون للسلام ولكنهم على استعداد للقتال اذا رُفض شروطهم فطالبهم بتسليم جميع ما يملكون ولقد أرجع أعضاء السناتو ما حاق بهم لرفضهم عقيدة أســـلافهم • وأرسلوا وفدا الى الرك ثانية(٣٢) •

وبعد مفاوضات قبل الرك منحهم سلما فى مقابل ٥٠٠٠ قطعـــة ذهبية و ٣٠,٠٠٠ فضية وملابس وثياب ومواد أخرى ووقع هنريوس الشروط التى حملها له وفد السناتو فى الحصار الثانى لروما • وعين الرك امبراطورا مناوئا هو اتالوس Attalus والى المدينـــــة وتوج السناتو والشعب الطاغية خوفا من المجاعة اذ هددهم الرك بالاستيلاء على مخزون القمح • ولكن ما لبث الرك أن اختلف معه وعزله بسبب مشكلة افريقيا ، فلقد أراد الرك الاستيلاء على ولاية افريقيا التى تمد العاصمة بالمؤن ولكن أتالوس لم يوافق وأرسل قوة رومانية صغيرة بقيادة قسطانز حيث فنيت عن آخرها فى حين رافق هواتيلا لرافنا ولقد بدأت الخـــلافات بينهم اذ رفض أتالوس والسناتو الموافقـــة على ارسال جيش متبربر لاحدى الولايات الرومانية فعزله • وظل

(٣٢) Zosimus : Historia Nova Vol V p 40.
Bury : op. cit p 17.

ذلك محاولة الرك عقد صلح مع الامبراطور هنريوس(٣٢) ولكن حين رأى قوات عدوه Sarus القوطى تهاجم معسكره وتنصح رجاله بالانضمام للرومان ، ظن أن دافعه لهذا هو الامبراطور فحاصر المدينة للمرة الثالثة واستطاع الاستيلاء عليها واستباحها ثلاثة أيام . وفى ٢٤ أغسطس ٤١٠ م تراجع عنها واتجه الى الجنوب فاستولى على Capua, Nola ولكن فشل فى أخذ نابلى وأنقذ ايطاليا موت الرك فى ٤١٠ م . وخلف الرك أخو زوجته أدولف Ataluf حيث ظل فترة فى جنوب ايطاليا ولقد اتجه بعد ذلك الى الغال وانتهى الأمر بعقده صلحا مع الرومان حيث تزوج Placidia أخت هونريوس غير الشقيقة ، وتوغل بقواته فى أسبانيا لطرد الغزاة من قبائل الوندال والسويفى الذين اجتاحوا البلاد منذ ٤٠٦ م ولكنه وقع فريسة للخيانة وقتل ٤١٥ م وخلفه واليا الذى استرد اسبانيا لهنريوس وحصر الوندال فى الجزء الشمالى الغربى من شبه الجزيرة(٣٤) .

وفى ٤٢١ م توج قسطنطيوس الذى كان يشرف على الامبراطور هنريوس ويدير مملكته لمدة عشر سنوات كامبراطور الغرب بصفته قريبا للأسرة المالكة وكان متزوجا شقيقة هنريوس بلاسيدا بعد تركها لادولف القوطى . وتوج أغسطسا مع هنريوس فى فبراير ٤٢١م وتوجت بلاسيدا كأغسطا ولكن حين وصل نبأ التتويج الجديد الى القسطنطينية رفض ثيودسيوس وشقيقته بولكريا الاعتراف به ربما لأنهم لم يغفروا لها زواجها من أدولف أو ربما أرادوا توحيد الامبراطورية تحت حكم

---

(٣٣) Bury : op. cit p 184.
Ostrogorsky : op. cit. p 50.

(٣٤) Bury : op. cit, p 209.
Ostrogorsky : op. cit 50.

الشرق ولكن قسطنطين لم يلبث أن مات بعد سبعة أشـــهر . وتركت بلاسيدا الوصية [illegible] وهربت الى القسطنطينيـــة ٤٢٣ م مع ولديها بسبب شائعات ألحقت بها هي وهنريوس وتصاعد العداء ضدها من بعض فـرق الجنـــــد . ولم يلبث هنريـوس أن تـــوفى فى ١٥ أغسطس ٤٢٣ م . ويعد عصر حكمه أسوأ الفترات فى تاريخ الغرب فنشاهد تحول الغرب من دولة رومانيـــة الى توتنية فروما اجتاحها البرابرة . والغال وأسبانيا دمرت وبريطانيا على وشك ان تفقد . وتلى وفاته اعلان شخص خامل الذكر يدعى حنا امبراطورا وكان هذا احجافا بحق بلاسيدا شقيقة الامبراطور وابنها فالنتيان الثالث ابن قسطنطيوس وهذا أدى الى قطع الصلة بين الشطرين ولما وصل مندوبو حنا القسطنطينية للحصول على اعتراف بوضعه كامبراطور رفض ثيودسيوس وأودع مندبوه فى السجن وحصلت بلاسيدا على لقب اغسطا وأعلن ابنها فالنتيان قيصرا فى سالونيكا وأرسلت الام والابن الى ايطاليـــا مع جيش بقيادة Ardaburius ضابط من اللان وابنه اسبار واستطاع اســـبار بمهارته الحربية احراز النصر وعزل حنا ولقد أمرت بلاسيدا بقتله ، وأعلن فالنتيان امبراطورا فى أكتوبر ٤٢٥ م وتأكدا لارتباط بين الشطرين عن طريق زواج فالنتيان من ابنة ثيودسيوس أودكسيا ولقد ذكر هذا النصر فى على البوابة الذهبية التى بناها كيرس (٣٦) . ولقد حكمت بلاسيدا خمسة وعشرين عاما باسم ابنها ولقد استمر ثيودسيوس فى معاونته للامبراطورة ففى ٤٣١ حين احتاجت الامبراطورة للمساعدة ضد الوندال فى افريقيا أرسل ثيودسيوس جيشا بقيادة اسبار ولكن عاد

---

(٣٥) جيبون اضمحلال الامبراطورية ج ٢ ص ١٧١ .

(٣٦) Bury : op. cit. p 221.

Hearsey : op. cit p 13.

(٣٧) Ostrogorsky : op. cit p 53.

اسبار بعد ثلاث أعوام دون أن يحقق نصرا ويربح هذا التفاهم الذى تم بين الوندال وجعله صديقا لهم فى ٤٢٧ م ٠ ولم يلبث أن هدد الامبراطورية عنصر بربرى جديد هو الهون بل ان خطرهم على الجزء الغربى ظهر فى ٤٢٥ م حين قدم اتيوس على رأس ٦٠٠٠٠ جندى من الهون للتفاوض مع بلاسيدا فاضطرت أمام تهديهم لاعفاء اتيوس والعفو عنه ومنحت الهون مبالغ ضخمة للعودة الى مستقرهم ٠

الموقف الدينى :

ثار فى هذه الفترة جـدل عنيف حول طبيعة المسيح فظهر فى انطاكيه فى أواخر القرن الرابع(٢٨) مذهب يرى أن للمسيح طبيعتين منفصلتين وأن المسيح يعتبر ابن مريم وعلى عكس هذه النظرية كانت النظرية السكندرية ان الله جعل المسيح تتحد فيه الطبيعيتان البشرية والالهية وكانت أشهر النظريات هى نظريـه Apollinaris الذى قـال انه لايمكن أن يتحد فى المسيح انسـان كامل واله كامل لأن هـذا الاتحاد يؤدى الى عدم تناسبه فذكر أن المسيح ليس برجـل كمل وانما هو اختار أوتبنى طبيعية بشرية ولكنها لا تشمل الارادة الحرة التى تتغير مع ربوبيته ٠

ولقد تفجرت المشـكلة فى عهد ثيودسـيوس الثانى حتى توفى ٤٢٧ م بطريرك القسطنطينية سنيوس وترك للامبراطور أمر اختيار خليفه له فاختار نسطوريوس تلميذ مدرسة انطاكية الذى رفض مذهب امتزاج العقيدتين وان لافرق بين بشرية سيده المسيح وبين الوهية الرب وكان يبجـل ويقدس العـذراء على انهـا أم المسـيح وبدأ

---

(٢٨) H. Grégoire : The Byzantine church p 96 - 94.
انظر ايضـا .
Cross : Dict. of christian Church.

يهاجم فى كنيسة القسطنطينية استعمال كلمة أم الله وأدان نظريات ابوليناروس وقام بطريرك الاسكندرية كيرلس بمعارضة هذا الرأى وكان الرهبـــان خلف كيرلس يؤيدونـــه . وقـــد ذكر أن من الطبيعي أن تتحـــد فى المسيح الطبيعتـــن ولا تنحـــلان hypostatic فالطبيعة البشرية لا تنفصل عن الالهية وان العذراء أم الله فأقتربت من نظرية ابوليناروس الذى نفى وجود طبيعة بشرية منفصلة فى المسيح ولكن يتميز عنها فى وجود طبيعتين منفصلتين ونظرية نسطوريس أقرب الى نظرية ثيودر Mopsesuti فانتقا على المسيح له طبيعتين الاختلاف حول نوعية وطبيعة اتحاد الطبيعتين كيرلس يرى انها اتحادا نسطوريوس يرى تمـــاس Contact (٣٩) • وكان لكيرلس سلطات واســـعة فلقد أســـتغل بعده عن البلاد الامبراطورى ورئاســـته لعاصمة ضخمـــة فاغتصب مكانة الحاكم المدنى وسلطته وتصرف فى صدقات المدينـــة العامة والخاصـــة وكان أتباعه شـــديدى الغضب واضطهد الهراطقة بمنتهى القسوة ، ولقد شكا أورستيس الوالى من تدخل البطريرك فى سلطانه ولكن لم يهتم وزراء ثيودسيوس بهذا بل زاد نفوذ كيرلس بحيث اعتدى على الوالى وتسبب فى تحريض اتباعه على قتل هيباتيا Hypatia ابنه العالم الرياضى زينون لانه اتهمها انها سبب سوء العلاقة بينه وبين الوالى وكان يكره بطاركة القسطنطينية لما يتمتعوا به من نفوذ ، فى نفس الوقت يخشى من زيادة نفوذهم على عواصم أوربا وآسيا وكان من الطبيعي أن يتآمر كيرلس على نسطوريوس الذى كتب لثيودسيوس وبوليكريا وأوديكسيا وادانه وكذلك أرسل لبابا روما كليستن الذى أيد كيرلس ولكن الامبراطور كان فى جانب نسطوريوس وقام الامبراطور بدعوتهم للتسامح ولكن كان فى خطابـــه يميـــل لنسطوريوس وقرر

---

(٣٩) H. Gregoire : op. cit p 97.
Bury : op. cit p 353.

الامبراطور عقد مجمع دينى فى افيسوس ٤٣١ م بناء على نصيحة نسطوريوس ، وحضر كيرلس ومعه خمسون من رجاله وكان قد عقد تحالفا مع أسقف افيسوس ممنون وهو يلى أساقفة آسيا ، والذى ضم اليه حوالى أربعين أسقفا ولقد تأخر أسقف انطاكية المؤيد لنسطوريوس وعدد من أتباعه فى الحضور فعقد كيرلس المجمع قبل حضورهم واتهمهم بتعمد التأخير وطرد الوالى كانديان الذى طلب التأجيل ، وادين نسطوريوس وعزل وظهر حينئذ متدبو البابا الذين أيدوا القرار • ولقد وصف نسطوريوس ما تعرض له من ارهاب على يد حزب كيرلس بحيث أن المكان الذى كان به كان محاطا بالجنود لحمايته خوفا على حياته وبذلك انتصر كيرلس على بطريرك العاصمة • ولقد بلغت الكنيسة الشرقية فى عهده أقصى ما بلغته من نفوذ منذ أيام اثناسيوس بل ازداد نفوذه على الحاكم الامبراطورى ورغم أن أساقفة الشرق الذين وصلوا بعد انتهاء المؤتمر جردوا كيرلس وممنون من مقامهما الأسقفى • ولكن لم يستجيبا لهذا الأمر • وكل ما عمله الامبراطور أن قال فليشهد الله على انى لم أكن خالق هذا الشقاق وهو الذى يعلم من المذنب ويرفع به القصاص فعودوا الى ولاياتكم وانا لندعوا الله أن يجعل من فضائلكم الخاصة ما يعوض الضرر والعار الذى أحدثه اجتماعكم (٤٠) • وبعد وفاة كيرلس ٤٤٤م انتقلت السلطة فى الاسكندرية الى خلفه ديسقورس وكان نسطوريس قد نفاه الامبراطور الى البطراء فى بلاد العرب ثم الى ليبيا وحرمت اراؤه بسبب نميمة رجال البلاط وعين ماكسيمان بروكليوس •

وكان ممثل حزب الاسكندرية فى القسطنطينية أوتيخا قد زاد

---

(٤٠) Bury : op. cit p 353.
H. Gregoire : op. cit p 98.

نفوذه لدى الامبراطور(٤١) ولكن الاتحاد بين روما والقسطنطينية تسبب في الحد من نفوذ الاسكندرية فقد كان ديسقورس وأوتيخا أكثر تطرفا من كيرس في نظريتهم نحو أن المسيح له طبيعة واحدة الهية وتمتعوا برضاء الخصي Chrysaphus وعارضهم Flavian بطريرك القسطنطينية ودعا الامبراطور الى عقد مجمع كنسي في ٤٤٩م وهو مجمع أفسوس وسيطر بطريرك الاسكندرية على المجمع في نفس الوقت(٤٢) الذى أعلن فيه البابا ليو اتفاقه مع بطريرك القسطنطينية في اصدار اعلان أن المسيح المتجسد شخص واحد له طبيعتان متميزتان . ووجدت روما نفسها الى جانب القسطنطينية ضد الاسكندرية . ومع ذلك انتصرت الاسكندرية في مجمع أفسوس الشبيه بمجمع اللصوص وأرسل البابا ثلاثة مبعوثين ولكن رسالة ليو لم تقرأ ومنع أساقفته من التصويت وقرروا عزل فلافيان وتأييد نظرية نيقيه . ولقد أحاط الرهبان بأبواب الكندرائية وهددوا المجتمعين لصالح الاسكندرية بل اقتحموا المجمع هم والجنود بناء على رغبة ديسقورس ووقع المجتمعون تحت التهديد قرار ادانة فلافيان وهوجم أسقف القسطنطينية وتعرض للضرب ولم يلبث أن مات بعد أيام وتحت قيادة ديسقورس قضى على كل معارضة وأعلنت المنوفزتية ولكن البابا ليو لم يرض عن اهانته في شخص مبعوثيه وألغى قرارات مجمع افسوس . وطلب من فالنتيان الثالث عقد مجمع في ايطاليا(٤٣) ودعا ثيودسيوس للموافقة على ذلك ولكن ثيودسيوس تحت ضغط أوصيائه

---

(٤١) جيبون اضمحلال الامبراطورية ج ٢ ص

(٤٢) H. Gregoire : op. cit. p 91.
Hussey : op. cit p 100.

(٤٣) H. Gregoire : op. cit p 44.
Ostrogorssy : op. cit p 53.

ذكر أن الكنيسة فى سلام . وأن قرار [illegible] كان ضد فلافيان فقط بل أن ديسقورس حرم البابا ليو وغير ذلك الأحداث توفى ثيودسيوس ٤٥٠م

أهم منجزات ثيودسيوس الحضارية :

جامعة القسطنطينية :

كان أهم ما خلد عهد ثيودسيوس هو تحصينه القسطنطينية ثم اعادته احياء جامعة القسطنطينية وقانونه . والفضل فى احيائه للجامعة يعود لزوجته ايدوكيا ابنة أستاذ البيان الوثنى والتى جمعت بين حضارة الوثنية وتسامح المسيحية وألفت شروحا للكتب الثمانية الأولى من العهد القديم وجمعت مقتنيات من أشعار هوميروس وكتبت كتابا يشيد بانتصارات ثيودسيوس الفارسية .

والجامعة أصلا من منشآت قسطنطين بنيت فى ٢٧ فبراير ٤٢٥ م لتنافس مدارس الاسكندرية وأثينا الوثنية(٤٤) ولكن الفضل فى تنظيمها والتوسع فى منشآتها يعود لثيودسيوس وزوجته وكان فى هذه الجامعة ١٢٨ أستاذا درسوا قواعد اللغة والبيان اللاتينى واليونانى والفلك والفلسفة والقانون وكان لليونانية عشر كراسى وعشرة لقواعد اللاتينية والاغريقية ، وثلاث فى البيان واثنين للقانون وكان عدد الأساتذة الاغريق يفوق عدد الأساتذة اللاتين(٤٥)

---

(٤٤) Bury : op. cit p 233.
Camb. Med. Hist. vol I p 425.

(٤٥) Georgina Buckler : Byzantine Education p 201.
Hussey : op. cit. p 15.

وفى هذا العهد بدأت اللاتينية تترك مكانها للاغريقية مع انها مازالت اللغة الرسمية للامبراطورية •

قانون ثيودسيوس :

قرر ثيودسيوس فى ٤٢٩ م اعداد مجموعة قانونية ، وكانت مصادر القانون فى أيام الأباطرة الأوائل التشريعات Leges وهى نادرة بعد تيبريوس الى جانب قرارات السناتو التى يوافق عليها الامبراطور وتؤخذ مأخذ التشريع ، ثم القرارات التى يصدرها الامبراطور فى بعض المسائل فرأى الامبراطور كقاضى نهائى ثم توجيهاته الى حكام الولايات Mandato ثم الاجوبات Riscripts على النقط القانونية التى يعرضها القضاه ثم مراسيم البرايتور بعد مراجعتها(٤٦) •

وفى نهايه القرن الثالث اختفى المشرعون الكبار وان ظلت بعض كتبهم متداولة وأصبح مصدر القانون قرارات الامبراطور سواء شفوية أو تحريرية Constitutions وأول من اهتم باصدار مراسيم قانونية كان دقلديانوس فأصدر العديد من المراسيم • وبعضها وصلنا فى قانون جستنيان وبعض المراسيم المتأخرة تضمنها قانون ثيودسيوس وكان قانونه يشمل المراسيم الصادرة عن هادريان الى دقلديانوس ولقد وصلت مجموعة تنتسب الى المشرع جريجاريانوس Gregorian فى القرن الثالث وتشمل القرارات من هادريان الى ٢٩٤ م وفى القرن التالى صدر ملحق فى الجزء الشرقى باسم Hermogenian من ٢٩٦ — ٣٢٤ م(٤٨) وجزء منها استخدم

---

(٤٦) Vasiliev : op. cit p 101.

(٤٧) Bury : op. cit p 232.
Coulange : Histoire des institutions politiques p 513.
Bury : op. cit p 232.

(٤٨) Coulange : op. cit p 513.

فى القانون المتأخر فى القرن الرابع خلال عهد قسطنطين واستخدمت هذه التشريعات فى الجزء الغربى بعد اضافة مقتطفات من المشرع البيان ومن بعض من المراسيم الامبراطورية ولكن على المدى الطويل حدث اضطراب وأصبح القانون لايفى بحتياجات العاصمة والولايات فقرر الامبراطور اصدار مجموعة تلائم ظروف العصر وكون لجنة للاعداد للمشروع فى ٤٢٩ م . رجعت الى كتابات المشرعين الكبار كبيان وبول واكتسبت تلك المؤلفات أعترافا امبراطوريا وكانت تلك الى جانب كتابات سابينوس وجوليان وباركليوس أساس التشريع كما أعتمدت على مجموعة جريجرينوس وهرمجنتيوس التى تحتوى المراسيم الامبراطورية الى قسطنطين ثم قاموا بجمع المراسيم الامبراطورية منذ عهد قسطنطين ومن تلاه سواء كانت مراسيم أو أوامر ادارية وقامت اللجنة التى كان من أعضائها Apelles استاذ القانون فى الجامعة بتنظيم الموضوعات وايضاحها وتفسيرها وروجعت الكتب القديمة وكانت كتابات بول تستخدم كأساس للمجموعة القانونية واستبعد كل ما هو خطأ وغير مناسب وصدرت المجموعة فى ١٥ فبراير ٤٣٨ م باسم ثيودسيوس وفالنتيان بمناسبة زواج فالنتيان من ابنة ثيودسيوس(٤٩) .

وأعلن الامبراطور أن القانون صدر ليزيح الظلام أو الغبار المتراكم على القانون . فالقانون يوضح كثيرا من الامور المدنية كالهبات والميراث وما اليها . والقانون مقسم الى ست عشر كتابا وكل كتاب مقسم الى عناوين تحت كل عنوان عدد من الموضوعات فموضوع يتناول الامور العسكرية وآخر يتناول الجرائم والدخل والقوانين المدنية وبعضها يتناول القوانين الخاصة بالعمل ، وكان الاهتمام بالامور

---

(٤٩) Bury : op. cit. p 232.

الادارية أكثر من اهتمامه بالامور الشخصية العادية ولم يتقيد بالتاريخ ومكان الاصدار كثيرا وظل التانه ، مطبقا فى الشرق والغرب الى عهد جستنيان واستمر فى الغرب فى أسبانيا وفرنسا ولومباردبا فى ايطاليا ، وجزء منه استعمله القوط الغربيون بأمر الرك(٥٠) • وفى سنة ٥٠٦ صدرت عدة مراسيم تشمل مراسيم لثيودسيوس ثم لخلفائه بعضها حمل اسم انثميوس فى ٤٦٨ م وأطلق عليها اسم Novella وبعد ثيودسيوس وقبل جستنيان صدرت مجموعة فى برجنديا ونلاحظ أن صدور القانون كان باسم الامبراطورين وهذا أعطى نوعا من الاتحاد للامبراطورية ظاهريا ولكنه لم ينعكس فى التطبيق لأن التطورات القانونية فى كلا الطرفين اختلفت وكان من المعتاد أن ترسل قرارات حكام الشرق الى الغرب ولكن لم تكن تنقل مراسيم حكام الغرب الى الشرق(٥١) •

مارقيان ٤٥٠ ــ ٤٥٧ :

لم يكن لثيودسيوس أبناء ذكور وكان من المنطقى أن يلى امبراطور الغرب الشطرين ولكن لم يكن أهل القسطنطينية أو الامبراطور يرغبون فى هذا وعند موته أختير مارقين وترك للسناتو وللاغسطا بوليكيريا اختيار خلف للامبراطور فأيدت اختيار الامبراطور مارقيان وتزوجته زواجا رسميا واشترك البطريرك مع الاغسطا فى تتويجه • وكان مارقيان يتمتع بكفاءة ادارية عظيمة وبدأ عهده بالتخلص من Chrysaphius وظهر فى عهده نفوذ أحزاب السرك فأيد الخضر كرسفيوس وأيده هو الزرق وكان عهده من العهود التى امتازت

(٥٠) Coulange : op. cit p 514.

(٥١) John of Nikiui : Chron trans Zotenberg p 422.
Ostrogorsky : op. cit p 55.
Bury : op. cit p 236.

بالهدوء لولا ما حاق بالامبراطورية من متاعب فى الجزء الغربى ولقد بدأ عهده بتخفيف الاعباء عن المواطنين فترك المتأخرات وقلل من سلطان البريتوريين ، ورفع بعض المظالم التى ترجع لعهد فالنز فكان ملاك الأراضى التى ابتاعوها من الدولة لايدفعون ضرائب وأجبرهم على الدفع مساواة بالباقين فى الاعباء ومنع بيع الوظائف وشدد فى العقوبة ، ولقد وجه اهتمامه لطبقة السناتو وطلب منهم عدم تحميل الشعب أعباء اضافية وانفاق الأموال على اصلاح المدينة وكان هناك قانون منذ قسطنطين يمنع من زواج أعضاء السناتو من نساء من طبقة وضيعة أو ممثلات فأحل لهم الزواج من النساء الفقيرات طيبات المنبت .

السياسة الدينية :

واقد حاول الامبراطور حل المشكلة الدينية التى تركها ، فان مجمع أفسوس أثار غضب البابوية بعد اهانة مبعوث الامبراطورية ولقد هددت تلك المجامع سلام الامبراطورية وأضعفت مقدرة الدولة وأفقدتها هيبتها وشتت قواها التى كان مفروضا أن توجهه لأعدائها ورغم ذلك فان المجامع الدينية التى عقدت فى كلا الشطرين أعطتها نوعا من الوحدة(٥٢) وحاول حل المشاكل التى نتجت عن موقف الاسقف السكندرى وما حاول فرضه على الشرق بل أن بطريرك القسطنطينية Anatolius عين بفضل مجهودات ديسقورس وتاثيره وكتب مارقيان الى البابا ليو يستجيب لدعوته لعقد مجمع دينى فى خلقدونية ٤٥١ م حضره ستمائة وثلاثون من الأساقفة ومندوبون عن البابا والامبراطور وأدين.

---

(٥٢) Marcellinus : Sub. a.
Bury : op. cit p 236.
H. Gregoire : op. cit p 98.
Ostrogorsky : op. cit p 55.

ديسقورس بالرغم من تأييد بطريرك القسطنطينية صنيعته له ولم يكن الامبراطور يستطيع أن يضع قرارا يتفق مع نظرية البابا الكنسية تماما والا أثار عليه عداء الكنائس الأخرى فلوجد صيغه أخرى يرضى عنها البابا والكنائس الشرقية • وتألفت لجنة من ثمنية عشر أسقفا قامت بوضـع قرار أدان كل من المونوفزتية والنسطورية(٥٣) وكان النظرية وسطا بين الاثنين فالمسيح ذو جانب الهى كامل وجانب بشرى كامل فهو من اقنوم واحد ولكنه من طبيعتين مختلفتين وكان هذا المجمع ايذانا بانهيار الاسكندرية وبطاركتها الذين تصرفوا كملوك وكان القرار موضع كراهية النساطرة وأتباع مذهب اسكندرية على السواء وان كان النساطرة أقل عددا وأكثر ضعفا ولكن اهل الاسكندرية من اليعاقبة أعلنوا اعتراضهم وأعلن المونوفزتية كل من أهل مصر وسوريا وأعلن المصريون استقلال الكنيسة القبطية المصرية ورفضهم للقرارات • وحدث فى سوريا نفس الأمر وأجبر أسقف بيت المقدس على الهرب • ولقد دخل أهل الاسكندرية فى صراع وشغب مع القـوات الامبراطورية عند سماعهم انبا وفاة مارقيان وقتلوا البطريرك الذى خلف ديسقورس فى مكان الصلاة ويشير الى ذلك أحـد الاساقفة بقوله « فى عهد قنصلية فينانتيوس تملك شعب الاسكندرية وشـعب مصر كلهـا جنـون عجيب شـيطانى فالكبار والصغار والأرقـاء والأحرار والرهبان والكهنة وسكان البلاد والوطنيون الذين عارضوا مجمع خلقدونية كل هؤلاء فقدوا عقلهم وقدرتهم على التعبير »(٥٤) ولقد اتخذ المصريون المشكلة الدينية كمتنفس عن شعورهم بالرفض تجاه

---

(٥٣) H. Gregoire : op. cit p 98.

(٥٤) Hussey : op. cit p 16.
Ostrogorsky : op. cit p 55.

الحكم البيزنطى ويقال أن الانقسام الذى تلى هذا المجمع سهل الفتح العربى لمصر والشام .

وحصلت القسطنطينية فى هذا على نصر فقد تأكدت قيادة القسطنطينية للكنيسة الشرقية واعترف بها كثانى كنيسة بعد روما فى المجمع الدينى السابق وكان هذا بفضل كنيسة روما(٥٦) ولكن اعتمادا على انتصارها فى خلقدونيا تحطم هذا التحالف فان مؤتمر خلقدونيا اعترف بالسيادة الشرقية للبابوية ولكنه وضعها فى قدم المساواة مع كنيسة روما والقانون الثامن والعشرون منح مزايا روما للقسطنطينية أو روما الجديدة وجعل القسطنطينية مشرفة على كنائس تراقيا وآسيا وبونتوس وكان من الطبيعى أن يبدأ الصراع بينهم ورفض اعتراض مندوبى البابا على المجمع ورفض ليو التصديق عليه .

السياسة الخارجية للامبراطورية :

الهون :

بالنسبة للاخطار الخارجية كان الامبراطور محظوظا فالمشكلة الأساسية : وهى مشكلة الهون انتهت بموت أتيلا ويرجع ظهور خطر الهون الى عهد ثيودسيوس بين أعوام ٤٣٠ — ٤٤٠ وفى ٤٤٦ م اتجهوا الى الامبراطورية الشرقية ووصلوا الى أسوار القسطنطينية وعقدت معهم الامبراطورية معاهدات قصيرة الأجل تعرضت فيها

---

(٥٥) جيبون اضمحلال الامبراطورية ج ٢ ص ٢٢٩ .

(٥٦) انظر De Guignes : Hist. des Huns.
Lot : op. cit p 208.
Bury : op. cit. p 101.

الامبراطورية لكثير من الهوان رغم ذلك فقد اقتحموا البلقان وانتهى الأمر بعقد معاهدة نصت على تركهم الشرق مقابل مبالغ مالية وفى تلك الأثناء مات ثيودسيوس وتولى مرقيان وتأهب أتيلا ملك الهون لغزو بلاد الغال وكان ثيودريك ابن الرك قد أصبح ملكا للقوط الغربيين بعد موت واليا • وكان ايتيوس القائد الرومانى الذى سبق له التحالف مع الهون عقد تحالفا بين الرومان والقوط فى سنة ٤٥١ م غفر أتيلا الى الغال وحاصر مدينة أورليان وخف ايتيوس وثيودريك لانقاذها وهزم أتيلا فى كاتولينا فى معركة شالون وفى العام التالى اتجه الى ايطاليا فاستولى على أكويلا وفيرونا وبرجامو • ولم يستطع فالنتيان الثالث أن يفعل شيئا ولكن البابا خرج للقائه قبل الانسحاب مقابل جزيه لسماعه بقدوم قوات بقيادة ايتيوس(٥٧) ولكن أنقذ الامبراطورية وفاته ٤٥٣ م وانهيار مملكته بعد ذلك ولكن أحوال الجزء الغربى من الامبراطورية ازدادت سوءا وخاصة بعد مقتل القائد ايتيوس ٤٥٤ م وفالنتيان الثالث ٤٥٥ م فحدثت اضطرابات فى ايطاليا • أما أهم الولايات خارج ايطاليا فقد ظلت فى أيدى الفرق الجرمانية الذين أقاموا عدة ممالك : الوندال فى أفريقيا والقوط الغربيون فى الغال وأسبانيا ، ولم يستطع امبراطور الشرق شيئا وأصبحت العاصمة الامبراطورية ميدانا للمعارك فجاء البرابرة ولقد أدى هذا الى ظهور دور الكنيسة المسيحية التى جعلت من روما مركزا للعالم المسيحى وأدى هذا الى ازدياد سلطات البابوية وخاصة فى عهد ليو الكبير ٤٤٠ — ٤٦١ م ، وسيؤدى فيما بعد لصراع القرن الخامس • وبالنسبة للفرس فقد رفض مارقيان تحطيم الصلح وأكد الصلح مع الوندال

---

(٥٧) جيبون : اضمحلال الامبراطورية جـ ٢ ص ٢٧١

Lot : op. cit p. 205.

بعد غزوهم روما وعلى حدود الدانوب ثارت بعض المشـــاكل بعـد انهيار امبراطورية الهون ٤٥٤ م فاستقرت بعض قبائلهم فى شمال الكريوم وتراقيا واستقر عدد من القوط الشرقيين تحت قيادة فيتجير وثيودمير فى بانونيا ولم يعترف مارقيان بخلفــاء فالنتيان الثالث •
وقد شاهدت العشرون سنة التالية انهيار الغرب تحت حكم سلسلة من الأباطرة لم يكونوا أباطرة الا بالاسم فلم يكن هناك أبناء على قيد الحياة فى بيت ثيودسيوس وانقسمت قوات الجيش بين عدد من المرشحين وهم مكسيميان ، مكسيموس ، ماجوريان ورغم أن الامبراطور مارقيان فضـــل ماجوريان فقد اختير ماكسيموس الذى حاول الزواج من ابنة أودكسيا التى كانت مخطوبة لهنريك ابن جزريك ملك الوندال فأعتبر هذا الفعل يمس كرامته فزحف بقواته الى رومــا وحـــاول مكسيموس الهرب فقتله بعض الغوغاء فى مايو ٤٥٥ م(٥٨) •

وفى ٤٥٣ م ماتت بولكريا وتركت كل ممتلكاتهـــا للفقراء وكان للامبراطور ابنة من زوجة سابقة زوجها الى انثاميوس حفيد الوالى انثاميوس • ولكن عند وفاته فى ٢٧ يناير ٤٥٧ م لم يتخذ أى خطوة لتأمين العرش لزوج ابنته وترك العرش لتصرف اسبار قائد الجيش الذى لم يكن ليستطيع تولى العرش لكونه بربرى أريوسى ولكنه كان يستطع الحكم من خلف امبراطور فأختار التربيونيان العسكرى نداكيا ليو ووافق السناتو لعدم وجود امبراطور أو أغسطا(٥٩) •

---

(٥٨) جيبون : اضمحلال الامبراطورية ج ٢ ص ٢٩٩ .
Grisar : Hist. of Rome and the popes. p 95.
Bury : op. cit., p 324.
Bury : op. cit p 316.

ليو الأول ٤٥٧ ــ ٤٧٤ م :

أختار اسبارليو وهو تربيون عسكرى فى داكيا وكان ليو بسيط التعليم وعلى قدر من الذكاء ولكن لايتميز بشخصية قوية ويستطيع ان يتحكم فيه وهذا يدل على مدى سلطان الفرق الجرمانية . واسبار لبس جرمانيــا ولكنه ينتسب الى اللان ويمثل العنــاصر الجرمانيــة فى القسطنطينية وبينما كان الغرب يعانى من قتاله اليائس كان الشرق يسعى لحل مشكلة كيف يخضع تلك القبائل الجرمانية منذ منتصف القرن الخامس . ولم يكن هذا أول صراع ينشب بين العناصر الجرمانيــة والامبراطورية فلقد سبقته الصراع مع جانياس القوطى .

وكان ليو الأول أول امبراطور يتسلم عرشــه من يد البطريرك فمن سبقه من الاباطره رغم كل ما منحوه للكنيسة أتبعوا التقاليد الرومانية وتقبلوا التاج من السناتو والقادة العسكرين وكانوا يرفعون فى ستر ليتلقوا تأييد الشعب فأصبحت الكنيسة تشترك فى التتويج وهذا يوضح المدى الذى وصــل اليه نفوذ البطريركية بعد مجمــع خلقدونية وأصبحمنذ ذلك الوقت جميع اباطرة بيزنطة يتوجهم البطريرك فالتتويج اتخذ صبغه دينية . فاقامة احتفال دينى أضيف الى التقاليد الرومانية السابقة بطابعها الحربى ثم أبطل الأخير(٦٠) .

وكان أول مشاكل ليوهى مشكلة الامبراطورية الغربيــة فبعد مقتل ماكسيموس تقدم الوندال فى ايطاليا وقابلهم البابا ليو ولكن

---

(٦٠) لمزيد من التفاصيل عن لتتويج انظر .
Constantine Proph : De Cermoniis I p 41 - 1.

لم يستطع منعهم من نهب المدينة الذى استمر لمدة أربعة عشر يوما وقبضوا على أودكسيا وابنتها وزوج ملكهم جزريك ابنة الامبراطورة أودكسيا من ابنه ولقد انتخب Avitus – صديق ايتيوس امبراطورا بمساعدة القوط ولكن لم يرحب به السناتو والجيش رغم اعتراف مارقيان به وقتل فى أكتوبر ٤٥٦ م على يد ريكمار وماجوريان . ولم ينتخب امبراطور مباشرة اذ ظل العرش خاليا من أكتوبر ٤٥٦ م الى ابريل ووفقا لاتفاق كان امبراطور الشرق يعتبر حاكم الشطرين وبذلك كان مارقيان ثم ليو امبراطور للغرب أيضا . وأخيرا تم اختيار الامبراطور ماجوريان لأن ريكمار كان بربريا فأعلن امبراطورا فى (ابريل ٤٥٧ – ٤٦١) وكان مقتل ايتيوس سبب المشاكل فان أصدقائه من القوط الغربيين والبرجنديين حاولوا الثأر له ورجع ماجوريان بجيوشه الى الغال ووجد البرجنديين متحالفين مع الاهالى فانتصر عليهم فى نفس الوقت الذى كان القوط الغربيون بقيادة ثيودريك يحاصرون Arelate ولكن أجبرهم قائده اجيديوس على رفع الحصار ثم عقد اتفاقية معهم وان كانت المشكلة الاساسية التى واجهته كانت مشكلة الوندال الذين أعد ضدهم حملة وجهها لافريقيا ولكن كل الحملات ضد الوندال سواء فى الشطر الشرقى بقيادة اسبار أو الغربى بقيادة كاستينوس فشلت . وتلى ذلك اجتياحه أسبانيا فأعد امبراطور الغرب أسطولا من ثلاثمائة سفينة ولكن انتصر جزريك عليه وتبع ذلك عقد صلح وعاد الامبراطور الى ايطاليا وعند وصوله الى ترتنتو دبر ريكمار الذى يحقد عليه مؤامرة وقتله ٤٦١ م وخلفه Severus الذى اختاره ريكمار وجعل السناتو يوافق عليه ورفض ليو الاعتراف به وثار عليه الكثيرون

(٦١) Bury : op. cit p 317.

وأعلن أغسطسا فى الغال وهو اجيدبوس وظهر معارض آخـر فى صقلية • فى نفس الوقت عد الوندال الى الهجوم على الامبراطوريه ولقد استنجد ريكمار والسناتو بالامبراطور ليو للتوسط مع جزيرك الذى طالب بممتكات الاميرة أودكسيا التى زوجها لابنه فى ايطاليا وميراث ايتيوس وأرسل جيشا اجتـاح ايطاليا وصقلية • وفى ٤٦٥ م مات سيفريوس وظل العرش خاليا الى أن اختار ليو انثيموس زوج ابنـة مارقيان فى أبريل ٤٧٦ م(٦٢) وأرسل الامبراطور حملة الى الوندال فشلت بسبب قيادة آخى زوجته • ولقد اختلف ريكمر مع انثميوس فنهب روما وقتل انثيموس ٤٧٢ م وولى امبراطور جديد ولكن ريكمار توفى بعد ستة أسابيع والامبراطور الجديد Olybrius الذى اختاره توفى بعده بشـهرين وفى سـنة ٤٧٦ م أصبح روملوس اغسطس آخر الأباطرة فى الغرب(٦٣) •

ولم تكن هذه الأخطار الوحيدة التى أحاطت بالامبراطور ففى الشرق كانت حركة قبائل الهون القوقاز ثم مشاكه مع الافثاليين ومع حاكم لاذيقا Gabares •

الجرمان والامبراطورية الشرقية :

الصراع الداخلى من أجل البقاء :

لم يرض الامبراطور أن يكون العوبة فى يد اسـبار وكان من الطبيعى أن يصطدما وبدأ الخلاف حين عين ليوسبانوس واليا رغم ارادة اسبار فى٤٦٢م كذلك طرد ليو البطريرك ثيموتى من الاسكندرية رغم معارضته ثم حدث خلاف حول شئون اليريا وكان القوط الشرقيون فى بانونيا الذين سمح لهم ليو بالاستقرار هناك قد اجتاحوا تراقيـا

---

(٦٢) Bury : op. cit p 334.

(٦٣) جيبون : اضمحلال الامبراطورية الرومانية ج ٢ .

وأخذوا شراكبوهم ، ولكن أجبرهم البيزنطيون على أن يتركوا ابن ثيودمير الطفل ثيودريك كرهينة قبل أن يحصلوا على ما الذى طلبوه وأثناء الصراع بين القوط و Sciri ذهب كلا الفريقين يطلب مساعدة من الامبراطورية ونصح اسبار بمعاونة القوط ولكن الامبراطور أصر على نصرة Sciri وبالفعل أرسلت القوات البيزنطية حيث حققت النصر على القوط وكان الامبراطور يخشى أن يكون مصير الشرق كمصير الغرب لو استمر اسبار فى نشاطه . ولكن اسبار كان محاطا بحرس من القوط بقيادة ثودريك ابن Triarus قريب زوجته وكان حيفا له وكن لابد للامبراطور من فريق يؤيده فاتجه بانظاره الى الايسوريين الذين كانوا عنصر شعب فى عهد كل من اركاديوس وثيودسيوس واستخدمهم ليو لانقاذ الامبراطورية وزوج ابنته Aridane من قائد الايسوريين Tarasicodissa والذى عرف باسم زينون وحضر ٤٧٦ م لمواجهة اسبار وفى هذا الوقت ثارت مشاكل فى تراقيا سببها الهون المتحدون مع القوط وارسل اليهم جيشا لكنه هزم وعددت الاضطرابات فى تراقيا فأرسل زينون الى هناك فثار عليه الجند بتحريض من اسبار وحاولوا قتله ولكنه نجا باعجوبة وهرب الى ساردیکا ولما عاد زينون الى القسطنطينية أحضر معه عصابة من قطاع الطرق من رودس لتأييده فى ٤٦٩ م وأدى هذا لعدم شعبية الاريوسيين وتبع ذلك شغب فى العاصمة فأرسل الى الشرق وحصل على لقب Magister Militum وازدياد قوة الايسوريين جعلت اسبار يحاول تدعيم مركزه وخاصة بعد فشل الحملة التى أرسلها ضد الوندال ونصح ليو بأن يجعل باسليكوس شقيق زوجته على رأسها وجعل الامبراطور يمنح ابنه لقب قيصر ويزوجه ابنته الثانية رغم معارضة الرهبان لخوفهم أن يتولى

Camb. Med. Hist Vol I p 471. (٦٤)

العرش امبراطور آريوسى وأراد اسبار ان يجبز الامبراطور على أن يتخذ موقفا واضحا فبدأ يتحرش بالايسوريين فى العاصمة وهـذا جعل زينون يعود للعاصمة القسطنطينية فى أواخر ٤٧١ م ودبر زينون مؤامرة واتهم اسـبار بالخيانة وقتل وأصيب ولده باتريكوس الذى شفى فيما بعد وأجبر على طـلاق الاميرة التى تزوجت مارقيان بن انثميوس • ولكن بعض الفرق التى تنتمى لاسبار هربت الى تراقيـا واتصلوا بالقوط حيث قاموا بهجوم فاشل على المدينة(٦٥) •

وكان الامبراطور قبل مقتل اسبار قد أرسل ثيودريك آمالى الى والده بهدايا وهذا جعل ملك القوط يتخلص من العائق الذى يمنعه من التوسع فى أراضى الامبراطورية وأول عمل قام به ثيودريك هو هزيمة السرماشيين واستعادة Sengidunus منهم وعدم اعادتها للامبراطور ولقد أرسل ملك القوط جيشين ضـد ايطاليا ولكنه هزم واضطر لعقد الصلح ، وتوفى ملك القوط وخلفه ابنه ثودريك ٤٧١م وأرسل الامبراطور سفيرا ليتفاوض معه ويعرف شروطه وفى ٤٧٢ م طلب ممتلكات اسبار ومركزه وكل أراضى تراقيـا ولم يوافق ليو الا على الطلب الثانى فقط فاجتاح هذا بدوره أراضى الامبراطورية ولكن أمام احتياج القوط للطعام أرسل سفارة ثانية وعقد معاهدة سلام على أن يصبح مجستير عسكرى وان يدفعوا اليه ٢٠٠٠ قطعة ذهبيـة كل عام وان يعترف به كرئيس للقبائل القوطية جميعها وألا يتسلم الامبراطور هاربا من القوط يلجأ اليه وان يعين ثيودريك بدوره الامبراطور على جميع الاعداء فيما عدا الوندال أصدقاء اسبار(٦٦) •

---

(٦٥) Camb. Med. Hist Vol I p 471.
Vasiliev : op. cit. p 105.

(٦٦) Ostrogorsky : op. cit p 57.

أما آخر أعمال ليو فكانت تسليم جزيرة Jutaba شمال البحر الاحمر الى امرىء القيس الذى كان قد قدم من الأراضى الفارسية ومعه عدد من القبائل العربية واحتل الجزيرة وطرد جامعى الضرائب وأرسل أسقف قبيلته وطلب منه منحه الجزيره ورئاسة القبائل فى ولاية فلسطين الثالثة وقد وافق الامبراطور على طلبه ٤٧٣ م ٠

أما آخر قراراته فهو صدر قانون يمنع مشاهدة المسرح والمدرج والسرك فى يوم الأحد وكذلك منع الوثنيين من تولى الوظائف فى الدولة وطرد عددا من الوثنيين كانوا يتولون الوظائف الكبرى كايسوكيوس الفيلسوف وفى عام ٤٧٣ م هاجمت الامبراطور الامراض وكان عليه ان يعين خلفا له وخشى ان يعين زينون لعدم شعبيته وكراهية الناس له فجعل حفيده ليو ابن زينون وهو طفل عمره خمس سنوات قيصرا ثم نصبه أغسطسا فى ١٨ نوفمبر وبعد أقل من ثلاثة شهور مات ليو وعمره ٦٣ سنة فى ٤٧٤ م ولكن الطفل لحق به بعد تسعة أشهر وأصبح زينون امبراطورا منفردا(٦٧) ٠

حكم الايسوريين :

زينون ٤٧٤ ــ ٤٩١ م :

أول امبراطور آيسورى يلى عرش الامبراطورية والايسوريين رغم ان مستواهم الحضارى أقل كثيرا من القوط الذين استفادوا من اتصالهم المبكر بالعالمين اليونانى والرومانى فعلى عكس الجرمان اعتبروا عناصر يونانيه فلم يطلق عليهم لفظ برابره بالمعنى الاغريقى

John Mal. XIV p 376, Constrantine porh. De Cer. i. 94.
Brooks : The Emperor Zenon and the Isaurian p 216 (٦٧)
(English Historical Review).
Hussey : op. Cit. p 15.

للكلمة اليونانية وان كان أهل القسطنطينية اعتبروهم جميعا أجانب ولم ينسوا ما حاق بالامبراطورية فى عهد أركاديوس على يد الايسوريين ولقد أتى حكم الايسوريين معرضة لما فى حكم الجرمان [illegible] فى [illegible] الذى فى عهده [illegible] الوندال والقوط الشرقيين فى [illegible] . [illegible] بيوريك الوندال [illegible] على الشواطىء [illegible] بلاد الاغريق واستولوا على نيقوبوليس . وذلك لعدم رضائهم فى [illegible] [illegible] .

ولم يكن زينون مستعدا للحرب [illegible] للتفاوض وتم الاتفاق على افتداء الاسرى فى كلا الطرفين . وعقد سلم فى ٤٧٤ لمدة [illegible] عاما ولكن وفاة جزريك فى نفس العام [illegible] الوندالى .

وكانت سياسة زينون قائمة على ان السلم هو الحل الوحيد لجميع مشاكل الامبراطورية — رغم اضطراره الى الاتجاه للقتال أحيانا فالقبائل العربية اجتاحت أراضى سوريا وظهر البلغار لأول مرة فى جنوب الدانوب(٦٨) وتولى الايسوريون الحكم وأدى هذا الى انتفاض القوط والقبض على قائد تراقيا وقتله وأرسل الامبراطور [illegible] أحد القادة المقربين اليه لقتالهم ولكن التوسع فى منح المزايا لانبوس اثارت عليه غضب أهل القسطنطينية . فى نفس الوقت الذى توفى فيه ابنه ليو وتبع وفاته مؤامرة لعزله قادها باسليسكوس شقيق زوجة ليو فرينا وقائد الحملة الفاشلة على الوندال أيام ليو ويقال ان فرينا هى المدبر الأول لهذه المؤامرة اذ ارادت دفع صديقها باتريكيوس للعرش ومقاسمته اياه كزوجة(٦٩) . كان لبسليكوس انصار عديدين فى العاصمة فاعلن

---

(٦٨) Bury : op. cit p 393.
Ostrogorsky : op. Cit. p 57.

(٦٩) John Lydus, De mag. 45.

امبراطورا ، ونصحت فيرنا زينون بالهروب فاستجاب لها ولجأت زوجته وأمه الى ايسوريا ٤٧٥ م . واستولى المتآمرون على المدينة بلا قتال . وتلى ذلك مذبحة للايسوريين ولكن تلك الفتنة لم تستمر الا عشرين شهرا لأن باسليكوس لم يستطع حل ما واجهه من مشاكل : فقد نشب خلاف بينه وبين ثيودريك حاكم القوط : الى جانب تحول الشعب عنه لنوفزيته ولتعيينه أوماتيوس صديق زوجته قائدا للجيش.

وأرسل اليوس لمحاربة زينون ولكنه انضم الى جانب زينون هو وعدد من القادة ، وأصبح الطريق الى القسطنطينية مفتوحا وفر باسليوكس وعائلته الى كنيسة اياصوفيا ، ولكنه ما لبث ان استسلم لزينون فأرسله الى قبادوقيا حيث قتل هناك .

ولقد حاول السرماشيين اعلان امبراطور جديد ولكن قتله دوق فلسطين ، ولقد تلى عودة زينون ان أصبح اليوس أقوى شخصية في الامبراطورية وتولى منصب القنصل ٤٧٨ م وظهوره اثار عداء القوط في اليريا وتراقيا ، وفي نفس الوقت كان على خلاف مع كل من الامبراطورة الام فيرنا وابنتها Ariadne . ودبرت الام مؤامرة للتخلص منه فطلب من الامبراطور تسليم فيرنا اليه واضطر زينون للاستجابة لمطالبة حيث اجبرت فيرنا على ترك القصر ودخول الدير وأرسلت الى قلعة Dilisande (٧٠) .

ولم يلق حكم زينون تأييدا كبيرا من الشعب فبالرغم من ان ليو عند وفاته ترك خزائنه ممتلئة بالمال لكن احتياج الامبراطور زينون الدائم لسد نفقات الايسوريين جعله يلجأ الى بيع الوظائف بأثمان عالية في نفس الوقت قام مارقيان زوج ابنه ليو الثانية بثورة جديدة

Bury : op. Cit. p 51.

(٧٠) John Lydus op. cit iii 45.

بدعوى انه أحق بالعرش لأن زوجته ولدت اثناء حكم أبيها كامبراطور في حين أن اريادين قد ولدت قبل تتويجه بالعرش ولكن اليوس أحبط تلك الفتنه وقبض على مارقيان ونفى الى قلعه Cherris ولكن نشب نزاع بين الامبراطورة واليوس فقد ارادت اعادة مهب الى القصر ولكن اليـوس رفض و دبر زينون ضـده مؤامرة حـاق بـهـا الفشل (٧١) ولكن اثارت حفيظـه ليو ضـده ، فطلب اعفاءه من وظائفـه في العاصـمة والسـماح له بالذهاب الى انطاكيـة وجعله قائدا لجند الشرق • ولم يستطع الامبراطور فعلشيء لأن يديه كانت مغلوله بسبب الحرب مع القوط فلما فرغ منهـا حـوالى ٤٨٠ م طلب من اليوس تسـليم أخيـه فرفض فعزله من قيـادة جيش الشرق وعين حنا Scythian وصـادر أملاكه ونفى أصدقاءه وكان اليوس قد تمكن من تحقيق شعبيه له واستغل عدم الرضى على مرسـوم الوفاق الذى أصـدره الامبراطور واخرج مارقيين من سجنه وطلب مساعدة ادواكر في ايطاليـا وكتب لملك فارس وحـكام أرمينيا وبقد وعدوه المعاونة ولكن هزيمـة الفرس على يد الافثاليين ٤٨٤ م منعتهم من تحقيق وعدهم(٧٢) • وأفرج اليوس عن فارنا التى رحبت بتتويج الشريف ليتتيوس في قلعة Cherris في جبال ايسوريا ٤٨٤ م حيث ماتت فيرنا بعد أيام ، اما القلعة فقد سقطت في يد زينون بعد أربع أعوام في ٤٨٨ م بسبب خيانة بعض القادة وتخلص الامبراطور من اليوس وليتتيوس • وبذلك شغل الامبراطور غالبية عهده بالصراع • سواء على العرش أو مع القوط فقد عاصر عهده سقوط ايطاليـا في يد

---

(٧١) Brooks : op. cit op. cit p 219.
Bury : op. Cit p 344.

(٧٢) Brooks : op. Cit p 214.
Bury : op. Cit. p 344.

البرابرة ، ولم تلق سياسته الدينية نجاحا رغم محاولته التوفيق أما أهم أعماله فكانت تكوين فرق حربية من الاهالى الاصليين للولايات بجانب فرق البرابرة •

وتوفى زينون فى ابريل ٤٩١ وكان لديه ولدان من زوجته الأولى لم يكونا أهلا للعرش وانتحر احدهما أثناء حياة أبيه • وكان زينون يرغب فى أن يلى أخوه العرش ولكن عدم شعبية الأريوسيين منعته من ذلك فعينه Magister على أن يكتسب شعبية فى الجيش تؤهله لتولى العرش ولقد ترك زينون لزوجته اردين اختيار الخلف له ولكن أمام اجماع الشعب والبطريرك واعلانهم عن احتياجهم لامبراطور رومانى ارثوذكى ورفضهم لحكم الأجانب الهراطقة وقع الاختيار على أكبر ضباط التاج ٤٩٠ م – ٥١٨ م وكان انستاسيوس الذى يبلغ من العمر ستين عاما(٧٣) •

سقوط الامبراطورية الرومانية فى الغرب :

توالى على عرش الامبراطورية الغربية عدد من الاباطرة الضعاف فعند وفاة الوبريوس Olybrius أصبح ليو امبراطورا لكلا الشطرين لخلو عرش الغرب ولكن القائد جاندوباد الذى خلف عمه ريكمار كقائد للجيش اختار عمه Glycerlas امبراطورا فى ٤٧٣ م فى رافنا فى نفس الوقت الذى بدأ فيه خطر القوط الشرقين تحت قيادة Widemir حيث بدأوا تحركهم من بانونيا • ولكن جليكرياس استطاع التصدى لهم • ولم يلقى تعيين جليكرياس تأييدا فى القسطنطينية واختار ليو قريبه جوليوس Nepos حاكم دلماشيا وقريب الامبراطورة فى

---

(٧٣) Constantine proph : De Cer. p 192.

يونيو ٤٧٤ م ومع ذلك لم يذكر نيبوس فى التواريخ الشرقية ، وعن أورستيس الذى كان يتمتع بثقة الجرمان ابنــه اغسطس رومولوس امبراطورا لمدة احدى عشر شهرا واضطر نيبوس للفرار من العاصمة فى الوقت الذى عزل فيه زينون . ولقد قام نيبوس خمس سنوات فى سالونا فى الغرب وكان نفوذ القوط قد ازداد وخاصــة أن فرق اورسيتس كانت تتكون من جنود من القوط الشرقيين وعســكرت فى ايطاليا وكان هؤلاء يطمحون الى الاســتقلال عن ســيطرة الرومان وطالبوا بثلث أراضى ايطاليا وكان من الطبيعى ان يرفض أورستيس طلبهم ووجد الجند الثائرون نصــيرا لهم فى القائد أودواكر(٧٤) . فعزل رومولوس وأرسل الى كامبنيا وأعلن الجند أودواكر ملكا ولم يحاول أودواكر تكوين مملكة مستقلة بل سعى لأن يكون نائبا للامبراطور فى أطار الامبراطورية الموحدة .

وكان زينون قد استعاد فى تلك الأثنــاء عرشــه الذى اغتصب منه وارسل اودواكر سفارة الى القسطنطينية من ممثلى سناتوروما تطلب ان يمنح أودواكر لقب شريف وينوب عن الامبراطور فى حكم الغرب اذ لا حاجة لوجود اثنين من الاباطرة وفى نفس الوقت وصلت سفارة من نيبوس تطلب معاونته ضد أودواكر وامداده بالمال . ولقد وبخ الامبراطور أعضاء السناتو الذين تقدموا بمطلب أودواكر وذكرهم بعدم استجابتهم للأوامر الامبراطورية السابقة وذكرهم بما حــدث للامبراطورين السابقين اللذين عينتهما بيزنطــة حيث قتل احدهمــا وعزل الآخــر(٧٥) .

---

(٧٤) Marcellinus : Chron. trans. Baynes.

(٧٥) جيبون : اضمحلال الامبراطورية الرومانية جـ ١ ص ٣١٢ .

Bury : op. Cit p. 423.

Brooks : op. Cit. p 217.

ومع ذلك فقد منح أودواكر لقب Magister MilituM ورفض مديد العون لنيبوس ويرجع هذا لقرابة نيبوس لفرنا . واستمر أودواكر يحكم ايطاليا كنائب عن الامبراطور من ٤٧٦ ـ ٤٩٠ م .

ولقد اتخذت أغلب المراجع عام ٤٧٦ م الذى استولى فيه أودواكر على حكم ايطاليا كعام تؤرخ به سقوط الامبراطورية الغربية . فالامبراطورية البيزنطية تعتبر من الوجهة العملية قد فقدت الشرق نهائيا ، فبعد أودواكر سيكون القوط الشرقيون مملكة تستمر لفتوح جستنيان وان كان بيورى يعارض هذا الرأى فيذكر انه لا وجود لامبراطورية غربية أصلا حتى نستطيع القول بانها سقطت فى هذا العام انما هى امبراطورية رومانية أحيانا يحكمها اغسطس وأحيانا اثنان ويضيف انه اذا اعتمدنا على أن ثيودسيوس الأول قد أقام امبراطورا للجزء الغربى فانه يرى اتخاذ عام ٤٨٠ م وهو الذى توفى فيه نيبوس ـ كدلالة على نهاية حكم الاباطرة الرومان الشرقين فهو لا يعترف بروملوس اغسطس ابن اورستيس كحاكم شرعى بل يرى فيه مغتصبا لايزيد وضعه عن ركيمار(٧٦) .

فى الوقت الذى كانت تجرى فيه هذه الأحداث واجه الامبراطور مشكلة القوط ، حيث بدأوا توسعهم من البلقان الى ايطاليا وكان سبب تجدد الصراع اثنين من القادة القوط هما ثيودريك امالى وثيودريك سترابو والأول كان ابنا لثيودمير ابن أحد ثلاث قادة للقوط وهم وليم ثيودمير ويدمر . وكان مارقيان قد سمح لهم بالاستقرار فى شمال بانونيا كمعاهدين ولكنهم ثاروا على الامبراطورية لرفض ليو دفع الجزية السابق الاتفاق عليها فاجتاحوا اليريا واستولوا على

Camb. Med. Hist. vol I p 437.

تراخيوم واضطر الامبراطور لمسالمتهم ولكنه أخذ ابن ثيودمير كرهينة في بلاطه واختير ثيودريك كخليفة لابيه بعد وفاته وبدأ عهده بالتوسع على حساب الامبراطورية فتقدم من بانونيا الى مو شيا السفلى التى كان يقطنها القوط الغربيون من قبل •

اما الاخر وهو ثيودريك سترابو فانه كان أحد قواد أسبار البرابرة واسمه الحقيقي ثيودريك Triarius وكانت تربطة صله مصاهرة باسرة ثيودومير وبعد موت اسبار اجتمعت حوله الفرق الجرمانية في الجيش الروماني ونادت به ملكا وأرسل يطالب بمنصب قائد جيش in praesenti وميراث اسبار على ان يمنح جنوده تراقيا فلم يستجب الامبراطور لمطالبه ولكن جعله قائدا للجيش فرد على ذلك بمهاجمة مدينة فليوبوليس . واضطر الامبراطور لمنحه جزية سنوية واللقب الذى كان يبغيه •

وعند وفاة ليو تولى زينون العرش وما صاحب ذلك من صراعات واتخذ جانب باسليكوس المغتصب في حين أخذ ثيودريك أمالي جانب زينون ولما عاد زينون لعرشه جرد سترابو من منصبه العسكرى ومنحه لثيودريك امالي الذى حصل على لقب شريف Patrician ومنحه الاراضى التى سبق له الاستيلاء عليها في مواشيا السفلى الى جانب منح مالية وأعلن تبنيه له • وكان هدف الامبراطور من ذلك ضرب العناصر القوطية بعضها بعضا واستغلالها لتدعيم سلطانه والتخلص من اليوس لزيادة نفوذه واستعان في البداية بامالي ولكن ما لبث أن انقلب ضده فاستعان بسترابو واستمر زينون يدعم أحيانا فريق استرابو وأحيانا امالي وفي ٤٧٩ نجحت القوات الامبراطورية في طرد امالي من تراقيا وان ظلت مقدونيا تحت رحمته وهاجم سترابو سالونيكا وهرقليا واحتل دراخيوم وحاول حصار القسطنطينية ولكنه هزم ثم اجتاح تراقيا وطلب الامبراطور مساعدة البلغار ضده

ولكنه حاول سترابو العبور الى بيثينا(٧٦) • ثم عاد الى بلاده حيث توفى ٤٨١ م اما ثيودريك فعمى فقد اجتاح مقدونيا وتساليا ولاريسا Larrisa فى ٤٨٢ م وأرسل زينون ضده قوة لم تحقق نجاحا ونتيجة لذلك استقبل زينون ثيودريك الى القسطنطينية ومنحه لقب ... ثم عينه قنصل على أراضى فى داكيا وموائيا السفلى فى ٤٨٣ م وقد انشغل ثيودريك خلال عام ٤٨٥ م بالغزو البلغارى من القدم(٨٨) • ولقد استطاع اعادة الوحدة للجيش وتحقيق انتصارات وفى ٤٨٦ م عاد لاحتياج تراقيا من جديد(٧٨) •

ومع ذلك فأثناء الصراع بين الامبراطور زينون واليوس أعان ثيودريك الامبراطور فى حين أعان أودواكر المغتصب اليوس ولقد أثار الامبراطور ضد أودواكر قبائل الريجويينز Rugians ولكن استطاع أودواكر هزيمتهم • ولقد فكر الامبراطور فى وسيلة لتأديب أودواكر وفى نفس الوقت تخلصه من ثيودريك فعقد اتفاقية فى ٤٨٧ م مع ثيودريك آمالى نصت على اتجاهه الى ايطاليا لانتزاعها من يد ثيودرك(٧٩) ، ونص الاتفاق على أن يحل محله لحين قدوم زينون بنفسه ولقد استغرق الصراع بين أودواكر وثيودرك من ٤٨٩ الى ٤٩٢ م حتى دانت ايطاليا للقوط وبذلك تخلص زينون من القوط فلقد فضل أن يذهبوا الى ايطاليا على أن يهددوا عاصمته أو أن يجاوروه فى البلقان وبذلك تخلص الشرق منهم على حساب الغرب(٨٠) •

ورغم عدالة ثيودريك بالنسبة لحكام الغرب من البرابرة الذين سبقوه وعدم استعماله العنف تجاه مخالفيه حتى أن رجال الدين

---

(٧٠) Ostrogorsky : op. Cit. p 58.
Bury : op. Cit. p 421.
(٧٨) Marcellinus chron. Sub. p. 485.
(٧٩) Ostrogorsky : op. cit p 50.
(٨٠) Camb. Med. Hist Vol I 43.

الكاثوليك اعترفوا بما لا قوه من حفاوة وتكريم ولم يحدث فى عهده الطويل ان كاثوليكيا ايطاليا واحدا تحول الى مذهب الفاتح طواعيــة أو كرها ، ومنح الحصـــانات العادلة للكنيســة وممتلكاتهـا ، وكان الاساقفة يعقدون مجالسهم الكنسية ورؤســاء الاساقفة يمارســون سلطتهم القضائية . واستمتع الشعب والسناتو فى عهده بكثير من المزايا فاجتذب نبلاء روما بما اغدقه عليهم من صفات رنانه ومناصب رسميــة ، كتلك التى كان يتمتع بها أجدادهم . واستمتع الشــعب بالرخاء والنظــام وازدهرت التجارة .. وذكر ثيودريك انه يحــكم بمقتضى القانون ويتوخى العدالة فى أعمـاله . ولكن كل هــذا لم يجدى نفعا لأريوسيته ولقد أدى تعصب رعاياه الى دفعه فى نهاية الأمر للأخذ بسياسة الاضطهاد(٨٢) .

المشكلة الدينية وصيغة الوفاق :

ظلت المشكلة الدينية من أهم الموضوعات التى تؤرق الامبراطور زينون ولقد أثار قرار مجمع خلقدونية كثير من المشاكل وخاصــة فى ولايات الامبراطورية الشرقية .

وقامت ثورات مصحوبة بالعنف قادهـا المونوفزيتين فى مصر وخاصـــة بعد وفــاه مارقيان وأعلنوا Timothy Alurus بطريركا فى حين قتــل البطريرك بروتريوس ومثلت بجثته ، وأرســلوا الى ليو يدعونــه لعقد مجمــع جديد ، ولـــا ســأل ليو أساقفــة روما والقسطنطينيــة وأورشليم عن رأيهم رفضوا هــذا المطلب وادانوا تيموثى وشيعته ولقد نشبت فى انطاكية اضطرابات مشابهة اثنــاء الصراع بين زينون وباسـليكوس(٨٣) وأعلن باسـليوكس تأييــده

---

(٨٢) جيبون اضمحلال الامبراطورية الرومانية جـ٢ ص : ٣٦٥
Gregoire : The Byzantine Church. p. 100 - 102.

(٨٣) Gregoire. H. The Byzantine church p 102.
Brooks : op. cit p 584.

للمنوفزتين ومعارضته لمجمع خلقدونيـة وقرارات ليو مما أثار عليه غضب الشعب والرهبان فى القسطنطينية فاضطر للتراجع فى قراره . وأدى هذا لاشتعال الثورة ضده ســواء من جانب القبط أو المجموعة الارثوذكسـية . ولما استعاد زينون عرشه حـاول التوفيق بين المنوفزتية ومذهب الدولة باتفاق مع بطريرك العاصمة Acacius ومستشاره Peter Mongus المنوفزتى فأعلن زينون مرسوم التسامح الشهير الذى عرف باسـم Henotikon فى خطاب موجـه لكنيسـة مصر ٤٨٢ . ولقد اعترف بالمجامع الثلاثة السابقة وان كان قد تجنب ذكر طبيعـة واحـدة أو طبيعتين وذكر أن كل من نسـطوريوس واوتيخوس على حق وفى نفس الوقت الذى أكد على صحة نظرية نيقية والقسطنطينية وحرم كل من يعتنق نظرية أخرى خلقدونيـة أو غيرها وفى البـداية رحب المنوفزيت بالقـرار ولكن ما لبثوا أن رفضوه . كما رفضه من البداية أهل القسطنطينية وعارضـه البابا سيمبليوكس وحرم البطريرك أكاكيوس وبطريرك الاسكندرية ورد هذا بازالة اسم البابا من الصلاة .

ولكن من أهم القـرارات التى أكدتهـا صـيغة الوفاق حق الامبراطور فى تقرير العقيدة .

أنستاسـيوس :

أحد الشخصيات القديرة التى تولت العرش البيزنطى فكان من أكثر حكام بيزنطة كفائه فى ادارة أمور الدولة . ومع ذلك فلم يلق حكمه شعبيه بالنسبة لأهل القسطنطينية لعدم ميله الى الارثوذكسية وتأييده للنحل الشرقية كالمنوفزتيةوربما مرجعهذا لامه الاريوسية(٨٤). وبدأ عهده بالاجراء المعتاد عند تولية أغلب الاباطره وهو الاعفاء من

---

(٨٤) Gregoire : op. cit P 100 - 103.
Finaly : History of Greece Vol I p 180.

عارض زكرياس ميتوكس انه منوفزتى .

عدد من الضرائب استجلابا لرضى الشعب ، ولكنه سعى لايجاد اصلاحات جذرية فى نظام الضرائب وجمعها فجعل مسئولية جمع الضرائب تحت اشراف بريتوريين يطلق عليهم Vivdius ورفع عن الصناع والقطاع العامل من الشعب ضريبة الحرف ، فأدى هذا لتوزيع الأعباء وانتعاش التجارة والصناعة ولكن اضطر لوضع أعباء اضافية على الزراعة فبدأ بفرض دفع ضريبة Annoua ذهبا ثم أمر بالبيع الاضطرارى للسلع الحيوية بثمن منخفض فاضطر القطاع الزراعى لتحمل نتائج الانتعاش فى التجارة والصناعة ولقد ترك عند وفاته ٣٢٠ ألف قطعة ذهبية . ومع ذلك فقد ذخر عهده بعدد من المشاكل والثورات ورغم الموافقة العامة التى حصل عليها من جميع الطوائف عند توليه العرش فان الايسوريين كان من الطبيعى الا يسلموا ببساطة بفقدان نفوذهم فثاروا ضده مستغلين غضب الناس على والى المدينة جوليان الذى جرت محاولة لاعتقاله فى الهيدروم(٨٥) فأمر الامبراطور جنوده بالقضاء على رؤوس الفتنه ولاخمادها عزل جوليان وطرد الايسوريين ونفى اخو زينون Longinus وصادر قصور الامبراطور السابق وتجمع الايسوريين تحت قيادة لونجنيوس ، انثيودورس Anthenodorus, Linginines ولكنهم هزموا فى ٤٩٢ م فى جاتيوم فى فريجيا وعادوا الى مواطنهم فى جبال ايزوريا وقطعت رؤوس مثيرى الفتنة ولكنهم عادوا للثورة ثانية فقرر اجلائهم وتوطينهم فى تراقيا ولقد عانى الشعب الايسورى من تلك المحنة كثيرا وتناقصت أعداده رغم انهم ما زالوا يعتبرون موردا بشريا هاما للجيش لكن سيطرتهم السياسية قد انتهت وتعلم الاباطرة من هذا درسا هاما وهو الاعتماد على القوات المحلية وعدم الاستعانة بالمتبربرين ولم تكن تلك المشاكل الداخليه

(٨٥) John Mal XVI. p 392 John Lydus : I 47. Brooks : op. cit p 235.

كل ما واجهه فقد واجهته مشاكل أخرى خارجية تتمثل فى هجوم Blemmyes على مصر و Mazices على نيبيا والتزانى فى بونتس والعرب فى الفرات(٨٦) وفى ٤١٥ م هاجم قبدوقيا Sabeirol ولكن أخطر الاعداء كانوا البلغار .

السياسة الخارجية

بيزنطة والقبائل العربية :

فى ٤٩٨ م اجتاح النعمان بن المنذر ملك الحيرة حليف فارس الولايات الشرقية ، ولكن لقى هزيمة فى الفرات على يد القائد ايجبيتوس حاكم ملطية فى نفس الوقت الذى ثارت فيه قبائل الاغالبة والغساسنة التابعة للرومان بقيادة حجر بن جبله وهزمهم رومانوس حاكم فلسطين وأجبرهم على دفع جُزية . وفى ٥٠٢ م قام حجر بهجوم جديد وأعانه على ذلك انشغال بيزنطة بأمر الحرب الفارسية ولكن عقد سلام مع قائد الاغالبة الحارث ٥٠٣ م .

الحرب الفارسية :

تولى قباذ عرش فارس ٤٨٨ م وبدا عهده بمطالبة بيزنطة بمده بمساعدات حربية وماليةللدفاع عن أبواب القوقاز وفقا للاتفاقيات السابقة ، ورفض الامبراطور الاستجابة لطلبه . ولكن قيام ثورة فى أرمينيا منعه من اتخاذ أى اجراء ضد بيزنطة ومع ذلك استغل انشغال الامبراطور بمشكلة الايسوريين لمعاوده مطالبه ، وعزل قباذ فى ٤٩٦ م ولكنه استطاع استعادة عرشه بمساعدة الافثاليين فى مقابل وعود مالية ، فطلب المساعدة من انستاسيوس الذى وعد

(٨٦) Marcellinus : Ssba p 488.
Procopius : op. cit p 13.

بمساعدته على شرط أن يكون فى شكل قرض لا هبة أى أن عليه سدادها ، فرفض قباذ وهاجم أرمينيا البيزنطية فى ٥٠٢ م واستولى على ثيودبوليس(٨٧) • ودخل كونت أرمينيا فى خدمة الفرس ولم تكن لبيزنطة حامية قوية الا فى منطقة قسطنطينا وأرسل الامبراطور سفارة لقباذ تعرض السلم والجلاء عن أراضيها مقابل فدية مالية ، ولكن قباذ رفض وقبض على الرسل • وتقدم الفرس الى ملطية ثم اميديا فى ٥٠٣ م وأرسل انستاسيوس عددا من الفرق الامبراطورية لم تحقق فى البداية نجاحا • وكان قباذ قد فشل فى الاستيلاء على قسطنطنيا والرها فقرر الامبراطور ارسال رئيس بلاطة Celer الذى كان يتمتع بالمقدرة والشخصية القوية المحببة من القادة(٨٨) • ولقد استطاع اعادة الوحدة للجيش وتحقيق انتصارات عديدة واعادة ارمينيا لبيزنطة وأرسل قباذ قائده spahpat ليعرض السلام على سيلرز وفى البداية رفض القائد البيزنطى ولكن عاد وقبل بعد فشله فى الاستيلاء على ايميديا وانتهت المفاوضات بالاتفاق على التخلص من بعض القادة العرب فى كلا الطرفين ، ومنح انستاسيوس اعفاءات للمدن التى قاست من الحصار • ولكن عكر صفو السلم قيام انستاسيوس ببناء قلاع دفاعية فى دارا ووفقا لمعاهدة ٤٢٢ م فانه كان عليه استشارة الفرس أولا ، ولكن انشغال قباذ بحروب مع الهون لم يتح له فرصة اتخاذ خطوة ايجابية وانتهى الأمر بعقد صلح لمدة سبع سنوات وافقت فيه بيزنطة على دفع تعويض بخصوص نقض العهد بالنسبة لدارا •

البلقـــان :

عانت الامبراطورية كثيرا فى تراقيا نتيجة لمغادرة القوط المنطقة

---

(٨٧) Marcellinus : Suba p 500.

Bury : op. cit p 30.

(٨٨) Camb. Med. Hist. Vol I p 481.

اذ خلت من قوة دفاعية فعالة . وقد تعرضت المنطقـة لخطر جديد متمثل في البلغار وهم قبائل ترجع الى أصـل تركى وهـذا الفرع ينتسب الى Unogundurs وقد هزموا جيشـا يقوده القائـد جوليان ٤٩٣ م وأبادوا ثلاث أرباع جيش ايليريا وتأمين العاصمة أمام غزوهم أقـام الامبراطور سـور من Propontis فى البحر الأسود يمتد أربعين ميلا قرب القسطنطينية ولقد استغل الاضطراب القائم لاجتياح مقدونيا .

انستاسيوس وثيودريك :

أما بالنسبة لعلاقة انستاسيوس بالامبراطورية الغربيـة فقد حرص ثيودريك على عدم اثـارة أى مشـاكل تتعلق بوضـعه مع الامبراطور الجديد فهو حاكم مستقل ، ولكن هناك عدد من الحدود التى وضعت لتأكيد سلطة الامبراطورية الشرقية فليس من حقه اصدار قوانين انما مراسـيم فقط Edicta وعدم اصـدار عمله الا بعد استشارة الامبراطور الشرقى وعقد فى بداية عام ٤٩٧ م اتفاق مع ثيودريك نصت شروطه على وضـع مملكـة القوط فى ايطاليا(٨٩) ولكن نشب الخـلاف مـع بيزنطـة بسـبب مشـكلة قبـائل الجبيـد التى هـاجمت أراضى الامبراطوريـة فى سرميوم . مما أدى الى اشـتباك ثيودريك مع قوات الامبراطوريـة ٥٠٤ م . الى جانب أن فرع من الهون يسمى الماندو هاجموا البلقان وطلبوا المعاونة من أحد قادة القوط ، وأرسل الامبراطور قواته التى هزمت الماندو وأمر القوط بالجـلاء عن سرميوم والتزام حدودهم ، ولقد طلب انستاسيوس باسـتعادة الثروات التى أخـذها أودواكر من زينون ، ولكن عاد الوئام لانشغال ثيودريك بخلافه مع الفرنج بعد حصول ملكهم كلوفيس على لقب قنصل(٩٠) .

---

(٨٩) Procopius. B. G. III, 2.
Bury : op. cit p 430.

(٩٠) Ostrogorsky : op. cit p 62.
Cam . Med. Hist. Vol I p 85.

المشكلة الدينيــة :

عندما تولى العرش اعترف بعقيدة الارثوذكسية كما وردت فى مرسوم الوفاق الذى أصدره زينون ولكنه كان من أشـــد المتحمسين للمونوفزتية ولقى موقفه تأييدا من أقباط مصر ومن السوريين ونقد جلب عليه هذا غضب أهل القسطنطينية . ولقد ثارت فتنة فى ٤٩٣ م كـــادت تكلف الامبراطور عرشـــه . وســـبب الفتنـــة أن البطريرك بطريرك القسطنطينية Euphemus الذى كان قد عارض تولى انستاسيوس العرش . قد أرســل الى أسقف رومافليكس وهو من [illegible] يطلب مساعدتـــه وكان يعد تحمـــله [illegible] [illegible] بذورهـــا [illegible] . [illegible] انستاسيوس مجمعا أيد صيغة زينون وخرب يتعيوس ٤٩٦ م [illegible] الى نشوب شغب اشتركت فيه فرق السرك من الزرق والخضر [illegible] أن الخضر كانوا من مؤيدى المونوفزتيـــة ، فى حين كان الزرق من أنصـــار الارثوذكســـيه ولقد طـــالب الزرق بعودة البطريرك ولكن الامبراطور لم يستجب وعين مقدونيوس(٩١) .

وفى ٤٩٨ م [illegible] بسبب قبض الوالى على بعض أفراد من حزب [illegible] الامبراطور ولم يعـــرف مصدره وحرق جزء من [illegible] وحطمت تماثيل الامبراطور . واضطر الامبراطور لتعيين والى جديد هو بلاسس .

ثم حـــدثت فتنـــة جـــديدة ٥٠١ م بسبب عيد وثنى يسمى Brytae كان يتضمن شعائره الرقص فحدث شغب بين [illegible]

---

(٩١) Marcellinus : Suba 505.
H. Gregoire : Le peuple de Constantinople 112.

والخضر انتهى بالغــــاء الاحتفــــال(٩٢) وفى عام ٥١١ م لقى
البطريرك مقدونيوس مصير سابقه فقد اتهمه المنوفزيت بالتآمر ضــد
الامبراطور وخاصــة بعد ان اخــذ الامبراطور خـــطوات أبعد فى
الاتجــاه نحو المنوفزتيــة وعــزل بقرار صـــدر من مجمــع فى
أغسطس ٥١١ م ، وقد أدى زيــادة اهتمامه بالمنوفزتيين الى اثارة
العاصمة عليه وخاصــة بعد وصــول راهب منوفزتى هو سفريوس
سوزبوليس وصل الى القسطنطينية مع مئتان من اتباعه • واثاروا
الشعور بتراتيلهم فى كنيسة أيا صوفيا فاشتبك معهم رجــال الدين
الأرثوذكس ورغم تمكن [illegible] القضــاء على ما أثاروه من
القلاقل • فقد تجدد شغبه تجديدا يوم الأحد الرابع من نوفمبر ٥١٢ م
فقتــل الأهــالى الرهبــان المنوفزيت ونصبوا امبراطورا مناوءا هو
Areobindus وزوجته أصلا من بيت تيودسيوس وحرقت الجماهير
منازل عدد من القادة وهاجمت القائد سلر بالحجارة وذهب الامبراطور
الى السيرك استجابة لطلب الشعب الذى طالبه بعزل موظفيه وولاته
وأمام الضغط الشعبى وعـد الامبراطور بعزلهم • وقد رجــع
الامبراطور لمذهب التوفيق الذى لم يجد استجابــه من الفريقين
وطالب البابا برفع اسم اكاكيوس من الكنيسة فى نفس الوقت الذى
ثارت فيه مشكلة فى أنطاكية بسبب عزل بطريرك انطاكية فلافيـــان
وانتخــاب سفيريوس أحد زعمــاء المنوفزتيــة • وعقد مجمــع فى
صــور ٥١٣ م ألغى قرارات خلقدونيــة وأكد قـــرار التوفيـــق
بعد اعتباره تسوية منوفزتية وقد امر الامبراطور والى فينيقية
بعدم استخــدام وســـائل العنف ولكن تحت ضغــط المنوفزت طبقت
سياسة الارهاب التى وصلت لدرجة المذابح مما عرضه لثورة جديده
كانت فى تراقيا تلك المره •

---

(٩٢) Vasiliev : op. cit. p 114.
Gregoire : op. cit p 101.

ففي ٥١٣ قامت ثورة جديدة بسبب سياسته الدينية ووصلت شعبيته الى الحضيض وكان من الطبيعي أن يستغل أحد القادة الطامعين الوضع وخاصة لسياسة الامبراطور تجاه البلغار فقاد Vitelian قائد الجند في تراقيا ثورة وادعى أنه بطل الأرثوذكسية وتصيرها وتقدم الجيش والإسطول لأسوار القسطنطينية ولم يكن لدى الامبراطور جيشا كافيا لمواجهته واضطر الامبراطور للتراجع عن سياسته المنوفزتيه التي اثبتت فشلها ومع ذلك فقد تمكن الامبراطور من هزيمته ٥١٥م ولقد توفت الامبراطورة في هذا العام ولحق بها الامبراطور وهو في الثمانين في يوليو ٥١٨ م ولم يكن له أولاد ولم يعين خلفا له(٩٣) .

---

(٩٣) Bury : op. cit p. 435.

الملاحق

(١) مرسوم ميلان • ايوربيوس أسقف قيصرية •

(٢) حياة القديس انتونى • بقلم اثناسيوس •

(٣) احتجج ضد الاريوسيين • بقلم اثناسيوس •

(٤) مرسوم ثيودسيوس وفالنتيان الى فلورنتيوس والى الشرق •

(٥) نسب أباطرة بيزنطة •

مرسوم ميلانو (٣١٣م)

المراسيم الامبراطورية لقسطنطين وليسنيوس

بناء على حرصنا منذ الأيام الماضية أن لا يحرم أحد من حرية العبادة وان لكل فرد ، تبعا لفكره وهدفه ، السلطة المعطاه له لأن يمارس ويرعى الامور المقدسة بالطريقة التي تلائمه اكثر . فقد كنا قد اصدرنا الأوامر بأنه للمسيحيين (ولجميع الآخرين) الحرية فى أن يحافظوا على عقيده مذاهبهم الخاصه وديانتهم • ولكن بالقدر الذى يبدو أن كثيرا من الحالات المختلفه تداضيفت الى ذلك المرسوم الامبراطورى(١) والتى منحت فيها مثل هذه الحقوق الى نفس الناس الا أنه يبدو بالصدفة ان بعضهم قد حرم من هذه العناية بعد ذلك بفتره قصيره •

وعند ما جئنا ، أنا قسطنطين أغسطس وأنا ليسنيوس أغسطس فى ظروف سعيدة الى ميلان ، وناقشنا كل الأمور التى تتعلق بمصالح الشعب وخيره ، ضمن الأمور الأخرى التى تبدى فيها الخير للكثيرين ، فقد عزمنا على أن نصدر مثل هذه المراسيم التى تؤكد الاحترام والتقديس للرب ، وذلك بمنح المسيحيين وللجميع حرية الاختيار فى اتباع اى طريقة للعباده يحبونها وذلك بقصد ان تكون كل القوى الربانيه راضيه علينا وعلى كل اولئك الذين يعيشون تحت سلطتنا •

---

١ ـــ Rescript او مرسوم تعنى طبقا لما جاء فى قاموس اكسفورد اجابة مكتوبة من الامبراطور الرومانى على التماس للاسترشاد وخاصة من القضاء حول نقطة قانونية ، رسالة مكتوبة من العليا كاجابة على سؤال ، اى قرار بابوى . مرسوم او اعلان من الحاكم او الحكومة .
Eusebius : The Ecclesiastical History, Vol I p 315 , 316.

وعلى ذلك ، وبفعل سليم ومستقيم قد قررنا الا يحرم أحد من حق ان يتبع وان يختار طريقه او شكل العباده التى يمارسها المسيحيون، وان تمنح الحرية لكل فرد حتى يكرس فكره وقلبه لهذا الشكل من العبادة التى يراها مناسبة لنفسه وذلك بقصد أن يمنحنا الرب .. رعايته المنشودة وكرمه فى كل الأمور . وكان من المناسب أن نرسل مرسوما بأن هذه هى رغبتنا وذلك حتى اذا الغيت كل تلك الحالات التى تضمنتها خطبتنا السابقة الى قداستكم والمتعلقة بالمسيحيين فان تلك الأشياء أيضا التى تبدو ضالة كلية وخارجة عن عطفنا تزال وحتى يكون الآن على كل واحد من أولئك الذين كانوا ذوبهم نفس الهدف - أى مراعاة شكل المسيحيين فى العبادة ، وأن يحافظ على هذا الأمر ذاته بحرية وببساطة وبدون أى عقبة . أى الأمور التى عرضت على ظهرها فى أكمل صورة لرعاية قداستكم بقصد أن تتفضلوا بمعرفة أننا قد منحنا هؤلاء المسيحيين أنفسهم سلطة حرة وغير مقيدة لمراعاة أى طريقة يرغبونها . هذه السلطة لأن يختار ويحافظ على أى طريقة يحبها وقد فعلنا ذلك بقصد الا يبدوا اننا قد تراجعنا بأى صورة عن اى شريعه او شكل للعبادات .

وهذا ، فضلا عن ذلك ، فيما يتعلق خاصه بالمسيحيين ، فنحن نقرر : ان أماكنهم ، حيث كانت رغبتهم الاجتماع ، التى بشأنها تضمن خطابنا السابق الصادر لقداستكم مرسوما محددا كان قد وضع ، اذ ظهر أن أيا منها قد ابتاعها أحد سواء من خزانتنا أو من أى مصدر آخر فلابد من ارجاعها الى هؤلاء المسيحيين أنفسهم بدون دفع أى شىء او طلب للتعويض واضعين جانبا كل اهمال او شك ، واذا تصادف ان أخذت هذه الأماكن عن طريق الهبة فلابد من ارجاعها بكل سرعة الى هؤلاء الذين حصلوا عليها عن طريق الهبة التماس كرمنا فدعهم يتصلون برئيس الحى بقصد أنه من خلال عطفنا ينظر اليهم أيضا .

وهذه الامور كلها لابد من تنفيذها [illegible] المسيحيين عن طريق الرعاية الغيورة بكل سرعه وبلا تأخير .

وليس فقط أن هؤلاء المسيحيين أنفسهم كانوا يمتلكون تلك الأماكن التى رغبوا فى الاجتماع فيها بل أيضا معلوم أنهم كانوا يمتلكون أماكن أخرى ، لا تخص أفراد منهم وانما تخص الملكية الشرعية لمؤسستهم ، أى المسيحيين .

فبناء على نصوص القانون المذكور آنفا . عليك أن تعطى الأوامر باعادة كل تلك الأماكن بدون أن سؤال أيا كان الى هؤلاء المسيحيين أنفسهم . بمعنى الى مؤسساتهم وجماعتهم بالاضافة الى من ذكر من قبل . الى أن هؤلاء الناس الذين يستردون تلك الأماكن بدون أى تعويض كما ذكرنا عاليه . يمكن أن يتطلعوا الى تعويض ، بالقدر الذى يتعلق بهم من كرمنا .

وفى هذه الأمور ينبغى أن تستعمل كل الصلاحيات فى سلطتك من أجل مؤسسة المسيحيين التى سبق ذكرها ، أيضا ومن خلال كرمنا أن ينظر الى سلام العامة والشعب . حيث أنه بهذه الطريقة ، كما ذكرنا أيضا من قبل ، فان الرعاية الالهية لنا ، التى خبرناها فى كثير من الأمور . ستبقى وطيدة ودائمة ، وكذلك من أجل اعلام الجميع بالشكل الذى جاء فى مرسومنا هذا ، ومن المناسب أن تعطى أوامرك بأن يعلن كل ما كتبناه وان ينشر فى كل مكان وان يصل الى علم الجميع وذلك بقصد ان هذا الأمر الذى يجسد عطفنا لا يجهله أحد .

حيـاة القديس أنتونى

بقلم أثناسيوس ، أسقف الاسكندرية(1)

والآن ، كان أنتونى المبـارك مصريـا من حيث الجنس وكان سليلا لأسرة نبيلة ، وكان فى الحقيقـة يملك عبيدا . كان أجداده مؤمنين وقد تربى منذ طفولته المبكرة على خشية الله ، وعندما كان طفـلا يربى بين أهـله لم يكن يعرف شـيئا عن أبيـه وكان عقله متواضعا حتى أنه لم يرهق والديه بعملية اثارة الأسئلة كان متواضعا للغاية وكان أمينا بلا حدود . لم يكن قادرا على القراءة أو الكتابة وذلك لأنه لم يستطع أن يتحمـل سـلوك الاطفـال الخشن (فى المدرسـة) .

وعندما توفى أبواه كان عمره حـوالى ثمانى عشرة أو عشرين عاما ، وحدث أنه كان عليه ان يكون سيد البيت واخته . وحدث ذات يوم عندما كان فى الكنيسـة أن دخلت فكرة صالحة الى عقله وبدأ يتأمل فى داخل نفسه كيف تجاهل (نسى) رسلنا المباركون كل شىء وتبعوا « مخلصـنا » ، وكيف أن الآخـرين الذين خلفوهـم وساروا على خطاهم وباعـوا كل شىء ، كانوا يمتلكونه ووضـعوا الأموال عند أقدام الأنبياء بغية أن تصرف على الفقراء . وبينمـا هـو يتأمـل فى هـذه الأمـور كان الدرس يقرأ وسـمع « سيدنا » الذى قـال للغنى « اذا كنت تود أن تكون كاملا فاذهب وبع كل شىء تملكه وأعط الفقير ، وخذ صليبك واتبعنى ، وهنـاك سيكون لك كنز فى السماء » .

---

(1) Palladius; Hierongmas : The Book of paradise : trans by- E. A. W. Budge Vol I p 81 - 12.

وفى أول يوم للأسبوع آخر دخل الكنيسة فى وقت قراءة الكتاب المقدس واستمع الى كلمة « سيدنا » لحوارييه « لا تلق بالا الى الغد » .

وفى الحال استقبل الأمر بتقبل ، وخرج وفرق ما بقى له عند أخته بين الفقراء . ولم يأخذ القديس أنتونى نفسه الى الجبل على مسافة بعيدة من القرية وانما على مسافة كافية هناك حتى يكون على قدر من البعد عن سكنى الرجال . وفى ذلك الوقت وفى قرية أخرى على حدودهم كان يوجد رجل عجوز صالح الذى عاش منذ شبابه حياة العزلة والزهد ، وقد رأى القديس أنتونى هذا الرجل وكان حاسدا لأفعاله الخيرة . فأولا قد بدأ هو أيضا الحياة فى جانب القرية : فى أماكن خالية من أقدام الرجال ، وبينما كان يعيش فى هذا المقام كان عقله يعتصره الشك حول الأفعال الخيرة لحياة الزهد ، ولم يعط سكينة لروحه حيث أنه كان فى تأمل دائم حول الحقيقة .

وكان يسأل أسئلة فربما يتعلم شيئا عن أى من الرجال الصالحين الذين كانوا فى ذلك المكان ، فقد اعتاد فى عنفوان حبه أن يتقدم بكل جهد باحثا عنه (أى الرجل العجوز الذى سبق ذكره) ولم يعد فى البداية فى مكانه الخاص به بدون استقبال شخص رجل الله أولا . وبهذه الطريقة فقد أخذ هو نفسه من رؤية كل واحد من الرجال الاتقياء مؤونة من أجل الطريق الرائع وعلى هذا كانت طريقة حياته فى بداية زهده . وقد درب أفكاره جيدا فى بداية حياته على الصواب والتقوى حتى لايشعر بأى طريقة بالقلق على أسرته ، أو أن يكون مقيدا بحب الأهل ، أو أن يكون موثوقا بأمور هذه الدنيا المؤقتة ، من كل ذلك حرر نفسه حتى يكون قربانا طاهرا الى الرب ، الآن لقد تعود أن يكدح بيديه حيث أنه

سمع الكلمات « اذا لم يعمل الرجـل فانه سوف لا يأكل » ، ومن القليل جدا من نتاج العمل بيديه كان يزود نفســه بالطعام ويصرف الباقى على الفقـراء . وكان يصـلى دومـا حيث انه قـد سـمع الكلمات « صل ولا تجعلها مرهقه لك » . وكان شغوفا بالاستماع الى قراءة الكتـاب المقدس بطريقـة لاتضـيع كلمـة هبـاء . ومنذ ذلك الوقت تذكر دائما الوصايا التى سمعها وأصبحت بداخله تماما مثل الكتاب المقدس .

والآن كان القديس أنتونى مخزنا للصـيام والصـلاة والسلوك الزاهد ، وللتحمـل الصـبور وللحب وللتقوى التى هى أم لهـذه جميعا ، ولكن بالنسبة للرهبان الصغار لم يكن حاسـدا ما عدا فى أمر واحد فقط ، بمعنى لم يكن ليقبل ان يكون تاليا لأى منهم فى الأعمال الخيرة . وقد قام بالأمور بطريقة لم تجعلهم حاسـدين له فقط وانما كانوا يبتهجون به ويقدمون صلاة الشكر من أجـه . وقد اعتادوا أن يلقبوه « ثيوفيلوس » التى تعنى « محبوب الله » وقد اعطاه كل الاتقياء هذا الاسم ، وقد أحبـه بعضهم كأخ وأحبـه البعض الأخر كأبن .

– احتجاج ضـد الاريوسـيين

(حـوالى سـنة ٣٥٠)

١ – ان شعب الكنيسة الكاثوليكية بالاسكندرية ، وهو تحت حكم قداسة الاسقف اثناسـيوس ، ليعلن هـذا الاحتجـاج باسـم أولئك المذكور اسماءوهم بعد .

لقد احتججنا من قبل ضـد الاعتداء الغادر الذى وقـع على أنفسنا وعلى بيت الله ، رغم انه فى الحقيقة لم تكن هناك حاجـة الى احتجاج فيما يتعلق بالاجراءات التى أعلنت للمدينة كلها فعلا . حيث أن جثث المذبوحين التى تم اكتشافها قد عرضت على الملأ ، كما ان القسى والسهام والأسلحة الأخرى التى وجدت فى بيت الله تعلن بصـوت عال عن الظلم الفادح .

٢ – ولكن بينما قد أعلن احتجاجنا فعلا فان الدوق سيريانوس الموقر يحـاول جاهدا الآن أن يرغم كل الرجال على الموافقة معه كما لو أن شغبا وحدثا كبيرا لم يحدث أو أن أحدا لم يهلك .

وبينما أيضا ، عندما ذهبنا اليه ورجوناه الا يقوم بأى عنف ضد أى واحد وألا ينكر ما فقد أمر بأن نضرب ، بصفتنا مسيحيين بالهراوات معطيا بذلك مرة أخرى البرهان على الاعتداء الفادح الذى وجه ضـد الكنيسة .

ولذلك ، فنحن نعلن أيضا هذا الاحتجاج ونحن متأكدون اننـا مقبلون على السفر الى الورع الإمبراطور أوغسطس ، ونحن نعهـد الى ماكسيموس ، والى مصر والمتصرفين ، باسـم الله العظيم ومن

Athanasius : Orations against the Arians (Ed Bright Oxford 1873).

أجل انقاذ الورع انتقى الاغسطس قسطنطنيوس ، ان ينقلوا كل هذه الأشياء الى أوغسطس انتقى والى سلطة الولاة (Prefects) العظام . ونحن نعهد أيضا الى حكام كل الولايات ان ينشروا هذه الأمور فى كل مكان وأن يحملوها الى مسامع أغسطس الورع ، والى الولاة والقضاة فى كل مكان حتى يعلم الجميع أن حربا قد شنت ضد الكنيسة وانه فى عهد الأوغسطس قسطنطنيوس الوالى سيريانوس قد جعل عذارى وآخرين كثيرين شهداء .

٣ ــ عندما بزغ فجر اليوم الخامس قبل الأسبوع الأول من فبراير أى الرابع عشر من شهر أمشير وبينما نحن ساهرون فى بيت الله ومشغولون فى صلواتنا (حيث كان هناك قداس على الاستعداد) فجأة حوالى منتصف الليل هاجمنا الدوق سيريانوس العظيم وهاجم الكنيسة ومعه ألوية كثيرة من الجنود بسيوف عارية وحراب وآلات أخرى من آلات الحرب وهم لابسون الخوذات على رؤوسهم ، وحتى ونحن نصلى وبينما تقرؤ الدروس فقد حطموا الأبواب . وعندما انشقت الأبواب مفتوحة تحت عنف الجموع أعطى أوامره وأطلق بعضهم سهامهم ، صاح آخرون وقعقعت أسلحتهم ، وبرقت سيوفهم فى ضوء المصابيح وفى الحال ذبحت العذارى وكثير من الرجال وقعوا تحت الأقدام (داسوهم) ووقع كل منهم على الآخر عندما هاجمهم الجنود ، ومزقت السهام العديدين وهلكوا . كما شغل بعض الجنود أنفسهم بالنهب وجردوا العذارى عاريات واللاتى كن خائفات من أن يلمسوهن أكثر من خوفهن من الموت .

٤ ــ وظل الاسقف جالسا على عرشه وتضرع الى الجميع أن يصلوا قاد الدوق الهجوم مصطحبا معه هيلاريوس الموثق الذى يظهر دوره فى الاجراءات فيما تلى ذلك . أمسك بالاسقف وبالكاد نجا من التمزيق الى قطع ، وبعد وقوعه فى حالة من فقدان الوعى

وظهوره كرجل ميت ، اختفى من بينهم ولقد ذهب لانعرف الى أين • لقد كانوا تواقين الى قتله • وعندما رأو ان الكثيرين قد هلكوا أعطوا الأوامر الى الجنود ليزيلوا جثث الموتى بعيدا عن الانظار • ومن العذارى الورعات اللاتى تركن هناك دفنوا فى المقابر بعد أن حصلوا على عظمة الشهادة فى عهد قسطنطيوس الورع • اما الشمامسة (Deacons) فقد جلدوا أيضا بالسيور حتى فى بيت الله وحبسوا هناك •

٥ — ولم تتوقف الأمور حتى الى هذا الحد : فبعد أن حدث كل هذا فكل من أحب كسر أى باب فى استطاعته بحث ، ونهب ما بداخله • بل انهم دخلوا الى تلك الأماكن التى ليس مسموحا حتى لكل المسيحيين بدخولها • وجورجونيوس ، قائد قوات المدينة يعرف هذا حيث انه كان حاضرا ، وهناك شاهد هام على طبيعة هذه الضربة المعتدية مقدم عن طريق الظروف فالأسلحة ، والحراب والسيوف التى حملها أولئك الذين دخلوا قد تركت فى بيت الله • ولقد ظلت معلقة فى الكنيسة حتى هذا الوقت ، وربما لايستطيعون انكارها ورغم انهم قد أرسلوا الجندى ديمانيوس عدة مرات وأيضا قائد شرطة المدينة برغبتهم فى أخذها الا اننا لم نكن لنسمح بذلك حتى يعرف الجميع الظروف •

٦ — والآن اذا كان هناك أمر قد أعطى باضطهادنا فاننا على أتم الاستعداد لمواجهة الاستشهاد • ولكن اذا لم تكن بأمر أغسطس فاننا نطلب من ماكسيموس ، محافظ مصر ، ومن كل قضاة المدينة ان يلتمسوا منه الا يعتدى علينا • كما نرغب أيضا أن يقدم التماسنا هذا اليه الا يحاولوا احضار أى أسقف آخر الى هنا : حيث أننا قد قاومنا حتى الموت لاننا نرغب أن لايكون الا اثناسيوس الورع الذى منحنا الله اياه •

من الاباطرة ثيودسيوس وفالنتيان الاغسطس الى فلورنتيوس حاكم الشرق البريتورى(١) :

لقد احتارت رحمتنا مرارا لتفهم حقيقة انه عندما تكون هناك كثير من المكافآت مقدمة لحماية الآداب والدراسات الحرة نجد أن هناك قلة قليلة قد منحت معرفة كاملة بالقانون المدنى . فاننا ندهش انه حتى القليل من الذين ذبلت وجوههم من السهر والتأليف فان واحدا أو اثنين قد وصلوا الى درجة عالية من التعليم والكمال .

وعندما ننظر الى هذا الكم الهائل من الكتب والطرق المختلفة للاجراءات وصعوبة القضايا القانونية وأكثر من ذلك الكم الهائل من الدساتير الامبراطورية المختلفة كانت تكون سد من الضباب الكثيف والظلام وأمام حاجة أفكار الناس من الحصول على معرفتها فاننا نواجه حقيقة لعصرنا ألا وهى ازاحة الظلام ليعطى النور للقوانين ولقد انتخبنا رجال ذى عقيدة مقبولة وقانونيين على درجة عالية من المعرفة وبذلك فان الناس لم يعودوا فى حاجة للانتظار لوجود قانونيين خبراء نزهاء كما لو كانوا فى معبد داخلى وذلك عندما يكون من الواضح تماما الاجراء الذى يتبع فى رفع قضية للورثة ، أو ما هو وزن الهبة وقيمة الهبة فان التفاصيل التى كشفها علماء مجتهدون قد ظهرت الى العيان تحت روعة اسمنا المتسع المضىء ولا تدع أولئك الذين توصلوا الى قداسة اسرار قلوبنا يتخيلون انهم قد حصلوا على مكافآت ضئيلة .

ذلك أنه اذا كانت عين عقولنا تتنبأ بالمستقبل فان اسمائهم ستصعد الى الرفعة مقرونة باسمائنا وعلى ذلك وبعد ان أمرنا بسحب المجلدات التى اضاع عليها الكثيرون حياتهم ولم يوضحوا

---

(١) Theodosius II. Nov. I. trans. Bury. N. Y. 1958 .

شيئاً فى النهايـة فانا نقر معرفة جامعـة بالدساتير الامبراطورية منذ زمن قسطنطين المقدس ولا تسمح لأى فرد بعد اليوم الأول من يناير المقبل أن يستعمل أى سلطة فى ممارسة القانون الا تلك الكتب التى تحمل اسمنا والمحفوظة فى المكتب المقدس وليس هنـاك أى امبراطور من الاباطرة القدماء قد حرم من خلوديتـه ولم يقع أى اسـم لمؤلف للدسـتور وانمـا هـم يتمتعـون بالاهتمـام كذلك أوامرهم مرتبطة بنا ان مجد السابقين سيبقى الى الابد ولم يذهب أى ذكاء الا أسلمناه للضـوء ورغم ان العمل كله راجع الى مبادرتنا الحكيمة الى اننا رأينا انه أولى بالجلاله الامبراطورية بأن نكشف القناع عن القوانين ونزيل عن أعمال اسلافنا ظلم الجهـل واننـا نصـدر أوامرنا الآن ليس هنـاك دستور يمكن أن يصدر فى الغرب أو أن يصـدر فى الغرب أو فى أى مكان آخر بواسـطة الامبراطور الغـالب لرحمتنـا فالنتيـان أو أن تكون له صـلاحية الا بعد موافقتنا .

هذا الاستثناء لابد أن يلاحظ فى القوانين التى نصـدرها فى الشرق وتلك التى يجب أن تدمغ بعدم الشرعية وليست مسـجلة فى قانون ثيودسيوس ، باستثناء وثائق خاصـة فى المكتب الرسـمى يجب أن تدمغ بالشرعية .

ولانها قصة طويلة يجب أن تحكى على كل من ساهم لاكمال هذا العمـل بجهوده انتجوس المستشار والحـكام السابق اللامع وجهود مكسيموس البارع والكويستور السابق لقصرنا كل البارزين وكل أقسام الآدب وجهود مارتيورس الباهر الكونت الكويستور المترجم الأمين لعظمتنـا .

وجهــود اسبرتانيوس أبلودولورس وثيــودو وكل الرجــال

المحتمين وكونتات بلاطنــا القدس وجهود المحترم بيجونس كونت وماجســتير ماموريا وجهــود بركيبوس المحترم كونت وماجســتير ليبريوم كل هؤلاء الرجــال يمكن أن يقارنوا بأى فرد من القدمــاء ويبقى ياالاروتنوس العزيز وتريبى العطوف المؤمن بسلطتنا الباهرة وأن تليق هذه القوانين بجلالة أغسطس وان تعلن لعلم كل الناس وكل الاقاليم •

١٥ فبراير ٤٢٨ فى القسطنطينية

أباطـرة بيزنطـة

الاسم	السنوات
قسطنطين الاول	٣٢٤ — ٣٣٧
قسطنطيوس	٣٣٧ — ٣٦١
جوليان	٣٦١ — ٣٦٣
جوفيان	٣٦٣ — ٣٦٤
فالنز	٣٦٤ — ٣٧٨
تيودسيوس الاول	٣٧٩ — ٣٩٥
اركاديوس	٣٩٥ — ٤٠٨
تيودسيوس الثانى	٤٠٨ — ٤٥٠
مارقيان	٤٥٠ — ٤٥٧
ليو الاول	٤٥٧ — ٤٧٤
ليو الثانى	٤٧٤
زينون	٤٧٤ — ٤٧٥
باسليوكس	٤٧٥ — ٤٧٦
زينون ثانية	٤٧٦ — ٤٩١
انستاسيوس الاول	٤٩١ — ٥١٨
جستين الاول	٥١٨ — ٥٢٧
جستنيان الاول	٥٢٧ — ٥٦٥
جستين الثانى	٥٦٥ — ٥٧٨
تيبريوس الاول	٥٧٨ — ٨٥٢
موريس	٥٨٢ — ٦٠٢
فوكاس	٦٠٢ — ٦١٠
هرقل	٦١٠ — ٦٤١
قسطنطين الثالث وهرقليانوس	٦٤١
هرتبتوس	٦٤١
قسطانز الثانى	٦٤١ — ٦٦٨
قسطنطين الرابع	٦٦٨ — ٦٨٥
جستنيان الثانى	٦٨٥ — ٦٩٥
ليونتيوس	٦٩٥ — ٦٩٨
تيبريوس الثانى	٦٩٨ — ٧٠٥
جستنيان الثانى ثانية	٧٠٥ — ٧١١
فليبكوس	٧١١ — ٧١٣
انستاسيوس الثانى	٧١٣ — ٧١٥
ثيودسيوس الثالث	٧١٥ — ٧١٧
ليو الثالث	٧١٧ — ٧٤١
قسطنطين الخامس	٧٤١ — ٧٧٥
ليو الرابع	٧٧٥ — ٧٨٠
قسطنطين السادس	٧٨٠ — ٧٩٧
ايرين	٧٩٧ — ٨٠٢
نقفور الأول	٨٠٢ — ٨١١
ستاوريكوس	٨١١
ميخائيل الأول	٨١١ — ٨١٣
ليو الخامس	٨١٣ — ٨٢٠
ميخائيل الثانى	٨٢٠ — ٨٢٩
ثيوفيل	٨٢٩ — ٨٤٢
ميخائيل الثالث	٨٤٢ — ٨٦٧
باسيل الأول	٨٦٧ — ٨٨٦
ليو الرابع	٨٨٦ — ٩١٢

الاسم	المدة
الكسندر	٩١٢ — ٩١٣
قسطنطين السابع	٩١٣ — ٩٥٩
رومانوس الاول	٩٢٠ — ٩٤١
رومانوس الثانى	٩٥٩ — ٩٦٣
نقفور الثانى	٩٦٣ — ٩٦٩
حنا زمسكيس	٩٦٩ — ٩٧٦
باسيل الثانى	٩٧٦ — ١٢٠٥
قسطنطين الثامن	١٠٢٥ — ١٠٢٨
رومانوس الثالث	١٠٢٧ — ١٠٢٨
ميخائيل الرابع	١٠٣٤ — ١٠٤١
ميخائيل الخامس	١٠٤١ — ١٠٤٢
زوى — ثيودورا	١٠٤٢
قسطنطين التاسع	١٠٤٢ — ١٠٥٥
ثيودورا ثانية	١٠٥٥ — ١٠٥٦
ميخائيل السادس	١٠٥٦ — ١٠٥٧
اسحاق الأول كومنين	١٠٥٧ — ١٠٥٩
قسطنطين العاشر دوكاس	١٠٥٩ — ١٠٦٧
رومانوس الرابع ديوجنس	١٠٦٧ — ١٠٧١
ميخائيل السابع دوكاس	١٠٧١ — ١٠٧٨
نقفور الثالث بوتنياتوس	١٠٧٨ — ١٠٨١
الكسيوس الأول كومنين	١٠٨١ — ١١١٨

الاسم	المدة
حنا الثانى كومنين	١١١٨ — ١١٤٣
مانويل الاول كومنين	١١٤٣ — ١١٨٠
الكسيوس الثانى	١١٨٠ — ١١٨٣
اندرونيكوس الاول	١١٨٣ — ١١٨٥
اسحاق الاول انجليوس	١١٨٥ — ١١٩٥
الكسيوس الثالث	١١٩٥ — ١٢٠٣
اسحاق الثانى ثانية مع الكسيوس الرابع	١٢٠٣ — ١٢٠٤
الكسيوس الخامس	١٢٠٤
ثيودور الاول لاسكاريس	١٢٠٤ — ١٢٢١
حنا الثالث دوكاس	١٢٢٢ — ١٢٥٤
ثيودور الثانى لاسكاريس	١٢٥٤ — ١٢٥٧
حنا الرابع	١٢٥٨ — ١٢٦١
ميخائيل الثامن باليولوجس	١٢٥٩ — ١٢٨٢
اندرونيكوس الثانى	١٢٨٢ — ١٣٢٨
اندرونيكوس الثالث	١٣٢٨ — ١٣٤١
حنا الخامس	١٣٤١ — ١٣٩١
حنا السادس كنتا كوزينوس	١٣٤٧ — ١٣٥٤

اندرونيكوس الرابع	١٣٧٦ — ١٣٧٩	حنا الثامن	١٤٢٥ — ١٤٤٨
حنا السابع	١٣٧٩ — ١٣٩٠	قسطنطين	١٤٤٩ — ١٤٥٣
مانويل الثانى	١٣٩١ — ١٤٢٥	الحادى عشر	



موزيكو امبراطور ينحني أمام المسيح



موزايكو العذراء بين قسطنطين وجستنيان

المصادر الأصلية

Ammianus Marcellinus : Res Gesta trans Baynes with historical notes.

"London"

Anna Comnena : Alexiad trans E. A. S. Dawes London 1928"

Athanasius : The life of saint Anthony Select Historical Treatises Ed Bright oxford 1881.

Athanasius : Orations against the Arians Ed Bright oxford 1873

Constantine VII prophyrogenitus : De administrando imperio. trans Jenkins "Budapest 1949".

: Le livre des Ceremonies trans Vogt "1935"

Ecloga : trans Freshfield "Camb 1926".

Eusebius of Gasearea : The Eccleisiastical history and the Martyrs of Palestine ed Schwartz and th Mommsen 3 vols.

"Leipzig 1914".

John the Lydian : De magistrotibus populi Romani Ed wunsch.

"Leipsic 1903"

John Malalas : Chronographia.

"Ed Brooks 1902"

Micheal Psellus : Chronographia trans E. R. A. Sweter.

London 1955"

Socrates : Historia Ecclesiastica Ed Hussey 3 Vols.

"Oxford 1853"

Sozomen : Historia Ecclesiastica Ed Hussey.

"Oxford 1860"

Theophanes : Chronographia Ed Boor, 2 Vols.

Leipsic 1883.

Zosimus : Historia nova ed Mendelssohn. Leipsic 1887

Alföldi A : The Conversion of Constantine and Pagan Rome (Oxford 194[illegible]).

Allard. P. : Julien l'Apostat 3 Vols (Paris 1900).

Allen A. V. G : Christian Institutions. (Edinburg 1[illegible])

Andereades : La population de Constantinople [illegible]

Arnold Toynbe : A study of History. (London 1939)

Barker : Sociol and Polifical Thought [illegible] Byzantium. (Oxford 1957)

Baynes N. H. and Moss : Byzantium (Oxford 1948)

Bidez : La vie de l'empereur Julien (Paris 1930)

Boissier. G. : La Fin du Paganisme. (4 Vols. Paris 1903)

Brehier. L. La Monde Byzantine 3 Vols Paris 1950.
L'Origine des Titres (B. Z. Vol 15).

Brightman : Byzantine Coronation Ceremonies. (Journal of Theological Studies).

Broglie : L'eglise et l'empire 6 Vols. (Paris 1856).

Brooks. E. W : The Emperor Zenon and the Isaurians (English Historical Review 1936).

Bury. H. History of the Later Roman Empire. (N : Y. 1985)

History of the Eastren Roman Empire. (London 1912)

The Treatise De Administrando imperio. (B. Z. VX 1906)

The Cambridge Medieval Hstiory vols I - II . IV (1923).

Chapot La Frontier de l'Euphrate. Paris : 1930

Charanis P Church and State in the Later Roman Empire. (Madison 1939)

Chawner Influences of Christianity on the Legislation of Cons tantine. (Camb 1878)

Chesney : Expedition for the Survey of the river Euphrates. (London 1850)

Christensen A. S. Iran Sous Les Sassanides (Copenhagne 1944)

Collingwood : The Idea of History. London

Demougeot : De l'unite a la division de l'Empire Romain (Paris 1951)

Desjardins : l'Empereur julien (Paris 1845)

Diehl : Histoire de l'Empire byzantine (Paris 1930)
Le Monde Oriental (Franc 1936)
Le Senat et le peuple Byzantin (Byzantion Vol I)
Justinien et la Civilisation Byzantine (Paris 1901)
Byzance Grandeur et Decadence (Paris 1919)

Dodds : Theurgy its relationship to neoplationism.

Dunlap : The office of the Grand Chamberlin in Later Roman Byzantine Empire. (N. Y. 1924)

Ensslin : The Reforms of Diocletian Camb. Ancient. History Vol XII.
The Emperor and the Imperial Administration. (Byzantium Ed Baynes) (Oxford 1961).

Firth. j. B. : Constantine the Great. N. Y. 1905.

Graber : Byzantine painting. (Ceneva 1953).

Gregoire H. : Les persecution dans l'Empire Romain.
(Memoires de l'Acad. de Belgique 1951).

La Conversion de Constantine
(Revue de l'Univ. de Bruxelles. 1930).

Greorge Finlay : A History of Greece 7 Vols.
(Oxford 1877).

Grumel : l'Illyricum de la mort de Valentinien l'er a la mort de Stilicon. (1951)

Gwathin H. : Studies of Arianism.
Camb. 1882 - 1902).

Hamilton : Byzantine Architecture and Decoration.
(London 1958)

Hearsey : The City of Constantine.
(London 1963

Hodykin : Italy and her Invanders. 8 vols.
(Oxford 1892)

Hussey : The Byzantine world.
(N. Y 1961)

Jackson : Byzantine and Romanesque Architecture.
(Camb. 1920)

Jones. H : The Greek City from Alexander to Justinian.
(Oxford 1940)

Labuda : Chronolgie de guerres de Byzance (Paris. 1888).

Lecrivain. Le Senat Romain depuis Diocletien.
(Paris 1888)

Lemerle : Le Style byzantine.
(Paris 1943)

Lot : La Fin du Mond antique et le debut du moyen age.
(Paris 1927)

Maricq : La duree du Regime des parties populaires a Constantinople.

(Bull. de. l'Acad. de Belgique 1949)

Mathew. G. Byzantine Painting.

(London 1950)

Maurice : Constantin Le Grand. L'Origine de Civilisation Chretienne.

(Paris 1925)

Moss : The Birth of the Middle Ages

(Oxford 1935)

Neumann : Arians of the fourth century.

(London 1933)

Otto. Demus : Byzantine Mosaic Decoration.

(London 1948)

Oman : The Byzantine Empire.

(London 1892)

Ostrogorsky : Hist. of the Byzantine State trans Hussey.

(Oxford 1956)

Piganol : L'Empire Chretien.

(Paris 1947)

Porther : Doctrine of the person of christ.

Pulbn : Sources for the History of Medieval Europe. (London)

Rambaud : Etudes sur l'histoire byzantine.

(Paris 1912)

Rendall. G. H : The Emperor Julian Paganism and Christianty.

(Camb. 1879)

Rostovtzeff : Social and Economic History of the Roman Empire.

(Oxford 1930)

Runicman : Byzantium and Slaves.

(Oxford 1961)

Tenney Frank : Economic History of Rome.

(London)

Tozer. Byzantine Satire.
(Journal of Hellenic Studies 1881).

Vanmillingen : Byzantine Constantinople.
(London Murray 1899)

Vasiliev : History of the Byzantium Empire.
(Madison 1952)

William Miller : The Historians Doukas and phrantzes.
(Journal of Hellenic Studies XI 1922)

Wright : A History of Later Greek literature.
(London 1932)

الفهـرست

صفحة

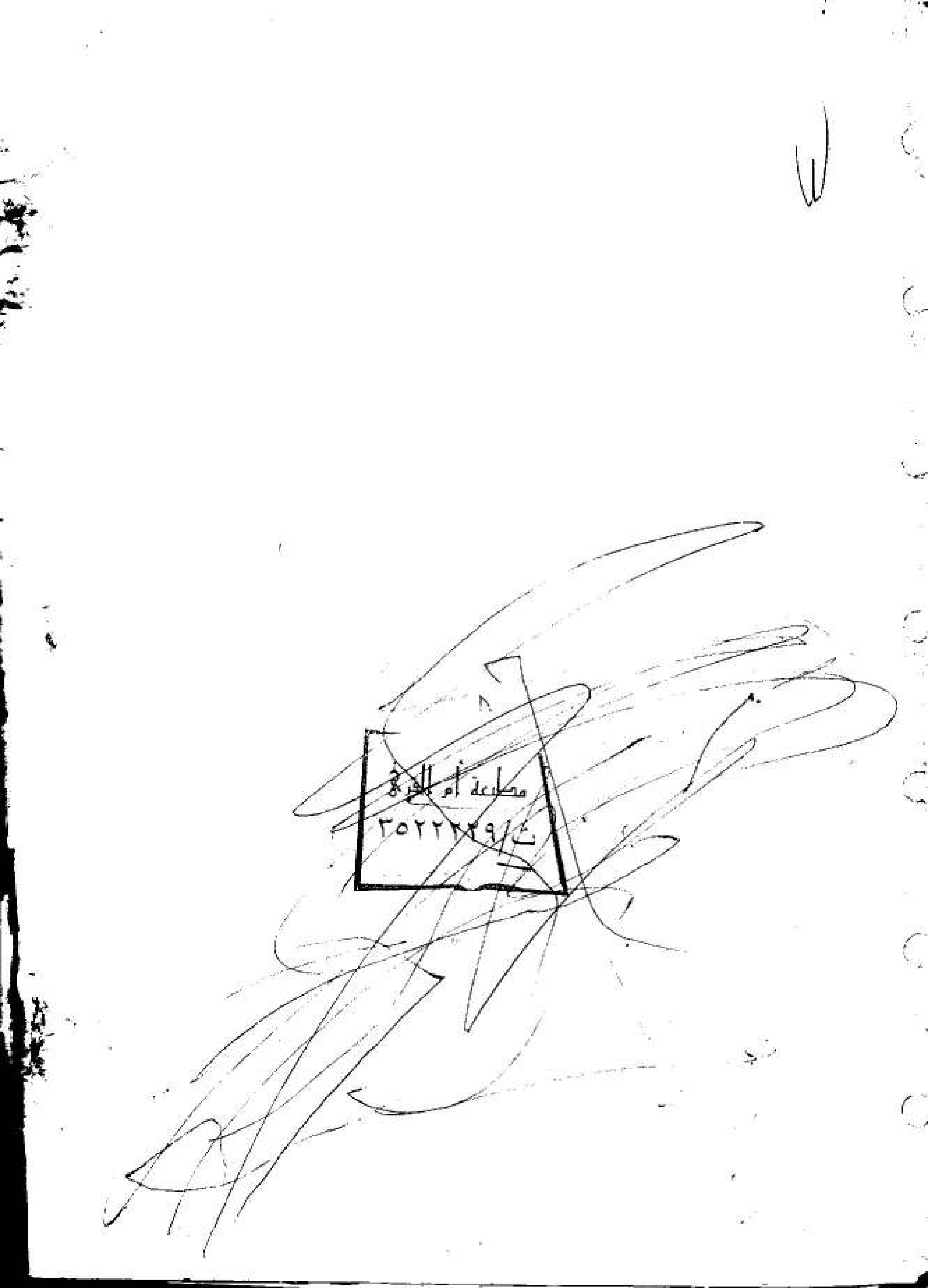
صفحة

الفصل الرابع :

الفصل الخامس :

صفحة

صفحة


مطبعة أم القرى
ت/٣٥٢٢٢٢٩